

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالمراسم الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية



عدد خاص بذكرى عيد العرش المجيد



السنة الثالثة والستون - العدد 432 ذو الحجة 1441هـ / يوليو 2020م

432

دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالكراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الثالثة والستون - العدد 432 ذو الحجة 1441هـ / يوليو 2020م



إلى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
للمملكة المغربية
الملك محمد الخامس
في شهر يوليو 1957م



أسسها

جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م

”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة
تُعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعالج
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وكسيد الأمل في
أن يلتفت حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذا
البلد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.
وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى «مجلة دعوة الحق» بمناسبة صدورها في شهر يوليو 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhaj.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74

فاكس : 05 37 76 17 21

التوزيع : هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ

الخارج : 300 درهم ثمن العدد : 15 دھ

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمنية - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

الأستاذ عبد الحميد العلمي



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده





صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد حفظه الله



افتتاحية

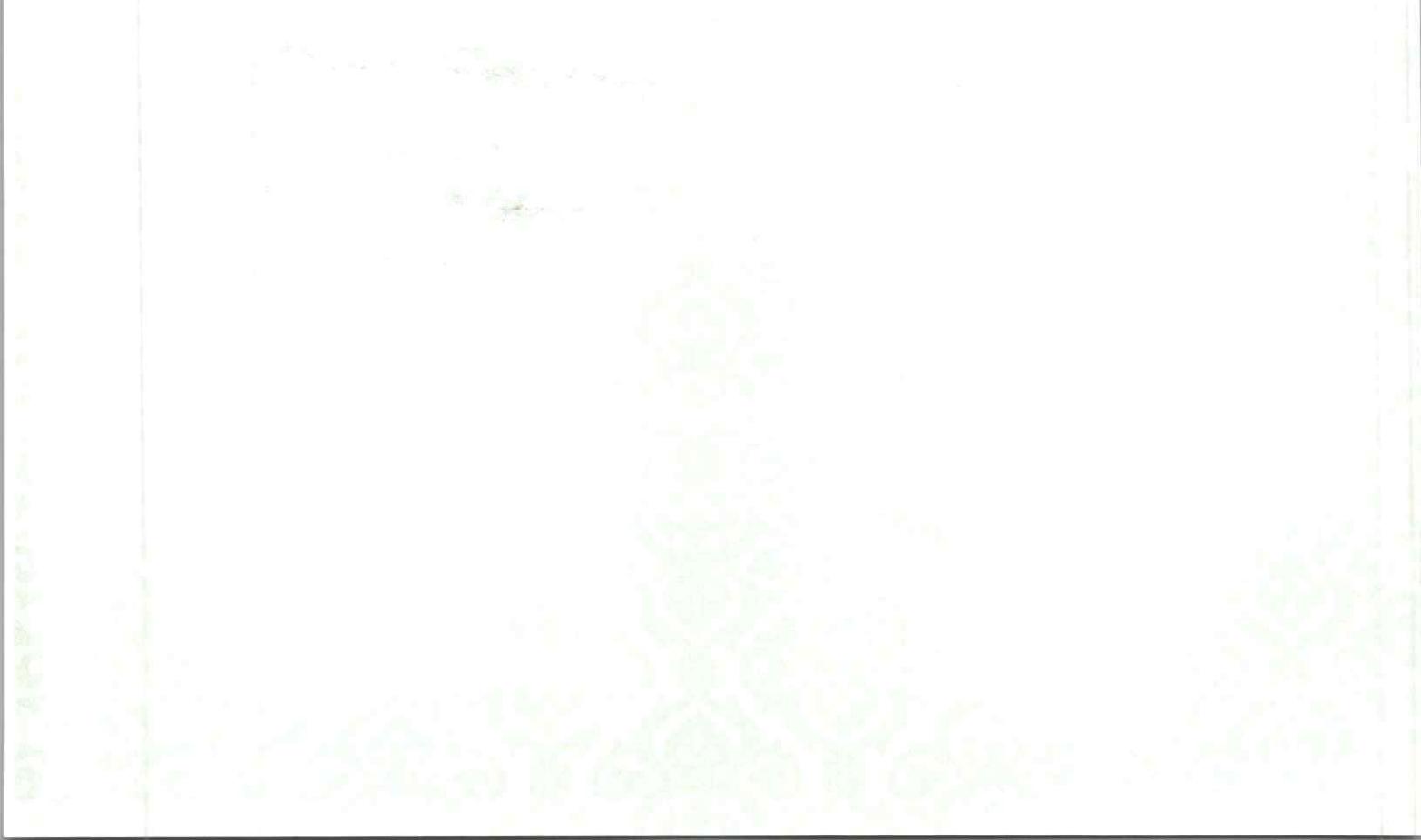
كل ذكرى عزيزة، تعمل بشري مشرفة، وتذكر بمواقف وعبر وعظات، وتذكر عيد العرش الواحد والعشرين لترجع أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس على عرش أسلافه المنعمين، وأجداد الملوك الشرفاء العلماء الميامين، لتذكر عابفة ببشائر وحكم وآيات للمتوسمين... فما أن استبشرت الفلوب بحلول سنة العشرين بعد الألفين للميلاد حتى اهتزت أركان العالم بوباء خضير باغت الشعوب وانتشر فيها انتشار النار في القشيم، يدك حصون المختبرات الطبية، ويزري بالبحوث العلمية، ويتعدى الإمكانيات والوسائل والتجديدات والتكنولوجيات لصال أملاكه ووخمت آثاره الصحية والاجتماعية والافتتاحية...

وكانت حكمة إمارة المؤمنين، بتوفيقه من الله وسلامه من الأمر، وقبل أن تستعيق الدول الأرفى والأعظم، كانت قد وحدت الصعوب، وجمعت الكلمة، وأعدت العدة، وواجهت البواب مواجهة حازمة شاملة حارمة، اعتمدت الخبرة العلمية والحكمة العملية، والتبصر بعواقب الأمور قبل وقوعها... ثم جاءت ذكرى عيد العرش لتزج البشرية وتعلم النصر على عدوك كما أن يعتد بالأمة ويذهب بالغالي والنجيس

إنها إمارة المؤمنين، وإنه أمير المؤمنين كما يعرفه شعبه فأنما متبرعا في حكمته، ثابتا في موافقه، ملهما في تحركاته ومبادئه، محنكا في إمارته للآزمات، مؤمنا بولصيته، مؤيدا بحب شعبه وتعلمه به... وفي العالم بإكبار وإعجاب منوها بمبادرته جلالة حمايته شعبه، بل بمبادئه، حبسه الله، لمساعدته شعوب أخرى بإفريقيا وأروبا وأمريكا وفلسطين في محاربة هذا البواب ورما البلاء.

حلت الذكرى الغالية، والشعب المغربي يرفل في حكمة وأمن وعافية بعد عنا البواب وكره ونكده... وتذكر التاريخ لا تنسى... ولن تنسى صوت محمد الخامس وهو يصيح بقوله تعالى: "الحمد لله الذي أنقذ عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور"، صدق الله العظيم.

مفالات العلم



إمارة المؤمنين وحماية الملة والدين

ذ. عبد القادر بطار

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - وجدة

اعتنى علماء المغرب، ومعهم عامة المغاربة عبر تاريخ المغرب الباهر، ومنذ قيام الدولة الإدريسية السنية ببلاد المغرب، إلى عهد الدولة العلوية الشريفة، بالإمامة العظمى، اهتمامهم بأمور دينهم، وضروريات معاشهم، نظراً للمكانة المركزية التي يُحظى بها هذا المنصب العظيم، في حماية الملة والدين، وترسيخ القيم الوطنية المغربية الخالدة، والسهر على توحيد جهود الأمة المغربية على كلمة سواء، وضمان حفظ معاشها من جانبي الوجود والعدم.

إنَّ الاهتمام بهذا المنصب الشرعيّ العظيم، منصب إمارة المؤمنين، نابع من جوهر الدين الإسلامي الحنيف، الذي يجعل الإمامة العظمى ركناً أساساً في قيام مصالح الدنيا، وانتظام أمور الدين، وذلك على قواعد شرعية ثابتة، لا تختلف ولا تتخلف.

لقد نهضت إمارة المؤمنين، منذ قيامها بمغربنا العزيز، إلى يوم الناس هذا، حيث رسخت واستقرت، بوظائف عديدة، ومبادرات إنسانية كريمة، همت مجال الاقتصاد والاجتماع والعلم والثقافة والعمران... تستجيب لطموحات الأمة المغربية، وتطلعاتها نحو الأكمل والأفضل، وهي تركز على ركنين مهمين:

الأول: حماية الملة والدين، وضمان ممارسة الشعائر الدينية للمواطنين.

الثاني: تدبير شؤون الدنيا، برؤى متبصرة، وخطط مستقبلية، تحقق استقرار البلد وازدهاره، وتضمن رقيه وإسعاد أهله.

وقد جاء في الأثر: "الدين أسّ، والسلطان حارس، والدين والسلطان تَؤَمان.

كما ورد أيضاً: "إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"¹.

وفي الحديث النبوي الشريف: "السلطان ظلُّ الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله".

البيعة الشرعية المتجددة لإمارة المؤمنين

تقوم إمارة المؤمنين في المملكة المغربية الشريفة، على عقد البيعة الشرعية المتجددة.

والبيعة والمبايعة ترادف كلمة العهد، فإنَّ المبايع إنما يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يُكلِّفه به من الأمر، على المنشط والمكره، كما هي مقتضيات عقد البيعة في الشريعة الإسلامية السمحة.²

وقد ورد مصطلح البيعة في القرآن الكريم في قوله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ سَعِدَ اللَّهُ عَظِيمًا﴾³.

وقوله أيضاً ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁴.

ولما كان مقصود الشارع من وضع التكاليف الشرعية، وما شرعه للناس من عقود وأحكام تحقيق مصالح الخلق وإسعادهم، والحرص على شؤون الأمة معاشاً ومعاداً، في حفظ بيضتهم، وتوحيد كلمتهم، فإنَّ ذلك كله يستوجب شرعاً وعقلاً طاعة وليِّ الأمر.

وقد أوجب الشرع الحكيم السمع والطاعة لوليِّ الأمر، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾⁵.

1 - هذا الأثر ثابت عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ويروى أيضاً عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

2 - مقدمة ابن خلدون، تأليف العلامة عبد الرحمن بن خلدون، ج 2 ص: 589 تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، 2004.

3 - سورة الفتح، الآية: 10.

4 - سورة الفتح، الآية: 18.

5 - سورة النساء، الآية: 58.

وقال أيضاً ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾⁶.

وقد حثَّ رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، على طاعة وليِّ الأمر، جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَمَاتَ، فَمِيتُهُ مِيتَةُ جَاهِلِيَّةٍ"⁷.

وقوله صلى الله عليه وسلم في وجوب طاعة من ولي الأمر "فاسمعوا له وأطيعوا"⁸.

إنَّ طاعة وليِّ الأمر، من الأمور المجمع عليها عند علمائنا -رحمهم الله- كما أنَّ طاعتهم، من طاعة الله عزَّ وجلَّ، ندعو لهم بالصلاح والفلاح والنجاح والمعافة.

الإمام إدريس الأكبر وتأسيس دولة إمارة المؤمنين بالمغرب:

لقد مضى أهل المغرب على نهج سلفهم الصالح، في اختيار الإمام الأعظم، منذ قيام الدولة الإدريسية، إلى عهد الدولة العلوية الشريفة.

فبعد أن استقر المولى إدريس بن عبد الله -رضي الله عنه- بمدينة ويلي بايعته القبائل المغربية إماماً عليهم، بعد ما عرفوا نسبه الشريف، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضله ودينه وعلمه وخلقه واجتماع خصال الخير فيه⁹.

وقد تمَّ له هذا الأمر يوم الجمعة رابع رمضان المعظم، من سنة 172هـ

لقد أسس الإمام إدريس -رضي الله عنه- أول دولة إسلامية في المغرب مستقلة عن المشرق العربي، وكانت دعوته تقوم على أسس دينية سنية متينة، تتمثل في الدعوة إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ، وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يقول -رضي الله عنه- في كلمة عظيمة الشأن، جليلة القدر، خاطب بها أهل المغرب قائلًا:

6 - سورة النساء، الآية: 82.

7 - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن.

8 - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء.

9 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري، ج 1 ص: 125.

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عانده، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهره من عجب حكمته، ولطف تدبيره الذي لا يدرك إلا إعلامه، وصلى الله على محمد عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، أحبه واصطفاه، واختاره وارفضاه، صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين.

أما بعد، فإني أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد... فهذا عهد الله إليكم، وميثاقه عليكم، بالتعاون على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضا من الله واجبا، وحكما لازما، فأين عن الله تذهبون، وأنى توفكون".¹⁰

وقد استنتج العلامة المغربي علال الفاسي -رحمه الله- من تلك الخطبة المحكمة المبني والمعنى، أن أول ما تدل عليه هي قيمة المولى إدريس الأكبر العلمية، واتجاهه العقدي السني الراسخ، فالمولى إدريس إمام من أئمة أهل السنة، وعالم من أعلام آل البيت الأشراف، بدأ دعوته بخطبة فيها عقيدته السنية في توحيد الله عز وجل.¹¹

وقد توفي المولى إدريس -رضي الله عنه- سنة 177 هجرية، وبايعت القبائل ابنه الأصغر لحمل أنوار الإمامة العظمى في هذا البلد الأمين.

وتذكر كتب التراجم أنه لما تمت البيعة للمولى إدريس الأصغر -رضي الله عنه- صعد المنبر وخطب في الناس على نهج سلفه وملهمه الإمام إدريس الأكبر قائلا:

"الحمد لله أحمده، وأستغفره وأستعين به، وأتوكل عليه، وأعوذ به من شر نفسي، ومن شر كل ذي شر، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، المبعوث إلى الثقلين بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أيها الناس، إننا قد ولينا هذا الأمر الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر،

10 - المولى إدريس الأكبر وثيقة تاريخية لم تنشر قط، علال الفاسي، ضمن كتاب الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية، ص: 15 إعداد وتنسيق عبد الرحيم بن سلامة- مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط.

11 - الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية، ص: 23 إعداد وتنسيق عبد الرحيم بن سلامة، الطبعة الثانية 2008.

وللمسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قَصْدٍ جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإنَّ الذي تطلبونه من إقامة الحق إنما تجدونه عندنا.¹²

ثم دعا الناس إلى بيعته، وحضهم على التمسك بطاعته، فعجب الناس من فصاحته، وقوة جأشه، على صغر سنه، وأيقنوا أنَّه أحقُّ بها وأهلها.¹³

لقد أنعم الله على أهل المغرب بنعمة الأمن والاستقرار، في ظل البيعة الشرعية المتجددة لإمارة المؤمنين، بوصفها دعامةً أساسيةً راسخة لقيام مصالح الدين والدنيا، وضمان إسعاد الأمة، حاضراً ومستقبلاً، معاشاً ومعاداً.

إمارة المؤمنين: عطاء متجدد:

إذا كان علماء المغرب وعموم المغاربة مجمعين على وجوب الإمامة العظمى، وكان هذا الوجوب مستنداً إلى الشرع الحكيم، والعقل السليم، فإنَّ نظام الحكم في المملكة المغربية الشريفة، يترجم هذا الوجوب الشرعيَّ الراسخ، انطلاقاً من مقام إمارة المؤمنين، الذي يستمد مشروعيته من الدين الإسلامي الحنيف، ويتحقق بعقد البيعة الشرعية المتجددة على الدوام، والإجماع الذي رسخه دستور المملكة المغربية الشريفة، حيث إنَّ جلالة الملك -حفظه الله- أمير المؤمنين، وحامي همى الملة والدين.

وهذا المدلول يعني على سبيل القطع أنَّ منصب الإمامة العظمى، الذي أفرد له علماءنا الأجلاء حيزاً مهماً في مصنفاتهم العقدية والفقهية والأحكام السلطانية، فإنَّ ذلك كله تترجمه في المملكة المغربية الشريفة إمارة المؤمنين، باعتبارها ميثاقاً شرعياً متجدداً على الدوام، واختياراً راسخاً في النظام المغربي العريق، منذ قيام الدولة الإدريسية السُّنية المنيفة، إلى عهد الدولة العلوية الشريفة.

ومن مفاخر أهل المغرب، واعتزازهم، أنَّ إمارة المؤمنين سطعت عليهم كالصبح إذا أسفر، والروض إذا أزهَرَ، فحفظت لهم اختياراتهم الدينية، وهي اختياراتٌ متناسقةٌ منسجمة متكاملة،

12 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري، ج 1 ص: 131.

13 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري، ج 1 ص: 131.

كانت وما زالت حصناً منيعاً، ضد التيارات المنحرفة، عن مذاهب السلف، وإجماع الأمة، وهي من أسباب استقرار العمران وازدهاره في مغربنا العزيز.

إمارة المؤمنين وحماية الثوابت الدينية للأمة المغربية:

لقد وفق الله أهل المغرب الأقصى في ظل إمارة المؤمنين إلى اختيارات دينية منسجمة تناسب طبيعتهم وفطرتهم، واعتدالهم، حتى أصبح المغرب -والحمد لله- في إطار تلك الاختيارات الدينية الحكيمة، التي ترعاها إمارة المؤمنين، رائداً روحياً بلا منازع.

نشير في ثنايا هذه المقالة العلمية إلى جوهر تلك الاختيارات السديدة، التي ميزت أهل المغرب عبر تاريخهم المجيد، وإرثهم التليد، حيث أقاموا سوق المعارف على ساقها، وأبدعوا في انتظامها واتساقها، وإظهار جمالها ومحاسنها.

محاسن العقيدة الأشعرية السنية:

لقد عرف المغاربة منذ عهد المرابطين قَدْرَ الإمام المجدد، أبي الحسن الأشعري ومكانته العلمية، وأمانته في الحفاظ على عقائد أهل السنة والجماعة، فأقبلوا على دراسة عقيدته وتدريسها، وتفننوا في شرحها ونظمها، فكانت وما زالت هذه العقيدة السنية الجماعية حاضرة بقوة في عقل الأمة ووجدانها وضميرها، وهي من أقوى المدارس الكلامية السنية يومئذ، بما تتوفر عليه من قدرة على التوفيق بين الآراء والاجتهادات، واختيار أوسطها وأنفعها وأعدلها للأمة.

يقول العلامة المغربيُّ القاضي عياض -رحمه الله- وهو واحد من أعلام المدرسة الأشعرية السنية، الوفي لمنهجها الوسطي- في ترجمته للإمام أبي الحسن الأشعري -رحمه الله-: "... فكذاك أبو الحسن، فأهل المشرق والمغرب بحججه يحتجون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقته..."¹⁴

لقد أسهم المذهب الأشعريُّ السنيُّ في جمع كلمة الأمة المغربية عقدياً، وتوحيد تصوراتهم عملياً، بوصفه مذهباً توفيقياً تنويرياً متجدداً على الدوام، كان ولا يزال الضابط المنهجيَّ الأمثل لتدبير أمور العقيدة تدبيراً حكيماً، يستجيب لتطلعات الأمة الإسلامية العظيمة في مشارق الأرض

14 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، ج 5 ص: 24. تحقيق د. محمد بنشريف، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية.

ومغاربها، ومن ثَمَّ الإجابة عن كثير من الأسئلة العقديّة والوجودية التي تواجه المسلمين اليوم، وفي مقدمتها أسئلة التكفير والإرهاب والغلوّ والتطرف التي لا مكان لها في النظام العقديّ الأشعريّ السنيّ.

محاسن المذهب المالكي:

لقد أخذ المغاربة بالمذهب المالكي، في مجال الممارسة الفقهيّة، لأنّ سنده موصولٌ بأنوار النبوة، وأسرار الرسالة، وهو الذي يعبر عنه بعمل أهل المدينة، لأنّ من أصول مذهب الإمام مالك -رضي الله عنه- الأخذ بعمل أهل المدينة، لأنّه أقوى في الاستدلال وأقوم، إذ هو بمنزلة روايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو إلى الحديث المتواتر المتوارث أقرب وأحكم، خصوصاً إذا كان هذا الأمر مجمعا عليه، لا يخالفهم فيه غيرهم، وأهل المدينة المنورة يومئذ هم التابعون وأتباع التابعين، الذين يصدق عليهم قول الإمام البصري -رحمه الله-:

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ * غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

كما أنّ تعلق المغاربة بالهدي النبوي الشريف، وحبهم الشديد لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وتعظيمهم لمدينته المنورة بوجوده صلى الله عليه وسلم، يفوق كل وصفٍ.

لقد اختار المغاربة، ومعهم جمهور علماء الأمة الإسلامية المذهب المالكيّ السنيّ لأسباب عديدة، منها:

أولاً: باعتبار شخصية صاحب المذهب نفسه، الإمام مالك بن أنس -رضي الله عنه- لما عُرف عنه من تمسكه بالسنة، ومحاربه للبدع، وتشبّهه التام بآثار الصحابة والتابعين، واستجماعه أدوات الإمامة في الفقه الإسلاميّ.

ثانياً: بالنظر إلى موافقة المذهب المالكي لطبيعة المغاربة وقيمهم الموروثة التي يقرها العرف كأصل من أصول المذهب المالكي، إذ هو مذهب عمليّ، يعتمد الواقع، ويأخذ بأعراف الناس، وعاداتهم، وأصوله تنسجم مع الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلفٍ أو تعقيد، وأهل المغرب يميلون بطبعهم إلى البساطة والوضوح.¹⁵

15 - محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، ص: 29 منشورات عكاظ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.

هذان العاملان هما من أقوى الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي واستقراره بالمغرب الأقصى.

محاسن التصوف السني:

التصوف علم من العلوم الشرعية، وهو تجربة روحية، ومنظومة أخلاقية سامية، له قواعده ومبادئه الراسخة، وهناك ارتباط وثيق، بين التصوف السني، الذي اختاره المغاربة، وصنوه المذهب الأشعري في مجال الاشتغال العقدي السني، فإذا كان علم التوحيد يتضمن جملة من الحقائق الإيمانية المتعلقة بذات الله عزَّ وجلَّ وذوات رسله عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فإنَّ التصوف السني في عمقه الروحي والأخلاقي، يترجم تلك الحقائق الإيمانية التجريدية إلى عمل وسلوك حيٍّ، أو بعبارة أوضح: فإنَّ لبَّ التوحيد هو التصوف، وسرَّ التصوف هو التوحيد، فلا توحيد بدون تصوف، ولا تصوف بدون توحيد.

لقد نظر علماء المغرب إلى علم التصوف نظرة علمية وعملية معاً، حيث اعتبروه من جملة العلوم الشرعية الملازمة للعمران، غايته إدراك مقام الإحسان، وثماره سعادة الإنسان، وأساسه رسوخ الإيمان، وأصله العكوف على العبادة، والانتقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها.¹⁶

بهذا كله تظهر مكانة إمارة المؤمنين عبر تاريخ المغرب المجيد، ودورها في حماية الملة والدين، عقيدةً وفقهاً وسلوكاً، وهي التي جمعها العلامة المغربي سيدي عبد الواحد بن عاشر - رحمه الله - في منظومته الشهيرة، المسماة: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين بقوله:

في عَقْدِ الْأَشْعَرِيِّ وفقه مالِك * وفي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكُ

وهذه المنظومة الدينية والأخلاقية المتجددة والمنسجمة والمتكاملة والمنفتحة على القيم الإنسانية السامية، والحضارات الكونية، التي ترعاها إمارة المؤمنين، رمز الفخر والمجد، والصولة والسؤدد، هي التي حافظت على الشخصية المغربية على الدوام، وميزتها عبر تاريخها المجيد، وإرثها التليد، وجعلتها تتربع على عرش ثقافات وحضارات الأمم والشعوب إلى يوم الدين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

16 - مقدمة ابن خلدون، تأليف العلامة عبد الرحمن بن خلدون، ج 3 ص: 989، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي.

استراتيجية المملكة المغربية في تدبير أزمة "كورونا" العالمية

حكمة ملكية وإشادة دولية

د. عبد العلي بلامين
باحث مؤهل بالرابطة المحمدية للعلماء

من منن الله تعالى على المغاربة أن هيا لهم إمارة المؤمنين صائنة للأنفس والدين من كل خطر مبین، وقد تأكد ذلك من خلال فترات عسر وشدة مرّت بها المملكة المغربية فيما مضى فخرجت منها منتصرة شامخة أقوى مما كانت عليه بفضل إمارة المؤمنين وتديرها الحكيم وتلاحمها القوي مع الشعب المغربي الأبيّ.

وإمارة المؤمنين اليوم في ظل القيادة الحكيمة لجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، دفعت بعجلة التنمية وطنيا وقاريا، وأمنت التدين من الوافدات الفكرية المنحرفة المسيئة إلى تعاليم الإسلام السمحة، حتى أضحى المغرب أنموذجا دوليا في تدبير الشأن الديني.

ومع بداية هذه السنة نزلت بالعالم جائحة "كوفيد-19" فتسببت في وفاة الآلاف وإصابة الملايين من مختلف بلدان العالم، وأخلّت بالمنظومة الصحية لعدد كبير من الدول، وأثرت سلبا على اقتصادها.

أما المملكة المغربية الشريفة فقد قيّض الله لها أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس إذ حرص منذ بدء الوباء في العالم على أخذ كافة الإجراءات الاستباقية والتدابير الاحترازية من أجل التصدي له عند حلوله وتخفيف آثاره الاقتصادية والاجتماعية.

فما إن ظهرت الحالات الأولى الوافدة إلى بلادنا المصابة بفيروس "كوفيد-19" حتى شرعت الحكومة والأطر الأمنية والصحية والإدارية في تفعيل القرارات الملكية الحكيمة المعدة مسبقاً، ولقي

ذلك استجابة من كافة المواطنين والمواطنات، أبرزت تضحية من قبلهم ندر نظيرها في العالم، وهو ما أعاد إلى الأذهان مُذكرًا التلاحم القوي بين العرش والشعب كلما تعرض الوطن إلى خطر أو مُسّ ثابت من ثوابته؛ ذلك التلاحم الذي لا تزيده الأزمات الحادثة إلا صمودا وتماسكا، وقد أسفرت هذه الجهود والتضحيات العظام - إلى الآن والله الحمد - عن اجتياز المملكة المغربية خطر هذه الجائحة المتوقَّع دوليًا، وهو ما يُبشِّر بالقضاء عليها كليًا. وقد أشادت الكثير من دول العالم بالاستراتيجية المتخذة إلى الآن من قبل جلالة الملك محمد السادس، وبالجهد الإنساني التي بذلها جلالته من أجل الأشقاء الأفارقة لمكافحة هذه الجائحة في هذه الظرفية الصعبة التي أنست كثيرا من دول العالم قيم التضامن والتعاون فيما بينها.

وعليه، يشرفني مع حلول ذكرى عيد العرش المجيد أن أستحضر في هذا المقال القرارات الحكيمة التي اتخذها أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - وطنيا وقاريا للصدي لجائحة "كورونا" منذ بدايتها، وما حظيت به من إشادة دولية من قِبَل العديد من الشخصيات الدولية البارزة والمؤسسات الرسمية والمنابر الإعلامية.

1 - الإعلان المبكر عن حالة الطوارئ الصحية

تعاملت المملكة المغربية بحزم مع جائحة كورونا منذ ظهور الحالات الأولى المصابة بفيروس كورونا الوافدة على بلادنا، بفضل التوجيهات السامية لجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، إذ تم بموجب ذلك إغلاق المجال الجوي والبحري أمام المسافرين، وإلغاء كافة التجمعات والتظاهرات الرياضية والثقافية والفنية، وتوقيف الدراسة بالمدارس والجامعات، والإغلاق المؤقت للمساجد مع استمرار رفع الأذان فيها.

وهي رؤية متبصرة من أمير المؤمنين - حفظه الله - موافقة لتعاليم ديننا الحنيف الذي يحث على إحياء النفس وحفظها وإزالة الضرر واجتنابه، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾¹، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾²، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»³. وقد أكد ذلك البيان الصادر عن المجلس العلمي الأعلى بما نصه: "الإمامة العظمى

1 - سورة المائدة، الآية: 32.

2 - سورة النساء، الآية: 29.

3 - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم: 2341.

إمارة المؤمنين رفيقة بنا في حماية حياتنا أولاً وفي قيامنا بديننا ثانياً، وهي رقية على الوضع الصحي في المملكة، وهي أحرص ما تكون على فتح المساجد من ضمن العودة إلى الحياة العادية متى توفرت الشروط"⁴.

ومن أجل ضمان الأمن الغذائي والاقتصادي والصحي لكافة المغاربة خلال حالة الطوارئ الصحية، وجّه جلالة الملك محمد السادس، نصره الله، السلطات المختصة للسهر على حسن تطبيق التدابير الناجعة المتخذة في مجال ضمان تزويد الأسواق عبر التراب الوطني بجميع المواد الغذائية والاستهلاكية، وبمواد التطهير والتعقيم، بصفة منتظمة ومتواصلة، ومحاربة مختلف أشكال الاحتكار والزيادة في الأسعار، وذلك إثر جلسة عمل ترأسها جلالته يوم الثلاثاء 17 مارس 2020م بالقصر الملكي بالدار البيضاء، خُصّصت لتتبع تدبير انتشار وباء فيروس كورونا ببلادنا، ومواصلة اتخاذ مزيد من الإجراءات لمواجهة أي تطور⁵.

2 - الإحداث الفوري لصندوق خاص لتدبير جائحة كورونا

في إطار الاستراتيجية الاستباقية المحكمة لمكافحة فيروس "كوفيد-19"، وبمجرد ظهور أولى الحالات المصابة بالمغرب أعطى صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، تعليماته السامية للحكومة، قصد الإحداث الفوري لصندوق خاص لتدبير ومواجهة وباء فيروس كورونا، وذلك بتأهيل الآليات والوسائل الصحية، وتوفير البنيات التحتية الملائمة أو المعدات والوسائل التي يتعين اقتناؤها بكل استعجال.

على أن يتم رصد الجزء الثاني من الاعتمادات المخصصة لهذا الصندوق، لدعم الاقتصاد الوطني بمواكبة القطاعات الأكثر تأثراً بفعل انتشار فيروس كورونا، كالسياحة، وكذا في مجال الحفاظ على مناصب الشغل والتخفيف من التداعيات الاجتماعية لهذه الأزمة.

وكان جلالة الملك محمد السادس حفظه الله أول من بادر بالمساهمة في هذا الصندوق من ماله الخاص بصفته راعي شؤون الأمة المغربية وحريصاً على أمنها واستقرارها، وهذا دأب القادة الحقيقيين إبان الأزمات. وقد لقي قرار جلالته استجابة واسعة من قبل مختلف الأشخاص الذاتيين

4 - بيان من المجلس العلمي الأعلى بخصوص شهر رمضان، الصادر يوم الثلاثاء 27 شعبان 1441هـ، موافق 21 أبريل 2020م، نشر موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: www.habous.gov.ma

5 - انظر: بلاغ للديوان الملكي، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/03/17م.

والاعتبارين، وشجع مختلف مكونات المجتمع المغربي على التبرع وتخصيص الدعم لفائدة الصندوق الذي تجاوزت قيمة المساهمات فيه في وقت قصير المبلغ المرصود له.

3 - الرفع من المنظومة الصحية الوطنية لمواجهة الوباء:

في إطار متابعة جلالة الملك محمد السادس المستمرة لتطورات هذا الوباء منذ بداية انتشاره عالميا، استفسر جلالته وزير الصحة عن آخر تطورات الوضعية الصحية ببلادنا، والطاقة الاستيعابية للمستشفيات والوحدات الصحية بمختلف جهات المملكة، وكذا توفير جميع مستلزمات السلامة الصحية، بما في ذلك مواد التعقيم والأدوية.

وبناء على المعطيات التي قُدمت لجلالته، وحرصاً منه على الرفع من قدرات المنظومة الصحية الوطنية في مواجهة هذا الوباء أصدر جلالته الملك، حفظه الله، القائد الأعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية، تعليماته السامية للمفتش العام للقوات المسلحة الملكية، قصد وضع المراكز الطبية المجهزة، التي سبق لجلالته أن أمر بإحداثها لهذا الغرض، بمختلف جهات المملكة، رهن إشارة المنظومة الصحية بكل مكوناتها⁶.

وتنفيذا للتعليمات الملكية السامية تمّ إحداث مستشفيات عسكرية ميدانية بمختلف ربوع المملكة لسد الخصاص الذي قد يحصل بسبب ارتفاع عدد الإصابات بالفيروس، كما تم استيراد عدد من المعدات الطبية والصحية، ثم زوّدت بها تدريجيا مختلف المؤسسات الصحية بالبلاد.

وتم في وقت وجيز الإنتاج المحلي لبعض المعدات والأجهزة الصحية؛ من كمادات وأجهزة تنفس صناعي وفق معايير جودة دولية. وتمكنت المقاولات والمؤسسات المشرفة على ذلك من رفع الإنتاج منها حتى تأتى تصديرها لعدد من بلدان العالم.

وفي هذا السياق تمكنت المؤسسة المغربية للعلوم المتقدمة والإبداع والبحث العلمي (MASCIR) من ابتكار طقم تشخيص لفيروس "كوفيد-19" بتصميم مغربي خالص، بمساهمة من القوات المسلحة الملكية والدرك الملكي، والمعهد الوطني للصحة والمستشفى الجامعي ابن رشد. وتعتمد المؤسسة تصنيع 10 آلاف طقم تشخيص لفيروس كوفيد-19 قبل متم شهر يونيو 2020م.⁷

6 - انظر: بلاغ للديوان الملكي، نشرته وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/03/17م.

7 - انظر: "المؤسسة المغربية للعلوم المتقدمة والإبداع والبحث العلمي تعزز تصنيع 10 آلاف طقم تشخيص لفيروس كوفيد-19 قبل متم يونيو الجاري"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/06/03م.

1 - دعم الفقراء والمتضررين ماديا من آثار الجائحة

بفضل إحداث صندوق تدبير الجائحة وفق التعليمات السامية لجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، تم منح مساعدة مالية لدعم الفئات التي تأثرت قدرتها الشرائية وظروف معيشتها بسبب تدابير حالة الطوارئ الصحية، وذلك اعتمادا على سجل الضمان الاجتماعي وقاعدة بيانات نظام المساعدة الطبية (راميد)، وشمل الدعم كذلك العاملين في القطاع غير المهيكل غير المسجلين في خدمة (راميد).

كما قرر أمير المؤمنين جلاله الملك محمد السادس -حفظه الله- إعفاء مكثري المحلات الحساسة المخصصة للتجارة والحرف والمهن والخدمات، والسكنى ما عدا للموظفين، من أداء الواجبات الكرائية، وذلك طيلة مدة الحجر الصحي، حرصاً من جلالته على دعم الفئات المتضررة من آثار جائحة الفيروس كورونا.

ومع حلول شهر رمضان المبارك أعطى صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، تعليماته السامية لانطلاق عملية توزيع الدعم الغذائي لفائدة 600 ألف أسرة معوزة للحد من الآثار الاجتماعية والاقتصادية لهذا الوباء.

وفي ثانيا هذه الجهود الملكية السامية رسالة نبيلة موجهة إلى كافة المواطنين والمواطنات من أجل التضامن والتكافل فيما بينهم للتخفيف من وطأة هذه الظرفية على الفئة الهشة من المجتمع.

2 - مبادرة ملكية سامية لدعم الأشقاء الأفارقة

في بداية ظهور الوباء بالقارة الأفريقية أجرى صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، اتصالات هاتفيين، على التوالي، مع فخامة السيد ألاسان واتارا، رئيس جمهورية كوت ديفوار، وفخامة السيد ماكي سال، رئيس جمهورية السنغال.

وهمت المحادثات التطور المقلق لجائحة (كوفيد-19) في القارة الإفريقية.

وخلال هذه المحادثات، اقترح صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، إطلاق مبادرة لرؤساء الدول الإفريقية تروم إرساء إطار عملياتي بهدف مواكبة البلدان الإفريقية في مختلف مراحل تدبيرها للجائحة.

ويتعلق الأمر بمبادرة واقعية وعملية تسمح بتقاسم التجارب والممارسات الجيدة لمواجهة التأثيرات الصحية والاقتصادية والاجتماعية للجائحة⁸.

فالمملكة المغربية بهذه المبادرة الملكية السامية أعطت درساً للعالم في الإنسانية والاعتزاز بالانتماء الإفريقي في ذروة الجائحة، في وقت انشغلت فيه معظم الدول بشؤونها الداخلية ولم تلتفت إلى مساعدة جيرانها المتضررين.

وقد حظيت مبادرة جلالة الملك محمد السادس -حفظه الله- بشكر وتقدير رئيس جمهورية السنغال ماكي سال، وإشادة البرلمان الإفريقي المنعقد يوم 20 أبريل بجنوب إفريقيا⁹، وكذلك الاتحاد الأوروبي؛ إذ أكد المتحدث باسم الاتحاد الأوروبي، السيد بيتر ستانو، في حديث خص به وكالة المغرب العربي للأنباء أن "هذه المبادرة تبدو منسجمة، تمام الانسجام، مع الحركة الأوسع نطاقا لعودة المغرب إلى الأسرة الإفريقية، التي نتبّعها باهتمام بالغ منذ عدة سنوات..."¹⁰. ثم قال: "نحن على قناعة بأن المملكة المغربية ستكون قادرة على الاضطلاع بدورها كاملا في الجهود الجماعية للقارة ومؤسساتها من أجل محاربة الفيروس، وأنها ستوفر خبرتها والقيمة المضافة الخاصة بها"¹¹، مسجلا أن "الاتحاد الأوروبي مستعد لدعم مثل هذه المبادرات في إطار استراتيجيته الشاملة المتجددة تجاه القارة الإفريقية"¹².

وأشاد بمبادرة جلالته كذلك رؤساء اتحادات برلمانية جهوية وقارية بأمريكا اللاتينية والكارايب¹³.

8 - انظر: "بلاغ للديوان الملكي"، نشرته وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/04/13.

9 - انظر: "البرلمان الإفريقي يشيد بمبادرة جلالة الملك لمواجهة وباء كورونا في إفريقيا"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/04/20 م.

10 - انظر: "كوفيد-19.. الاتحاد الأوروبي يشيد بمبادرة جلالة الملك تجاه البلدان الإفريقية"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/04/29 م.

11 - المصدر نفسه.

12 - المصدر نفسه.

13 - انظر: "رؤساء اتحادات برلمانية جهوية وقارية بأمريكا اللاتينية والكارايب يشيدون بمبادرة جلالة الملك لمواجهة وباء كورونا في إفريقيا"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/06/02 م.

وتفعيلا لهذه المبادرة الملكية السامية أمر جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، بوضع المركز الاستشفائي "صابينيكورو" رهن إشارة السلطات الصحية بجمهورية مالي لمواجهة الوباء، وكذا إرسال مساعدات عاجلة إلى جمهورية إفريقيا الوسطى.

وقد أشادت عدة منابر صحفية دولية بالتفاتة جلالة الملك الإنسانية النبيلة تجاه أشقائه الأفارقة، وكذا حكمة جلالته في إدارة أزمة كورونا بالمملكة؛ إذ وصفت الأسبوعية الشيلية "كامبيو" 21 "صاحب الجلالة الملك محمد السادس، بـ"القائد الإفريقي المتبصر"، وذكرت أن مبادرة جلالته الإفريقية يجب استنساخها في أنحاء مختلفة من العالم¹⁴. واعتبرت البوابة الإلكترونية الإخبارية الغانية "غانا نيوز" أن المغرب يشكل نموذجا يحتذى في إفريقيا¹⁵. وتحدثت صحيفة "كرونيو" الإلكترونية السلفادورية عن المبادرة الإفريقية الجديدة التي اقترحها صاحب الجلالة الملك محمد السادس لمواجهة تفشي وباء كورونا في إفريقيا، مؤكدة أنها "ليست عملية وواقعية فحسب، بل إنها مندمجة ووجيهة"¹⁶. واعتبرت وكالة الأنباء الأرجنتينية المستقلة "طوطال نيوز" أن صاحب الجلالة الملك محمد السادس هو أول رئيس دولة في القارة يقترح إطلاق مبادرة إفريقية للتصدي لجائحة كورونا. وأشار كاتب المقال الخبير السياسي أدابرتو كارلوس أغوزينو إلى أن المغرب، تحت القيادة الرشيدة لجلالة الملك، "أصبح بلداً مزدهراً يتحول يوما بعد آخر إلى قوة إقليمية حقيقية في إفريقيا"¹⁷.

وأبرزت وسائل إعلام إيطالية كذلك أهمية المبادرة "العملية" التي اقترحها صاحب الجلالة الملك محمد السادس بهدف مواكبة البلدان الإفريقية في مختلف مراحل تدبيرها لجائحة كوفيد-19¹⁸.

14 - انظر: "التصدي لوباء كورونا بإفريقيا.. جلالة الملك "قائد إفريقي متبصر" (وسيلة إعلام شيلية)، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/04/24م.

15 - انظر: "الاستجابة العالمية لفيروس كورونا.. المغرب يشكل نموذجا يحتذى في إفريقيا"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/05/31م.

16 - انظر: "صحيفة إلكترونية سلفادورية تبرز وجهة مبادرة جلالة الملك لمكافحة وباء كورونا في إفريقيا"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/05/08م.

17 - انظر: "جلالة الملك، أول رئيس دولة في القارة يقترح إطلاق مبادرة إفريقية للتصدي لجائحة كورونا (وكالة أنباء أرجنتينية)"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/04/19م.

18 - انظر: "وسائل إعلام إيطالية تبرز مبادرة جلالة الملك "العملية" لمواجهة جائحة كوفيد-19 في إفريقيا"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/04/14م.

وأكدت المجلة الفرنسية "سلات.إف.إر" "Slate.fr"، أن المغرب بقيادة جلالة الملك الحكيمة أبان عن أداء "نموذجي" في حربه ضد فيروس "كوفيد-19" وتصرف بنجاعة من خلال إظهاره لحس الابتكار، مشيرة إلى أن خطة الدعم الاقتصادي والاجتماعي التي أقرتها المملكة في إطار الاستجابة للجائحة "لا مثيل لها في إفريقيا"¹⁹.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن مبادرة جلالة الملك محمد السادس الإفريقية لمكافحة الوباء هي امتداد لجهود جلالاته المستمرة في تعزيز السلم والأمن ودعم التنمية المستدامة وإرساء التضامن والتعاون المشترك بإفريقيا، وهو ما جعل مختلف المنابر الإعلامية الدولية - كما تقدم - تصفه بالقائد الحكيم والمتبصر.

وأشادت صحيفة "FranceSoir" بإدارة المغرب لأزمة كورونا تحت القيادة السامية لجلالة الملك محمد السادس، وأكدت أنه أثار الإعجاب داخليا وخارجيا، إلى حد اعتباره نموذجا يحتذى²⁰.

واعتبرت البوابة الإلكترونية الإخبارية الأوروبية "EU Political Report"، المغرب من بين أولى بلدان العالم الداعمة للاستجابة العالمية لفيروس كورونا، التي أطلقتها المفوضية الأوروبية، وأكدت أن المملكة هي أكبر مساهم على مستوى القارة الإفريقية في الاستجابة العالمية لفيروس كورونا، التي تروم ضمان ولوج عالمي للقاحات، والعلاجات والاختبارات المتاحة للجميع.

وأبرزت البوابة أهمية مبادرة صاحب الجلالة الملك محمد السادس، المتمثلة في إحداث الصندوق الوطني "كوفيد-19" لتغطية التكاليف المترتبة عن هذه الأزمة الصحية. وأضافت البوابة أن المغرب نجح، أيضا، في اتخاذ جملة من التدابير الهامة لمكافحة "كوفيد-19"، لاسيما إنتاج الكميات الواقية، وتصنيع روائز الاختبار، وآلات التنفس الاصطناعي، إلى جانب آلة لقياس الحرارة.

وأضاف المصدر ذاته، أن المملكة تمتلك صناعة دوائية متينة تستفيد منها أيضا إفريقيا بتكاليف في المتناول من دون قيود أو حواجز²¹.

19 - انظر: "أداء المغرب نموذجي في مكافحة وباء كوفيد-19"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء: www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/06/01.

20 - FranceSoir: "Covid 19: Le Maroc, réveil du lion de l'atlas?" Chadi Rhanja Benamor. Publié le: 02/05/2020.

21 - Morocco Supports 'Global Goal: Unite For Our Future', James Wilson. (www.eupoliticalreport.eu)

وانظر: "المغرب هو أكبر مساهم إفريقي في الاستجابة العالمية لفيروس كورونا"، نشر وكالة المغرب العربي للأنباء:

www.mapexpress.ma بتاريخ: 2020/05/29.

وختاما:

إن ما بسطناه في هذا المقال من جهود المملكة المغربية في التصدي لجائحة "كوفيد-19" بقيادة جلالة الملك محمد السادس حفظه، ومن إشارات دولية بسياسته الحكيمة والمتبصرة ليُشعر كل مواطن مغربي بالفخر والاعتزاز بوطنه وملكه وشعبه الوفي، ويدعوه إلى مزيد لحمة وتضحية وتشبث بالعرش العلوي الشريف، لتُتَوَّج ملحمة الملك والشعب بالانتصار على هذه الجائحة، وتجاوز آثارها الاقتصادية والاجتماعية، فيغدو المغرب -بإذن الله- أقوى مما كان عليه تحت القيادة الحكيمة لأُمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله ونصره.

عناية جلالة الملك محمد السادس نصره الله السامية بقضية التعليم

(قبسات من خطبه ورسائله بمناسبة عيد العرش المجيد)

د. أنس عبد الهادي الحسيّن

تطوان

يخلد الشعب المغربي الذكرى العشرين لجلوس صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله على عرش أسلافه المنعمين، وهو حدث عظيم يظهر للقاصي قبل الداني أن الأمة المغربية تعتز بهذا العيد لما له من دلالات تاريخية، فملوك المغرب حافظوا على مر الزمن على تماسك وحدة هذا البلد، رغم ما تعرض له من مخاطر، أخطرها تلك التي كان الاستعمار من أكبر الفاعلين فيها، جابهها المغفور له محمد الخامس بكل حنكة وتبصر مدعوما من شعبه الوفي إلى أن نال المغرب استقلاله.

واحتفال المغاربة قاطبة هو مناسبة جليلة ينصتون فيها للعاهل الكريم، وهو يوجه خطابا ساميا يتضمن الخطوط العريضة لما أنجز، وما يخطط له مستقبلا حتى يرتقي المغرب إلى المرتبة، التي تليق بتاريخه التليد.

ومنذ اعتلاء جلالته سدة العرش في 30 يوليوز 1999م، ما فتئ حفظه الله في خطبه ورسائله السامية، ينير السبل لشعبه الوفي، ويوجهه الوجهة السديدة، التي تضمن له الرقي والحياة الكريمة.

وتعد قضية التربية والتعليم من أبرز القضايا، التي ظلت حاضرة بقوة في الخطب الملكية السامية لما يوليه جلالته للمسألة التعليمية من عناية واهتمام بالغين. فقد ارتأيت قبل عرض قبسات من خطب العرش في هذا الموضوع أن أتطرق إلى ما يمثله الاحتفال بالأعياد من رمزية ودلالة وإلى منبت فكرة الاحتفال بعيد العرش المجيد، ثم إلى أهمية قضية التعليم ضمن اهتمامات الملكين محمد

الخامس والحسن الثاني رحمهما الله ليتسنى لي إبراز المكانة، التي تتبوأها قضية التربية والتعليم لدى صاحب الجلالة محمد السادس، حفظه الله.

أولاً: رمزية الاحتفال بالأعياد ودلالاتها.

يعد العيد في حياة الأمم والشعوب، مناسبة فرح وسرور، وهو طريقة يراد بها إعادة النضارة والجدّة والشباب إلى الأشياء بعد أن تكون قد ذبلت بكر الغداة ومر العشي، وبالاحتكاك اليومي بها. ومنذ القديم، وإلى اليوم وما شاء الله يخلق الناس عدة مناسبات لإقامة الحفلات، فهم يعمدون إلى بعض المواقف الحساسة في حياتهم، ليلتمسوا مبرراً أو أكثر للوقوف عندها، منه ما هو أسطوري، ومنه ما هو ديني، ومنه ما هو تاريخي، ومنه ما هو اجتماعي أو فلسفي وما إلى ذلك، وكلها مبررات تخفي وراءها الباعث والمبرر الأساس للاحتفال بالمناسبات والأعياد.

عيد العرش المجيد، أو عيد البيعة يذكّرنا ببيعة الرضوان، التي بايع الصحابة الكرام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد وردت في قوله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: "لقد رضي الله عن المؤمنين، إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم، فأنزل السكينة عليهم..." وتأسيساً على هذه العروة الوثقى، بل والفريضة الملزمة انعقدت إمارة المؤمنين بالمغرب. ونظام البيعة هذا، يرتكز على مبدأ توثيق الحقوق والواجبات المتبادلة بين الراعي والرعية، المنسوجة بخيوط الحب والصدق والأمانة والوفاء، وهي ترتقي إلى مصاف التعاقد الديني والدستوري والوطني، وهي تحدد أوجه ومناحي المسؤولية المشتركة، التي تضع مصالح الدولة والأمة فوق كل الاعتبارات، انطلاقاً من مفهوم السيادة غير القابلة للتصرف، إلا وفق أحكام العلاقة الروحية والسياسية، التي تربط بين المتعاقدين اختياراً ووفاء، وبالخصوص أن البيعة في مضمونها تكون للملك باعتباره أميراً للمؤمنين، الذي يسهر على أمانة الاستخلاف في الأرض قولاً وفعلاً.¹

لقد كان منشأ العرش المغربي في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة، وكان نابعا من قوة الإيمان وصدق الشعب المغربي في اختيارهم عقيدة التوحيد ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وشدة تعلق المسلمين المغاربة بحب صاحب الرسالة المحمدية. ومن المعلوم أن المغاربة ما فتئوا يتلهفون لمعرفة من كانت له علاقة برسول الله صلى الله عليه وسلم، علاقة صحبة أو علاقة قرابة.

1 - ملك الإجماع الروحي، منشورات أوال ميديا، مطبعة إيديال، الدار البيضاء، ط1، ص: 135.

فعندما استفحل الخلاف بين بني علي وبني العباس في جزيرة العرب والشرق الأوسط، وبلغ الأمر منتهاه في وقعة فخ على بعد ثلاثة أميال من مكة سنة 169هـ، وقتل فيها كثير من بني علي، وفر إدريس ومعه مولاه راشد إلى مصر، ومنها إلى المغرب. وما إن عرف المغاربة إدريس الأول بأنه سليل المصطفى، حتى أجمع زعماء القبائل وقادتهم على اختياره رئيسا وزعيما وقائدا عليهم. وهكذا تأسس العرش المغربي من هذا التاريخ على تقوى من الله ورضوان... ولا يزال إلى اليوم وبعد أكثر من اثني عشر قرنا من الزمن لا تزيده الأيام إلا قوة وتماسكا وإشعاعا.

ثانيا: كيف نبنت فكرة الاحتفال بعيد العرش؟

إن الاحتفال بجلوس محرر هذا البلد على عرش أسلافه المنعمين، هي مناسبة يستحضر فيها ملوك الدولة العلوية الشريفة ما تحقق من عطاءات وإنجازات وعلى جميع الميادين الثقافية والسياسية والتعليمية والاجتماعية والقانونية والدينية والتنمية، وما ينتظر تحقيقه مستقبلا. إن هذه المسيرة التنموية الشاملة، التي يسير عليها المغرب بكل عزيمة وثبات عليها إنما هي انعكاس لسياسة رسمت منذ عهد التأسيس والاستقلال على يد الأب الروحي للمغاربة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وزعيم الوحدة والاستقلال المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني أدخله الله فسيح جناته، يتبعه في هذا النهج ابنه البار أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله، الذي يعمل بجهد وحزم وبكل إخلاص ووضوح على إرساء أسس دولة الحق والقانون والديمقراطية في عالم تتضارب فيه المصالح، ويعج بالمشاكل.

ويعود فضل انبثاق فكرة الاحتفال بعيد العرش إلى الصحافي محمد صالح ميسة صاحب "مجلة المغرب"، التي كانت تصدر باللغة العربية. وقد أشار عبد الهادي بوطالب في كتابه (ذكريات... شهادات... ووجوه) إلى ما يلي: "إن فكرة الاحتفال بذكرى تولية سيدي محمد خلفا لوالده السلطان مولاي يوسف راجت لأول مرة بواسطة محمد الصالح ميسة، فإليه يرجع التفكير في هذه المبادرة، ولكن جريدة (عمل الشعب)، التي كان ميسة من كتابها السريين، هي التي تبنت الفكرة ودعت إليها، بل ونفذتها على الصعيدين الوطني وجعلت السلطة الفرنسية أمام الأمر الواقع"².

2 - عبد الهادي بوطالب، ذكريات... شهادات... ووجوه، الجزء الأول، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ص: 267.

لقد دعت هذه الجريدة إلى جعل يوم 18 نوفمبر من كل سنة عيداً وطنياً لتخليد الذكرى بما يستحقه الجالس على العرش من تكريم وحفاوة، وأبرزت أن الوحدة الوطنية للمغرب المقسم إلى ثلاث مناطق نفوذ، لا يرسبها إلا وحدة العرش والتعلق بالجالس عليه.

وفي هذه المبادرة دليل ساطع على ما كانت تقوم به الصحافة الوطنية المغربية منذ نشأتها في خدمة قضايا البلد الجهورية، علماً بأن الأعلام، التي كانت تشتغل بها هي أعلام وطنية مخلصه لدينها ووطنها، متشبثة بالدفاع عن شرعية الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، وفضح مكائد المستعمر في النيل من شرعية ملكه.

وإذا كانت الحماية تجنب الاستجابة لهذا النداء، وتذرعت بأن السلطان كان موجوداً خارج العاصمة، فإن الحركة الوطنية، التي تحدث الإقامة العامة بالهتاف بالملك بدلاً من عاش السلطان، دشنت الاحتفاء بفاس في أجواء غير رسمية، حيث رفع لأول مرة العلم المغربي وصور السلطان. وفي تاريخ 31 أكتوبر 1934م، أشر المقيم العام الفرنسي "هنري بونصو" على أن يكون يوم 18 نوفمبر من كل سنة عيداً لتخليد ذكرى جلوس السلطان على عرش أسلافه الميامين. ومنذ بدء الاحتفالات وإلى حين استقلال المغرب، والذكرى تقام من لدن الشعب تحت شعار "الوحدة" أو "العرش بالشعب" و"الشعب بالعرش"، وهذا ما أشار إليه باني المغرب الحديث، الملك الحسن الثاني رحمه الله، وهو يتحدث عن احتفالات عيد العرش في عهد والده محمد الخامس رحمه الله: "لقد كان احتفال الملك والشعب بعيد العرش قبل الاستقلال في عهد والدنا محمد الخامس رضي الله عنه تعبيراً عن الفرحه باتخاذ إرادة الملك وإرادة الشعب وتجسيماً للازدهار بتصميم العزائم على المضاء انتزاعاً للحرية واسترداداً للسيادة"³.

إن هذا الارتباط بين العرش والشعب مستمر، فالشعب المغربي متشبث بالملكية، التي هي جزء من هويته وضامن لوحده، وهذا ما يجعلنا نردد مع ما قاله الملك محمد السادس نصره الله في الذكرى التاسعة لعيد العرش السعيد: "إن الملكية المواطنة تاج فوق رؤوس المغاربة في التزام دستوري عميق، ووفاء متبادل لعقد البيعة الوثيق، وللأرواح الطاهرة لبناء صرح الدولة المغربية العريقة".

3 - انبعاث أمة، ج/20، ص: 2.

ثالثا: قضية التعليم في صلب عناية الملكين محمد الخامس والحسن الثاني

تحتل قضية التعليم الصدارة في استراتيجية السياسة المغربية، وقد جعلها جلالة الملك محمد السادس نصره الله أولوية وطنية بعد قضية الوحدة الترابية. والحق أن الاهتمام حاصر بقوة في السياسة الملكية الرامية إلى بناء رجال الغد بناء قويا، منذ أمد بعيد. ففي خطاب العرش لسنة 1945م زف السلطان محمد بن يوسف إلى شعبه بشرى كانت تبدو عزيزة المنال، هي نجاحه في إرسال أول بعثة طلابية مغربية للدراسة في فرنسا من الشباب المحصلين على الشهادة الثانوية، ليواصلوا التعليم العالي هناك، فيرجعوا بعد تحصيل الشهادات والعلوم اللازمة لينهضوا بالمغرب إلى أعلى درجات الكمال.

وقد أوضح السلطان في خطابه وبالتفصيل، عدد أفراد البعثة المتوجهة إلى الخارج، وذلك حرصا منه على الاهتمام بالتعليم باعتباره المحرك الأساسي للنهوض بالمغرب، فكان أن خصص عشر منح من ماله الخاص لتخصصات الحقوق والطب وهندسة المعادن والصيدلة وعلوم الطبيعة.⁴

وذلك الحرص على العناية بالتعليم، أكدّه المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه "التحدي" بقوله: "لقد كان أبي مقتنعا اقتناعا ينزل نفسه منزلة الإيمان بأن التعليم له مركز الصدارة في قائمة احتياجاتنا، ولذلك بذل كل جهد في استطاعته، لكي يجعل السلطات التي بيدها مقاليد الحكم توفر التعليم الجماهيري الواسع لأمتنا"⁵. وفي معرض حديثه عن منجزات والده فيما يخص التعليم، قال الحسن الثاني: "لقد أتت أعمالك الطيبة نتائجها، فتم القضاء على الشعوذة والتدجيل واتجهت الأفكار للتعليم والإصلاح، فنظمت الجامعات العتيقة... وفتحت المدارس وكونت الكليات والمعاهد ودفعت هذا البلد الأمين في طريق الرقي والمدنية"⁶.

وفي عهد الملك الحسن الثاني كان التعليم، إحدى أولوياته الكبرى طيب الله ثراه، وهو الذي قال صيحته المباركة: "لا نرضى وفيينا جاهل". ولم يكتف جلالته بهذه المبادرة فقط، بل دعا إلى إنشاء جمعية الجامعات الإسلامية، كما احتضن المغرب المؤتمر الإسلامي التاريخي الأول سنة 1969م، وكان هدفه من وراء ذلك أن تكون للمنظمة الإسلامية معاقل للفكر الإسلامي من كليات وجامعات

4 - ذكريات... شهادات... ووجوه، ج1، ص: 183.

5 - التحدي، ص: 29.

6 - محمد الخامس فكرة وعقيدة، ص: 245.

ومعاهد إسلامية عليا في العالم الإسلامي. وقد سعت هذه الجمعية إلى تسطير عدد من النقاط المهمة، وضعت نصب أعينها النهوض بالتعليم على مستوى العالم الإسلامي بتوجيه من الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله.⁷

إن سياسة جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله بالعناية بالتعليم، كانت جلية، ظهرت في كثير من الأعمال، التي صبّت في تطوير الإنسان المغربي في علوم شتى، فقد أمر بتأسيس دار الحديث الحسنية في رمضان عام 1383هـ الموافق 1964م لدراسة الحديث وأصول الشريعة بمستوى يليق بمكانة الدار ومكانة المادة المدروسة، مما جعلها وجه المغرب المشرق وعنوان حضارته ومظهر كماله تتكفل بتخريج محدثين يحافظون على تقاليد هذا الفن الرفيع. كما شكّلت المجالس العلمية، التي رسم لها دور الوعظ والإرشاد والفتوى والتوعية الدينية الصحيحة والسليمة، طبقاً لمنهجية علمية عصرية متطورة تعتمد أسلوباً فعالاً وهادفاً، وما زالت هذه المجالس العلمية المباركة، تقوم بمهامها في عهد الملك محمد السادس نصره الله، الذي يعمل حفظه الله من حين لآخر على ضخ دماء جديدة في هياكلها لتكون في مستوى تطلعات جلالته.

وفي إحياء الملك الحسن الثاني رحمه الله للكراسي العلمية، بعدد من المدن المغربية، دليل آخر على الارتقاء بدور المسجد، بأن تصبح له وضعية تأطيرية يستفيد فيها عدد من المهتمين بالمواد الدينية وبشتى فنون المعرفة، وفي ذات الوقت توعية الفئات الشعبية بمقومات الأمة الروحية والأخلاقية، والتاريخية، وهو ما يتواصل في هذا العهد مع قائد البلاد جلالة الملك محمد السادس نصره الله لما فيه من خير لشعبه الوفي.

كما سن المغفور له الحسن الثاني رحمه الله الدروس الحسنية الرمضانية، وهي سنة حميدة من مراميها مضاعفة الذكر والعبادة وتدارس فنون العلم والمعرفة في شهر رمضان المبارك. وهذه الدروس، هي التي زادها توهجا وإشراقا، وارث سره أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله، كما فتح المجال في وجه المرأة المغربية لتلقي أمامه الدروس الرمضانية في خطوة توضح قيمة المرأة لدى جلالته، مما يمنح المغرب سمعة طيبة في بلدان العالم الإسلامي. وهذه الدروس، يحضرها علماء ومفكرون، وقد ذاع صيتها في مختلف الأقطار العربية والإسلامية.

7 - دعوة الحق، العدد السابع، يونيو 1976م، ص : 161.

ومن حرص جلالته على قطاع التعليم، ونظراته الحكيمة في تحصين مجتمعه، خاصة فئة الشباب من كل انزلاقات تهدد عقيدتهم، فإنه في خطاب العرش، الذي وجهه من مدينة فاس يوم السبت 03 مارس 1973م حذر من وقوع الشباب في متاهات غير ذات جدوى، تستهدف تقويض كل موروث نقي من عقائد وشرائع وأخلاق، حيث قال طيب الله ثراه: "... فعلى أولياء الأطفال وأرباب الأسر وعلى المعلمين والأساتذة وجميع القائمين بشؤون تربية الشباب وتهذيبه وتثقيفه أن يقدرُوا أبعاد الخطر، الذي يهدد المجتمع من جراء هذه الظاهرة ويؤدوا واجبهم على الوجه، الذي يضمن التوجيه الصحيح والتوعية الصالحة"⁸.

وفي نفس الخطاب، كان العاهل الحسن الثاني واضحا في تكوين الناشئة تكويننا متينا، خاصة على مستوى التعليم الأصيل، فقال رحمه الله: "وشعورا منا بأن التعليم الذي كان يضمن لناشئتنا التزام الجادة والحفاظ على المقومات أوشكت أركانها أن يصيبها التداعي والانحيار، فقد عكفنا على إحياء الأصالة مع مراعاة التفتح على متطلبات العصر، وسيفضي التعليم الأصيل بأبنائنا في نهاية المطاف إلى الإحاطة الواسعة بالعقيدة الإسلامية والشريعة المحمدية الغراء وحضارة آبائهم وأجدادهم ولغة كتاب الله العزيز كما سيفضي بهم إلى الأخذ بالنصيب الأول من العلوم، التي لا يمكن أن يستغني عنها كل شعب يتطلع إلى معرفة ما يبده الفكر البشري وإلى الإسهام في الإبداع والاختراع"⁹.

إن اقتناع المغفور له الحسن الثاني بدور التعليم التنموي طيلة حكمه، كان لافتا للنظر، ولم يغيب عن اهتماماته خلال فترة حكمه الرائدة، ففي آخر خطاب له بمناسبة عيد العرش في 03 مارس 1999م، دعا إلى تسريع وتيرة الشروع في إنجاز إصلاح هذا القطاع، الذي كان أمرا مستعجلا، وملحا لدى جلالته، داعيا إلى وضع جدولة زمنية محددة لتطبيقه تطبيقا سليما. وتماشيا مع ما كان يطمح إليه الملك الحسن الثاني بالنهوض بقطاع شغل باله طيلة مقاليد حكمه، فإنه قرر "تكوين لجنة خاصة يعهد إليها باقتراح مشروع إصلاح نظام التربية والتكوين وفق المنهجية والأهداف التي تم تحديدها في رسالة خاصة سنوجهها إلى مستشار جلالتنا السيد عبد العزيز مزيان بلفقيه الذي عيناه رئيسا لهذه اللجنة".

8 - دعوة الحق، العدد التاسع والعاشر، السنة الخامسة عشرة، ماي 1973م.

9 - نفسه.

وتابع جلالته كلامه وتوجه مباشرة إلى الشباب المعنيين بالأمر بقوله: "أجل إننا عازمون- أكثر من أية وقت مضى- على استثمار كل الوسائل الضرورية قصد إعدادك لخوض التنافس بنفس السلاح المتوفر لأمثالك في العالم من حوله، وفي أي ميدان من الميادين التي تخوضها، علمية كانت أم تكنولوجية، أو ثقافية، أو رياضية".

واقترء بنهج الملكين محمد الخامس والحسن الثاني رحمة الله عليهما في النهوض بالتعليم، والعناية بالفئة المستهدفة من تلاميذ وطلبة ورجال التعليم واصل مسيرتهما في هذا الشأن جلالة الملك محمد السادس نصره الله، الذي سنوضح بعد حين رؤية جلالته في أن لا تتأخر عجلة التعليم بتقديمه أفضل السبل الناجعة لبناء جيل الغد بناء يضاهاى الأمم المتقدمة.

رابعاً: التعليم ثاني أولويات الوطن بعد الوحدة الترابية عند جلالة الملك محمد السادس نصره الله

وكما كانت عناية الملكين السابقين المغفورين لهما محمد الخامس والحسن الثاني بقضية التعليم، بارزة في سياستهما فإن صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله سار على نفس نهج سلفيه، مدعوماً بدستور المملكة، الذي نص على "أن التعليم الأساسى حق للطفل وواجب على الأسرة والدولة، وأن الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية تعمل على تعبئة كل الوسائل المتاحة لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات على قدم المساواة من الحق في الحصول على تعليم عصري ذي جودة عالية".

لقد حرص الملك محمد السادس نصره الله على النهوض بالقطاع، الذي يأتي من حيث الأهمية لديه مباشرة بعد الوحدة الترابية، ولعل هذا ما تؤكد الخطب الملكية، الموجهة للشعب المغربي في عدة مناسبات وطنية، كما أن عديداً من الرسائل الملكية السامية، تبرز أن التعليم هو في صلب انشغالات جلالته.

لقد قدم جلالة الملك محمد السادس نصره الله في أول خطاب له لعيد العرش رؤيته للتعليم، الذي فضل أن يستبدله بالتربية، حين صادق على الميثاق الوطني للتربية والتكوين على اعتبار أن "التربية" متأصلة في الثقافة المغربية، وأن السنة العامة والخاصة تتحدث عن "التربى"؛ وهذا ما أشار إليه جلالته في خطابه السامى بتاريخ 30 يوليوز 2000م. وفي خطابه هذا، واعتباراً لمكانة رجال

التعليم في عملية الإصلاح عند الملك محمد السادس، قرر إحداث «مؤسسة محمد السادس للأعمال الاجتماعية لأسرة التعليم»، وهي مبادرة جلية، قوبلت بترحاب كبير من نساء ورجال التعليم، وهو اعتبار لهذه الشريحة المهمة في المجتمع.

وهذا الاهتمام بالعنصر البشري، نستحضره بكل وضوح في خطاب العرش لسنة 2002م، وهذا نص كلام جلالته: "عملا على تأهيل مواردنا البشرية فإننا قطعنا خطوات هامة في مجال إصلاح المنظومة التربوية، بيد أن هنالك خطوات كبرى ما زالت تنتظرنا في نهج سياسة تعليمية متناسقة. كما أن متابعة وتقييم وإغناء تفعيل إصلاح التعليم تتطلب تعزيز المهام التي تنهض بها بكل موضوعية ونزاهة اللجنة الخاصة بالتربية والتكوين وذلك في أفق إيجاد جهاز قار يتولى مهام التقييم المتجرد والشمولي للمنظومة التربوية في تعاون مثمر وتنسيق تام مع القطاعات المختصة، ومع جميع الفاعلين في هذا المشروع المصيري". وقد قمنا بإعطاء دفعة قوية لهذا الإصلاح بتنصيب مؤسسة محمد السادس للنهوض بالأوضاع الاجتماعية لأطر التربية والتكوين وتحسين وضعيتهم داعين الأسرة التعليمية للانخراط بحزم وعزم وغيره وطنية في هذا المشروع الكبيرة".

إن اهتمام أمير المؤمنين، جامع وشامل، فالتعليم العالي هو الآخر كان حاضرا في فكر الملك محمد السادس، ففي خطابه الثاني لعيد العرش المجيد دعا نصره الله إلى ضرورة خضوع إصلاح نظام التعليم العالي للتقويم المتجرد والمستمر مع تخصيصه اعتمادات مالية كفيلة بتطبيق مقتضيات الميثاق، وفي نفس السياق كان جلالته وفي رسالة موجهة إلى المشاركين في الندوة الدولية حول التعليم العالي في العالم العربي بتاريخ 13 مارس 2002م دعا أن تكون الجامعات فضاء لنشر المعرفة والثقافة وللتعلم والتشبع بقيم راسخة قميينة بجعل مواطني بلدان مختلفة أكثر من اليوم من مواطني عالم واحد، وهو نفس الاهتمام، الذي يولييه حفظه الله للتكوين المهني. ففي افتتاحه الدورة الأولى من السنة التشريعية الرابعة من الولاية التشريعية التاسعة بتاريخ 10 أكتوبر 2014م، قال نصره الله: "كما ينبغي إعطاء كامل العناية للتكوين المهني، ولإتقان اللغات الأجنبية، لتأهيل الخريجين لمواكبة التقدم التقني، والانخراط في المهن الجديدة للمغرب". وللإشارة، فإن المعرفة باللغات يقرب الأفهام من بعضها بعض، قال برغسون: "إن من يتقن لسان شعب ويتعرف إلى أدبه، لا يستطيع أن يكون عدوه تماما، وهو أمر ينبغي ألا ننساه عندما نطلب من التربية أن تمهد السبيل إلى التفاهم بين الأمم، فإن إتقان لسان أجنبي بأسلوب يجعل من الممكن أن تتشرب روحنا أدب هذا اللسان وحضارته. هذا الإتقان، قلت،

يستطيع أن يهدم دفعة واحدة سوء الظن الذي حاكته الطبيعة ضد الأجنبي عموماً¹⁰. وهي إلى ذلك لها هدف اجتماعي مهم، فكم من عدو لك قد تسترق قلبه، إذا حادثته بلغته، وكم من صديق قد يراك عدواً له إذا لم يكن بينكم ارتباط لغوي، إنها تقرب البعيد، فتجمع بين ما تنافر من أفكار وتباعد من مذاهب. وللتذكير أيضاً، فإن الملك الحسن الثاني، وفي خطاب ألقاه بمناسبة اجتماع لجنة إصلاح التعليم الأصيل في 10 يناير 1973م، كان قد شدد على أهمية تعلم اللغات الأجنبية، وقال بهذا الخصوص: "اللغة العربية لم تصبح لغة عالمية إلا بعد أن تعلم العلماء العرب اللغات الأجنبية التي بها ترجموا إلى العربية كتب الفلاسفة والمهندسين والحيصويين والأطباء الروم والفرس واليونان وغيرهم".

وإذا كان صاحب الجلالة محمد السادس نصره الله يضع النهوض بالتعليم المدرسي والجامعي من أولوياته، فإنه فتح المجال في وجه شريحة من مجتمعه من أجل محاربة الجهل من خلال استغلال فضاءات المساجد لمحو الأمية. وقد انطلقت عملية برنامج محو الأمية بالمساجد في سنة 2000م تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حيث ارتقى بدور التعبد في المساجد إلى مكان لمحاربة الأمية، وفتح المجال في وجه آلاف المستفيدات والمستفيدين من الذين لم تسعفهم الظروف في التمدرس على القراءة وتوسيع قاعدة بناء مجتمع ليس للأمية فيه مكان، عملاً بقوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق".

إن نظرة عاهل البلاد لا تنحصر في تسطير مجموعة من التوجيهات فحسب، وإنما نرى أن جلالتة لا يفوت أية مناسبة في تشخيص واقع التعليم ببلادنا بالوقوف على ما يعتريه من معوقات تحد من تطوره؛ ففي خطابه ليوم 30 يوليوز 2003م، نادى ملكنا الهمام حفظه الله بإيجاد بديل عن نظام تعليمي ينتج البطالة والانغلاق. وسيشير صاحب الجلالة في خطاب آخر له بعد عشر سنوات إلى الصعوبات، التي تواجه التعليم، حيث قال في خطاب له، والشعب المغربي يخلد الذكرى الستين لثورة الملك والشعب في 20 غشت 2013م: "إن قطاع التعليم يواجه عدة صعوبات ومشاكل، خاصة بسبب اعتماد بعض البرامج والمناهج التعليمية، التي لا تتلاءم مع متطلبات سوق الشغل، فضلاً عن الاختلالات الناجمة عن تغيير لغة التدريس في المواد العلمية من العربية إلى المستوى الابتدائي

10 - دعوة الحق، العدد السابع، يونيو 1976م، ص: 74.

والثانوي إلى بعض اللغات الأجنبية في التخصصات التقنية والتعليم العالي، وهو ما يقتضي تأهيل التلميذ أو الطالب، على المستوى اللغوي لتسهيل متابعته للتكوين الذي يتلقاه".

والحقيقة أن الملك محمد السادس، كان دقيقا في هذا الخطاب السامي، الذي أبدى فيه كثيرا من الملاحظات، ومما قاله حفظه الله: "أنه من غير المعقول أن تأتي أية حكومة جديدة بمخطط جديد خلال خمس سنوات، متجاهلة البرامج السابقة علما أنها لن تستطيع تنفيذ مخططاتها بأكملها، نظرا لقصر مدة انتدابها، لذا فإنه لا ينبغي إقحام القطاع التربوي في الإطار السياسي المحض، ولا أن يخضع تدبيره للمزايدات أو الصراعات السياسية".

وبالعودة إلى ذكرى اعتلاء جلالتة عرش أسلافه المنعمين بتاريخ 30 يوليوز 2009م، شدد رائد البلاد على إصلاح نظام التعليم، واعتبره مصيريا، حيث قال حفظه الله: "ويشكل الإصلاح القويم لنظام التربية والتعليم والتكوين، المسار الحاسم لرفع التحدي التنموي فعلى الجميع أن يستشعر أن الأمر لا يتعلق بمجرد إصلاح قطاعي، وإنما بمعركة مصيرية لرفع هذا التحدي الحيوي. سبيلنا إلى ذلك الارتقاء بالبحث والابتكار وتأهيل مواردنا البشرية، التي هي رصيدنا الأساسي لترسيخ تكافؤ الفرص، وبناء مجتمع واقتصاد المعرفة، وتوفير الشغل المنتج لشبابنا".

وأكد جلالتة ضرورة تجويد نظام التعليم ببلادنا انطلاقا من دور العنصر البشري في هذا الصدد، ويتضح هذا في الذكرى الحادية عشرة لجلوسه على عرش أسلافه الميامين، حيث قال جلالتة: "ويظل العائق الثالث، بل التحدي الأكبر، هو تأهيل الموارد البشرية، وهنا تجب المصارحة بأنه من مسؤولية الجميع، الإقدام على اتخاذ قرارات شجاعة لتحقيق الملاءمة بين التكوين العلمي والمهني والتقني، وبين مستلزمات الاقتصاد العصري، وتشجيع البحث العلمي والابتكار، والانخراط في اقتصاد المعرفة والاتصال، وبدون ذلك فإن النظام التعليمي، طالما واجه عراقيل ديموغرافية، حالت دون تفعيل الإصلاحات البناءة، سيظل يستنزف طاقات الدولة، ومواهب الفئات الشعبية في أنماط عقيمة من التعليم، تنذر بجعل رصيدنا البشري عائقا للتنمية، بدل أن يكون قاطرة لها".

ومما يظهر النظرة الحصيفة، والبصيرة النفاذة لجلالة الملك لهذا الميدان، ورغبته في أن لا يبقى محصورا في أيدي البعض، فإنه عمل خلال تنصيبه للمجلس الأعلى للتعليم بتاريخ 14 شتنبر 2006م

أن يكون هذا المجلس مكونا من آراء مختلفة ومنفتحا دوما على المهتمين والفاعلين وذوي الخبرة في هذا الميدان الحيوي، مما يجعله فضاء تعدديا للتشاور وتبادل الرأي، ومرصدا للتتبع الفعال وقوة اقتراحية حول قضايا التربية والتكوين.

والمطلع على السياسة الملكية في مجال التعليم، يقف على أن جلالة الملك محمد السادس نصره الله يعمل على تحسين التعليم العتيق والحفاظ على خصوصيته وعلى إشعاعه الثقافي والعلمي، سيرا على ما أقدم عليه والده الملك الحسن الثاني، وفي هذا قال جلالتة أمام المجلس العلمي الأعلى والمجالس الإقليمية العلمية في 30 أبريل 2004م ما نصه: "... وفي هذا السياق حرصنا على تأهيل المدارس العتيقة وصيانة تحفيظ القرآن الكريم وتحسينها من كل استغلال أو انحراف يمس الهوية مع توفير مسالك وبرامج للتكوين تدمج طلبتها في المنظومة التربوية الوطنية وتجنب تخريج الفكر المغلق وتشجيع الانفتاح على الثقافات..."

وختاما أخلص القول: إنه كان للملكين الراحلين نظرة ثاقبة لبناء الإنسان المغربي في وقت يعمل صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله على عدم ترك أية مناسبة في إبداء ملاحظاته السديدة من أجل النهوض بقطاع يعول عليه المغرب كثيرا، والذي يضمن له اللحاق بالأمم المتقدمة. وحرى بنا أن نؤكد أن الملك محمد السادس نصره الله واستنادا لما وقفنا عليه، يعمل على جعل كل مسؤول في هذا القطاع أمام مسؤولياته، ويحرك كل من يملك ضميرا وطنيا ومهنيا في هذا المجال الحيوي، الذي هو عماد تحقيق التنمية.

إن ما وقفنا عليه في هذا الموضوع من معطيات وحقائق عما خطه المغفوران لهما الملكان محمد الخامس والحسن الثاني، وما يقوم به وريثهما في قيادة هذا البلد الأمين نحو التقدم والازدهار بجعله قضية التعليم أساسية تأتي بعد قضية وحدتنا الترابية، فإن ذلك يستمد روافده من تعلق الملكية المغربية وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك محمد السادس بالإسلام، الذي دعا صراحة إلى طلب العلم، كما جاء في الأثر: "اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم". فهذا الأثر يقرر أن في تحمل المشاق وركوب المصاعب في سبيل طلب العلم حتى ولو اقتضى ذلك إلى الارتحال عن الوطن إلى بلد بعيد كالصين، إشارة إلى شرف العلم وعلو مكانة العلماء وأئمة المسلمين عند النبي صلى الله عليه وسلم، كما يؤخذ من خطابه صلى الله عليه وسلم أن اكتساب هذا العلم

الذي نسعى من أجله، قد يكون بلغة غير اللغة العربية وهذا معناه أيضا أن الإسلام يشجع على تعلم اللغات الحية، ويحث المسلمين على الأخذ بالحضارة العصرية عن طريق تلك اللغات.

وإن العمل بتوجيهات جلالة الملك محمد السادس نصره الله لكفيل بأن يحسن تعليمنا، ويضطلع بدوره في النهوض بمغربنا الحبيب، ويضمن تحصين الفرد والمجتمع من آفة الجهل والفقر، ولعل رسالته السامية للمشاركين في "اليوم الوطني الأول حول التعليم" بتاريخ 18 يوليوز 2018م بضرورة النهوض بأوضاع الطفولة لارتباطها بالتعليم المبكر، رسالة صريحة ورغبة ملكية في أن يكون أساس التعليم مبنيا على دعائم صلبة، وهذا ما نستشفه من كلام جلالته: "وإننا لنشيد بمبادرة عقد هذا اللقاء بالنظر لأهمية سياقه، حيث يندرج في إطار تفعيل الإصلاح التربوي، المنبثق عن الرؤية الاستراتيجية 2015-2030م الهادفة إلى إرساء مدرسة جديدة تركز في آن واحد على الإنصاف والمساواة، والجودة والارتقاء بالفرد وتقدم المجتمع، والتي نحن حريصون على تفعيلها".

وكلما استحضرنا ما يرسمه ملكنا الهمام من سياسة وحيية في التعليم، فإننا سنتجاوز كل المعوقات بحول الله حتى يكون مجتمعنا محصنا علميا، لا مكان فيه للأمية، التي يحاربها جلالته بشتى الطرق، كيف لا ونحن أمة أقرأ، وهي دعوة صريحة من خالق هذا الكون لمحاربة الجهل.

ثم إن توجيهاته السامية، التي يقدمها جلالته في عدة ذكريات خالدة، ومحطات هامة، هي جديرة بالتقدير والتنبؤ، لأن حرص أكبر سلطة في البلاد على تحسين التعليم، من شأنه أن يضمن لبلادنا السير بوتيرة تسير الأمم المتقدمة، وتمكن بلدنا من مواجهة تحديات العصر بكل عزيمة وثبات.

وإذ نحتفل بالذكرى العشرين لعيد العرش المجيد، لا بد من الإشادة بمسؤولياته الجسام، في مقدمتها أمن المغرب واستقراره وسلامته من شر الأشرار وكيد الكائدين، وجعله منارة عربية وإسلامية تساهم في صنع قطار الحياة والأخذ بعجلاته إلى شاطئ النجاة تحت قيادة نظرة جلالته السديدة.

هي 20 سنة من المسؤولية، تحظى بتجاوب كبير من الشعب. فالعرش والشعب يكونان بالمغرب وحدة لا تقبل التجزئة، لأنه إذا كان الملك في خدمة الشعب، فالشعب في خدمة ملكه بقلبه وجوارحه، وشغفه وإعجابه وتعلقه وامتثانه، وتلك حقيقتنا، تزيد هذه المملكة الشريفة تجذرا وامتانة في مواجهة عالم تحيط به المخاطر والاضطرابات.

مستقبل المغرب في إفريقيا للخبير الأمريكي حاييم مالك

تقديم وترجمة: د. حسن مومني ود. أحمد إيشرخان
باحثان في التاريخ والترجمة والدراسات الاستراتيجية -
الرباط.

سبق أن تحدثنا عن أهمية مراكز الدراسات الاستراتيجية في أمريكا، وعن الخبير الأمريكي حاييم مالكا (Haim Malka) نائب مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن (CSIS - Center for Strategic and International Studies)، حيث يشرف على عمل البرنامج حول المغرب الكبير. وتناولت بحوثه مجالات متنوعة، مثل: التطرف الديني، والاستراتيجيات الحكومية لمكافحة الإرهاب، والتغيرات السياسية والاقتصادية والأمنية في شمال إفريقيا. وله العديد من الدراسات التي تهتم بالمغرب، ذكرناها في مقدمة الدراسة التي سبق أن نشرناها في «دعوة الحق» تحت عنوان «المغرب يعيد اكتشاف إفريقيا»¹، ثم هذه الدراسة التحليلية التي بين أيدينا بعنوان "Morocco's African Future" والصادرة من قبل المركز في إطار برنامج الشرق الأوسط، ورغم كونها منشورة في أكتوبر 2013م. إلا أنها تضم معطيات مازالت فاعلة بقوة وتوقعات لسنوات تمتد إلى غاية 2020م، كما تتضمن الآفاق المستقبلية للمغرب لعقود مقبلة في القارة الإفريقية. فالدراسة تزخر بجملة من المعطيات الإحصائية والتوقعات المستقبلية بناء على تحليل علمي رصين. وهذا ما يظهر قوة المغرب الاقتصادية، وانخراطه دبلوماسيا وأمنيا وتنمويا في مجالات تهتم بتنمية إفريقيا.

1- يمكن الرجوع إلى مقال «المغرب يعيد اكتشاف إفريقيا» المنشور في «دعوة الحق» السنة التاسع والخمسون، العدد 421، رمضان 1438هـ/ يونيو 2017م.

وهي تبرز بوضوح الخطوات الاستراتيجية التي انتهجها المغرب نحو إفريقيا بناء على رصيده التاريخي وخبرته التنموية، ومن ذلك اعتماده على الانفتاح على دول إفريقيا من خلال العلاقات الثنائية أو من خلال المنظمات الدولية، وانخراطه في برامج المساعدات التنموية، وتوقيع الاتفاقيات التجارية وتحقيق التعاون الدبلوماسي. وكل ذلك مبني على إمكانيات المغرب الاقتصادية التي راكمها في مجموع الخدمات في مجالات مختلفة، مثال: الخدمات البنكية ومجال صناعة الأسمدة والمنتجات الزراعية والمستحضرات الصيدلانية، وغيرها من الخدمات والصناعات التي حقق فيها المغرب قفزة نوعية مما مكنه من تحقيق حضور اقتصادي في إفريقيا جنوب الصحراء. وقد تمكن المغرب بفضل انخراطه الدبلوماسي وتعاونه في المجال الأمني من تحقيق التعاون الفعال والمتعدد الأطراف من مواجهة التحديات التي تهدد دول إفريقيا، مثل: التهريب والهجرة السرية وتجارة السلاح وعبور المخدرات.

إن هذه الدراسة التحليلية لتبرز العمل الرائد الذي قام به وما زال صاحب الجلالة الملك محمد السادس، في جعل إفريقيا موضوعا رئيسيا في رؤية المغرب الاستراتيجية من خلال كثير من المبادرات الملكية في دعم مشاريع التنمية بإفريقيا، ولا نستطيع في هذه المقدمة التمهيدية ذكر كل المبادرات الملكية السامية في تشجيع تبادل التجارب والخبرة التي اكتسبها المغرب في مساره التنموي وتقاسمها مع إفريقيا.

وإلى جانب المساهمة في كل مجالات التنمية، فإن المغرب بقيادة عاهله ما فتئ يعبر في مختلف المناسبات عن مظاهر التضامن مع دول القارة، وقد ظهرت أسمى تجليات هذا التضامن ما بين المغرب وإفريقيا في العديد من المبادرات التي قادها صاحب الجلالة الملك محمد السادس، وكان آخرها مبادرة مواجهة جائحة الفيروس التاجي «كوفيد 19»، حيث بادر جلالته إلى اقتراح إطلاق مبادرة لرؤساء الدول الإفريقية تروم إرساء إطار عملياتي بهدف مواكبة البلدان الإفريقية في مختلف مراحل تدبيرها للجائحة. وذاك خلال محادثات هاتفية، مع فخامة السيد ألاسان واتارا، رئيس جمهورية كوت ديفوار، وفخامة السيد ماكي سال، رئيس جمهورية السنغال.

وقد لقيت هذه المبادرة الكريمة إشادة من مختلف المنابر الإعلامية والهيئات والمنظمات الدولية والإفريقية ومن بينها «البرلمان الإفريقي» الذي أشاد بمبادرة صاحب الجلالة الملك محمد السادس، الرامية إلى مواجهة وباء "كورونا" في القارة الإفريقية.

• نص المقال المترجم

• نظرة عامة

لقد بحثت الولايات المتحدة والمغرب منذ أزيد من عقد من الزمن عن سبل تعزيز علاقاتهما التجارية والاستثمارية من أجل خلق فرص عمل في كلا البلدين، ودعم النمو الاقتصادي واستقرار المغرب على اعتبار أنه حليف مهم لواشنطن. لكن اتفاقية التجارة الحرة (Free Trade Agreement-FTA) التي صدرت في عام 2006م لم ترفع بشكل كبير من حجم التجارة الثنائية أو توسع التعاون الاقتصادي بين البلدين.² وفي الواقع، فإن معظم الصادرات المغربية غير قادرة على المنافسة في أسواق الولايات المتحدة، بحيث يحتل المغرب حاليا المرتبة 80 على قائمة الشركاء التجاريين للولايات المتحدة.³ كما فشلت من جهة أخرى كل الجهود المبذولة لتشجيع التعاون الاقتصادي بين الدول المغاربية.

ونظرا لهذا الواقع واعتماد المغرب المفرط على أوروبا كمصدر رئيسي للسياحة⁴ والاستثمارات⁵ والتجارة⁶ والتحويلات المالية⁷، فإن الاستراتيجية الأكثر فعالية لتعزيز مزيد من النمو الاقتصادي

2 - تم التوقيع على اتفاقية التجارة الحرة في 15 يونيو 2004م ودخلت حيز التنفيذ في 1 يناير 2006م. أنظر:

"Morocco Free Trade Agreement," Office of the United States Trade Representative,

<http://www.ustr.gov/trade-agreements/free-trade-agreements/morocco-fta>.

3 - "Morocco," Office of the United States Trade Representative- Executive Office of the President, 2011,

<http://www.ustr.gov/countries-regions/europe-middle-east/middle-east/northafrica/morocco>.

4 - نصف عدد السياح الذين يزورون المغرب يأتون من إسبانيا وفرنسا، وتمثل السياحة ما يقرب من 9٪ من إجمالي الناتج المحلي. أنظر:

Paul Schemm, "Morocco Looks to UK, Germany to Beef Up Tourism," AP, April 10, 2013, <http://bigstory.ap.org/article/morocolooks-uk-germany-beef-tourism>; and "International Tourism, receipts (current US\$)," The World Bank, accessed June 12, 2013, <http://search.worldbank.org>.

5 - تمثل فرنسا وحدها ما يقرب من نصف تدفقات الاستثمار الأجنبي الداخلي المباشر في المغرب في عام 2012م. أنظر:

"Morocco Economy: Morocco leads North Africa in terms of FDI inflows," Economist Intelligence Unit ViewsWire, August 28, 2013.

6 - يتم تبادل ما يقرب من 60٪ من صادرات المغرب و50٪ من وارداته مع الاتحاد الأوروبي. أنظر:

Isabella Massa, Jodie Keane, and Jane Kennan, "The Euro Zone Crisis and Developing Countries," Overseas Development Institute Working Paper 345, London, Overseas Development Institute, 2012, <http://www.odi.org.uk/sites/odi.org.uk/files/odi-assets/publications-opinion-files/7688.pdf>, 5.

7 - تبلغ تحويلات الأموال، التي يأتي معظمها من المغاربة العاملين في أوروبا (40٪ من فرنسا)، 7٪ من الناتج المحلي الإجمالي للمغرب. أنظر:

وخلق فرص شغل إضافية ينبغي أن تركز على تقوية حضور المغرب في إفريقيا جنوب الصحراء. فالمغرب الذي يتمتع بميزة نسبية⁸ (a comparative advantage) في إفريقيا، ولديه تاريخ عريق من العلاقات الوثيقة، قادر على لعب دور فعال اقتصاديا وأمنيا ودبلوماسيا. لذا فالمغرب في حاجة ماسة إلى تنويع قاعدته الاقتصادية وتوسيع شبكته التجارية من أجل تلبية المطالب الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة لسكانه. وبالتالي فدعم حضور الرباط في إفريقيا في نهاية المطاف سيكون أكثر فائدة للمغرب وللولايات المتحدة من التركيز فقط على الرفع من حجم التجارة الثنائية.

تجمع المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء ولقرون روابط اقتصادية وسياسية وثقافية ودينية. وقد عمل المغرب بهدوء على مدى العقد الماضي على بناء وضع اقتصادي ودبلوماسي قوي في إفريقيا جنوب الصحراء. والآن فإن الديناميات الإقليمية والعالمية المتغيرة جعلت إفريقيا جنوب الصحراء عنصرا أكثر إلحاحا للبيئة الاقتصادية والجيو/سياسية في المغرب، مما دفع بالمغرب إلى تجديد جهوده لبسط نفوذه الاقتصادي والدبلوماسي في جميع أنحاء القارة.

إن إفريقيا ذات أهمية إستراتيجية للمغرب لعدة أسباب. أولا، لأنها توفر أسواقا نامية (Growing markets) لأكثر من 870 مليون نسمة، في وقت يحتاج فيه المغرب إلى تنويع علاقاته الاقتصادية. ثانيا، لأن الاضطرابات الإقليمية الناجمة عن الثورات العربية في عام 2011م، والاستيلاء على شمال مالي من قبل مسلحين لهم صلة بتنظيم القاعدة في عام 2012م، خلق وضعاً ملجأً جديدا حتم على المغرب تقوية شبكة حلفائه الإقليميين في غرب إفريقيا ومنطقة الساحل، مع تعزيز المزيد من التعاون الأمني المتعدد الأطراف. ثالثا، لأن المغرب يسعى لكسب دعم الدول الإفريقية لخطته للحكم الذاتي بالصحراء. وأخيرا، لأن إفريقيا هي حلبة دبلوماسية حيث يمكن للمغرب أن يضطلع بدور قيادي من خلال

= "Personal Remittances, Received (current US\$)," World DataBank, The World Bank, accessed June 12, 2013, <http://data.worldbank.org/indicator/BX.TRF.PWKR.CD.DT>; and "Moroccan Remittances Unaffected by Crisis," Nuqudy, February 13, 2012, http://english.nuqudy.com/North_Africa/Moroccan_Remittance-898.

8 - الميزة النسبية أو الأفضلية النسبية هو مبدأ أساسي في نظرية التجارة الدولية، وقد وضعه الاقتصادي السياسي الإنجليزي ديفيد ريكاردو David Ricardo في كتابه "مبادئ الاقتصاد السياسي والضرائب" On the Principles of Political Economy and Taxation في عام 1817م. ويشير المبدأ إلى قدرة دولة على التخصص في إنتاج وتصدير السلع والخدمات التي يمكنها أن تنتجها بتكلفة نسبية أقل مقارنة بدول أخرى منافسة، وذلك من خلال العوامل الإنتاجية المتوفرة لديها، وأبرز مثال على ذلك الميزة النسبية للصين التي تتوفر على عمالة رخيصة وتنتج سلعا استهلاكية بسيطة وبتكلفة أقل بكثير من دول أخرى كالولايات المتحدة الأمريكية. (المترجمان)

التوسط في المفاوضات حول الاتفاقيات الدبلوماسية وتسهيلها، وتسوية النزاعات، وصياغة أجنداث إقليمية، بصرف النظر عن عدم عضويته في الاتحاد الإفريقي⁹.

وقد عمل الملك محمد السادس باستمرار على تشجيع الشركات والوكالات الحكومية المغربية على توسيع أنشطتها، وجعل إفريقيا جنوب الصحراء جزءا رئيسيا من رؤية المغرب الإستراتيجية للنهوض بمصالحه. وقد اعتمد المغرب إلى حد كبير على إستراتيجية القوة الناعمة، بدعم مشاريع التنمية، واستضافة الآلاف من الطلاب الأفارقة في الجامعات المغربية، وتوفير التدريب العسكري، وتوسيع الاستثمار المغربي المباشر في إفريقيا جنوب الصحراء. وعلاوة على ذلك، لديه التجارب والخبرة، التي اكتسبها في مساره التنموي ومن خلال جهوده المبذولة لتحديث اقتصاده، ليتقاسمها مع الدول الإفريقية.

- استراتيجية المغرب في إفريقيا

إن توجه المغرب نحو الجنوب له جذور عميقة، فمنذ الاستقلال في عام 1956م نشط المغرب في الانفتاح على الدول الإفريقية سواء على المستوى الثنائي أو من خلال المنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة. وقد ركز سياسته في إفريقيا تقليديا على البحث عن الدعم الدبلوماسي لسيادته على الصحراء، مما دفع به إلى الانخراط في مجموعة برامج المساعدات التنموية، وتوقيع الاتفاقيات التجارية الثنائية، وتحقيق تعاون دبلوماسي أكثر اتساعا.

وهذه القوة الناعمة هي أكثر فعالية في غرب إفريقيا، والتي ليست قريبة جغرافيا فحسب، بل يتقاسم فيها المغرب مع الدول الفرنكفونية نفس اللغة والدين والعلاقات الثقافية، والحضور الدبلوماسي القوي، والعلاقات الواسعة في مجال الأعمال والتجارة. وما سهل هذه الروابط هي العلاقات الشخصية، والربط الجوي من خلال شركة الطيران الوطنية المغربية، والحضور البنكي القوي، وسياسات تبسيط إجراءات الحصول على التأشيرات، والعديد من الاتفاقيات التجارية واتفاقيات خفض التعريفات الجمركية. ويوجد لدى المغرب حاليا اتفاقيات تجارية مع أكثر من 15 دولة إفريقية، ولديه اتفاقية للتجارة الحرة مع الاتحاد الاقتصادي والنقدي لغرب إفريقيا (WAEMU - West African Economic and Monetary Union)¹⁰.

9 - استطاع المغرب بفضل قيادته الحكيمة أن يعود إلى الاتحاد الإفريقي في القمة الثامنة والعشرين المنعقدة بأديس أبابا والتي تميزت بالخطاب التاريخي الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك محمد السادس يوم الثلاثاء 21 يناير 2017. (الترجمان).

10 - كما أطلق المغرب مفاوضات لتوقيع اتفاقية للتجارة الحرة مع الاتحاد الاقتصادي والنقدي لإفريقيا الوسطى في عام 2012م.

وتتوفر إفريقيا جنوب الصحراء على إمكانيات هائلة كسوق للسلع والخدمات المغربية. وعلى الرغم من أن القارة تستأثر بـ 3٪ فقط من الاقتصاد العالمي، إلا أنها تضم عددا كبيرا من السكان، وتمثل سوقا ناشئا (Emerging market) جذابا من المتوقع أن يشهد نموا هائلا على مدى العقد المقبل. وترى وحدة إيكونوميست للمعلومات (EIU - Economist Intelligence Unit) أن إفريقيا لديها "إمكانيات هائلة وشاملة للاستثمار في جميع الأسواق ما دون الناشئة"¹¹ (Frontier markets)¹². وفي الوقت الذي يستقطب فيه التعدين والصناعات القائمة على الموارد اهتماما أكبر في إفريقيا جنوب الصحراء، فإن الطلب على السلع الاستهلاكية أخذ في الارتفاع بفضل نمو الطبقة المتوسطة، لاسيما في الاقتصاديات الإفريقية الكبرى. وتشمل مجالات النمو الواعدة ما يلي: القطاع الزراعي، والبنية التحتية، والخدمات البنكية، والسلع الاستهلاكية.

إن الصادرات المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء آخذة في التوسع، رغم أنها لا تزال تشكل أقل من 5٪ من إجمالي صادرات المغرب. فقد ارتفعت صادراته الموجهة إلى إفريقيا جنوب الصحراء بين عامي 2000م و2010م بأكثر من ثلاث أضعاف، من 248 مليون دولار إلى 849 مليون دولار (مما جعل الصادرات المغربية تقترب من صادرات الولايات المتحدة، التي وقفت تقريبا في 995 مليون دولار في عام 2011م).¹³ وقد نما القطاع الصناعي المغربي على مدى العقد الأخير، منتقلا من 5.9 مليار دولار في عام 2002م إلى 14 مليار دولار في م 2011¹⁴، مع أن حصته كنسبة مئوية من الناتج

11 - الأسواق ما دون الناشئة (Frontier markets)، ويشار إليها كذلك بالأسواق المبتدئة أو الحدودية، هو مصطلح اقتصادي دولي يستخدم لتصنيف أسواق الأسهم الأصغر من الأسواق الناشئة (Emerging markets)، والتي بدورها هي أصغر من الأسواق المتقدمة (Developed markets). وتختص في وضع هذا التصنيف مؤسسة موركان ستانلي كاييتال إنترناشيونال (Morgan Stanley Capital International "MSCI") وهي الشركة الأمريكية الرائدة في توفير مؤشرات الأسهم العالمية، والمدرجة في بورصة نيويورك تحت الرمز: NYSE:MSCI.

أنظر: <http://www.msci.com/market-classification> (الترجمان)

12 - تتوقع وحدة إيكونوميست للمعلومات أن ينمو أكثر من نصف بلدان القارة، البالغ عددها 54، بنسبة أكثر من 5٪ سنويا بين عامي 2012م و2016م، وأن تنمو خمسة دول أخرى بنسبة 7.7 إلى 10٪. فمن المنتظر أن تعرف إثيوبيا وليبيريا وموزامبيق والنيجر وأوغندا نموا بين 7.5 و10٪. علما أن جميع أرقام الناتج المحلي الإجمالي الإفريقي هي موضوع للنقاش. أنظر: "Into Africa".

A Special Report on Emerging Opportunities for Business," Economist Intelligence Unit, 2012, 1-3.

13 - ارتفعت الواردات من إفريقيا جنوب الصحراء خلال نفس الفترة من 248 مليون دولار إلى 531 مليون دولار. أنظر:

"Morocco's Trade Performance on the sub-Saharan African Market," April 2012, Kingdom of Morocco Ministry of Economy and Finance <http://www.finances.gov.ma>.

14 - "Morocco; Manufacturing; Value Added (current US\$)," World DataBank, The World Bank, accessed October 23, 2013, <http://databank.worldbank.org/data/views/reports/chart.aspx#>.

المحلي الإجمالي GDP قد انخفضت بشكل طفيف بسبب المنافسة في قطاع النسيج، حيث انتقلت من 17% إلى 15% من الاقتصاد المغربي.¹⁵ وبالتالي سيكون التحدي بالنسبة للمغرب هو توسيع قاعدته التصنيعية لإنتاج السلع، مُتجاوزا القطاع الزراعي الذي له القدرة على التنافس في أسواق إفريقيا جنوب الصحراء.

ولن يكون ذلك سهلا، لكن المغرب يتمتع ببعض المزايا النسبية في غرب إفريقيا. فمن جهة، تعرضت شركاته لأقل المخاطر مقارنة ببعض الشركات الأوروبية، التي باعت حصصا كبيرة في المنطقة على مدى الخمس سنوات الماضية. وهذا التوجه سرّعه الشركات المغربية الناضجة التي كانت تسعى إلى تحقيق نمو وهوامش أعلى مما يمكن أن تجده في الأسواق المحلية. وعرفت بعض الصناعات منافسة محلية أكثر صرامة مما أجبر الشركات على البحث عن أسواق جديدة. إضافة إلى ذلك، فإن تكاليف اليد العاملة المغربية وهياكل التكلفة هي أقل من نظيراتها في أوروبا (وإن كانت مرتفعة عموما بالنسبة للمنطقة)،¹⁶ مما جعل الخدمات والمنتجات المغربية أكثر قدرة على المنافسة من الشركات الأوروبية.¹⁷ وعلى وجه العموم، فإن القطاعات الاقتصادية المتقدمة في المغرب تُكمل قطاعات إفريقيا جنوب الصحراء التي تُعد بنمو وطلب كبيرين خلال العقد المقبل، خصوصا قطاعات الزراعة والصيدلة والاتصالات والخدمات.

غير أن صادرات المغرب إلى إفريقيا تتوزع بشكل غير متساو في جميع أنحاء القارة، بحيث تذهب أكثر من 60% من صادراته إلى غرب إفريقيا، وما يقرب من 28% تذهب إلى وسط إفريقيا، وأقل من 3% إلى إفريقيا الجنوبية.¹⁸ وبما أن المغرب يعمل على تنويع علاقاته الاقتصادية بعيدا عن الاعتماد على أوروبا، ينبغي عليه أن ينوع صادراته وعلاقاته التجارية على نطاق أوسع في إفريقيا، وبخاصة مع القوى الاقتصادية الكبرى التي تعد بنمو أكبر، مثل: نيجيريا وجنوب إفريقيا. لكن

15 - "Morocco; Manufacturing; Value Added (% of GDP)," World DataBank, The World Bank, accessed October 23, 2013, <http://databank.worldbank.org/data/views/reports/tableview.aspx#>.

16 - رغم أن إنتاج الوحدة في المغرب هي أقل من نظيرتها في أوروبا، فهي تبقى مرتفعة بالنسبة للمنطقة ومقارنة مع بعض البلدان الآسيوية.

17 - وفقا لأحد المحللين فإن تكلفة العمال في المنشأة الرئيسية لتصنيع السيارات في المغرب هي أقل بنسبة 50% من نظيرتها في مصنع مماثل في رومانيا. أنظر:

Bruce Gain, "Renault expands Morocco plant to meet strong Dacia demand in Europe," Automotive News Europe, October 9, 2013, <http://europe.autonews.com/article/20131009>.

18 - المرجع نفسه.

يبقى هذا الجهد مقيدا إلى حد كبير بالتوتر السياسي، خصوصا حول الصحراء. وليس من قبيل المصادفة أن الكثير من علاقات المغرب الأوثق في غرب إفريقيا هي مع الدول التي تعترف بسيادة المغرب على الصحراء، بمعنى أن علاقاته الاقتصادية تُحدِّدُها علاقاته الدبلوماسية. أما علاقاته مع الدول التي تعترف بالجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية (المرعومة)¹⁹ فتميل إلى أن تكون أضعف بكثير. وبالإضافة إلى تنويع شركائه، يحتاج المغرب إلى تنويع منتجاته للتصدير بعيدا عن قطاع الموارد الطبيعية إذا كان يريد الفوز بحصة في أسواق السلع الاستهلاكية المستقبلية في إفريقيا.

وبالتالي، لكي يكون المغرب لاعبا رئيسيا في إفريقيا، فهو بحاجة ليس فقط إلى تنويع وتعزيز قاعدته الصناعية من أجل زيادة الصادرات، بل أيضا بحاجة للتغلب على التحديات الدبلوماسية المرعجة التي أبقت المغرب خارج الاتحاد الإفريقي، ووترت العلاقات مع بعض القوى الاقتصادية الكبرى في إفريقيا. ويتمثل أحد الخيارات في الحفاظ على التركيز على غرب إفريقيا الفرانكفونية. وقد اضطلع المغرب بدور فعال في تجمع دول الساحل والصحراء (CEN-SAD)، كما أنه يتعاون بشكل متزايد مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (The Economic Community of West African States - ECOWAS). ومع ذلك، فالتركيز الإقليمي يعني أساسا أن المشاركة المغربية في إفريقيا تقتصر على عدد محدود من الدول، وسيكون معتمدا على الاتجاهات الاقتصادية في غرب إفريقيا. ومن شأنه أيضا أن يتجاهل بعض الاقتصادات الكبرى في إفريقيا. لكن المسار الأكثر صعوبة - والذي سيكون أكثر إستراتيجية ويوفر منافع على المدى الطويل - ينبغي أن يركز على بناء علاقات مع القوى الاقتصادية الكبرى في إفريقيا، والتي يعترف العديد منها بالجمهورية الصحراوية (الوهمية)²⁰. ولا يمكن للمغرب أن يحقق كامل إمكاناته في إفريقيا دون إقامة علاقات أفضل مع هذه البلدان، الأمر الذي يتطلب اقتناص الفرص الاقتصادية والدبلوماسية كما لو لم يكن هناك نزاع حول الصحراء.

19 - هي دولة وهمية وكيان مصطنع من طرف خصوم المغرب، غير معترف بها لدى جميع المنظمات الدولية بما فيها الأمم المتحدة، وقد تم إقحامها في منظمة الاتحاد الإفريقي بواسطة شراء الدم سنة 1984م بصفة غير قانونية. وقد تم سحب الاعتراف بها من طرف العديد من دول إفريقيا. (المترجمان).

20 - بادرت العديد من الدول في إفريقيا وفي العالم إلى سحب اعترافها بهذه الجمهورية الوهمية، كما بادرت العديد من الدول إلى فتح قنصلياتها في مدن الصحراء المغربية في كل من الداخلة والعيون. (المترجمان).

- إمكانات المغرب الاقتصادية في إفريقيا

إن الخدمات البنكية والأسمدة والمنتجات الزراعية والمستحضرات الصيدلانية هي صناعات مغربية راسخة ولديها إمكانات نمو كبيرة في إفريقيا جنوب الصحراء. وقد مهدت البنوك المغربية الطريق لإقامة الحضور الاقتصادي للبلاد في إفريقيا جنوب الصحراء.

وقد مرت الخدمات البنكية في المغرب بسلسلة من الإصلاحات في التسعينيات وأصبحت أكثر مهنية وشفافية. واليوم هناك ثلاثة بنوك مغربية تُصنّف ضمن أكبر عشرة بنوك في إفريقيا، بحيث تمتلك أكثر من 90 مليار دولار في الأصول.²¹ وتتواجد البنوك المغربية في 22 دولة إفريقية. وقد كان الدافع وراء التوسع في البنوك الإفريقية في جزء منه هو عمليات الاقتناء، بما في ذلك الاقتناء من المؤسسات المالية الأوروبية التي باعت حصصا في البنوك الإفريقية خلال الأزمة المالية في الفترة الممتدة من 2008م إلى 2009م. وستظل الخدمات البنكية وغيرها من الخدمات الأخرى مثل التأمين عنصرا هاما من إستراتيجية المغرب الاقتصادية الأكثر تنوعا. إن إمكانات النمو هائلة لأن أربعة من أصل خمسة أفارقة لا يتوفرون على حسابات بنكية. وخدمات المغرب البنكية المتطورة تضعه في موقف قوي للظهور كمركز بنكي وخدماتي لشمال وغرب إفريقيا. وبالفعل، فالشركات مثل آي بي إم (IBM) يرون المغرب كمركز هام وبوابة للوصول إلى البلدان الإفريقية الفرانكفونية الأخرى. وتدير شركة آي بي إم (IBM) مراكز للاتصال في المغرب حيث قامت مؤخرا بافتتاح مركز تسليم عالمي (Global Delivery Center) في الدار البيضاء يهدف إلى توفير خدمات متطورة في جميع أنحاء المنطقة.²²

وقد ساعدت الخدمات البنكية في تمهيد الطريق أمام الصناعات المغربية الأخرى للتوسع في إفريقيا. وتمثل المنتجات الزراعية حاليا أكبر حصة (37٪) من الصادرات المغربية إلى إفريقيا جنوب الصحراء. وكما هو الحال في القطاع البنكي، هناك إمكانية لتوسيع صادرات المغرب، خاصة من خلال توفير إمدادات ثابتة من الأسمدة، وهو أمر بالغ الأهمية لتوسيع القطاعات الزراعية في إفريقيا

21- "Insights on the New Moroccan Strategy for Sub-Saharan Africa," Attijariwafa Bank, Presentation, June 2012.

22 - انظر:

"IBM Announces Morocco Global Delivery Center, Creates up to 400 New Technology Roles," IBM press release, July 5, 2013, <http://www-03.ibm.com/press/us/en/pressrelease/41381.wss>.

جنوب الصحراء والحصول على الأغذية المزروعة محليا. فالأراضي المزروعة لا تتعدى واحد على عشرة من الأراضي بإفريقيا، والمحاصيل الزراعية هي من بين الأدنى في العالم.²³ ويعد المغرب منتجا رئيسيا للفوسفات، وهو مكون رئيسي للأسمدة، وبما أنه يقوم بتوسيع صناعته التحويلية للأسمدة، فهو في وضع جيد ليبرز كمورد رئيسي لإفريقيا. وقد أدركت شركة الأسمدة المملوكة للدولة المغربية (المكتب الشريف للفوسفات) أهمية هذه الإمكانيات، وهي تعمل بالفعل مع دول إفريقية لإنتاج أسمدة ملائمة لمحاصيل مُحَدَّدة، (مثل: الكاكاو والقطن والذرة) ولتلبية احتياجات نوعية التربة والظروف المناخية لإفريقيا.

كما طور المغرب أيضا ثاني أكبر قطاع لصناعة الأدوية في إفريقيا. ورغم أن صادرات المغرب لا تمثل سوى حوالي 10٪ من إنتاجه، فإن معظمها يباع في شمال وغرب إفريقيا. وتعتبر سوطيما (SOTHEMA) (الشركة المغربية للعلاج - Société de Thérapeutique Marocaine)، إحدى أكبر شركات الأدوية المغربية، وهي تدير شركة تابعة لها في السنغال تسمى فارما غرب إفريقيا (West Africa Farma) والتي تركز على إنتاج الأدوية الجنيسة لأسواق غرب إفريقيا.²⁴ ومن المتوقع أن يصل سوق الأدوية في إفريقيا إلى 30 مليار دولار بحلول عام 2016م ويقفز إلى 45 مليار دولار بحلول عام 2020م²⁵، مما يجعله سوقا محتملا مهما لشركات الأدوية المغربية.

إن الموقع الجغرافي للمغرب، وميناء طنجة المتوسطي على وجه الخصوص، يمنحه ميزة القرب من الأسواق الإفريقية الرئيسية بالإضافة إلى اليد العاملة الإفريقية المخفضة التكلفة. ومن ثم فإنه من المفيد أيضا دراسة الصناعات الأخرى الناشئة في المغرب، والتي يمكن أن تساعد في بناء قاعدة للصناعات التحويلية في المغرب بهدف التصدير إلى الأسواق المجاورة في المستقبل. وتعتبر صناعة السيارات إحدى هذه القطاعات. وقد استثمرت شركة رينو (Renault) الفرنسية لصناعة السيارات

23 - وحدة إيكونوميست للمعلومات، "Into Africa" (إلى إفريقيا)، لاحظوا أنه يصعب القيام بحساب دقيق للأرقام المتعلقة باستخدام الأراضي في إفريقيا بسبب عدم وجود حيازة رسمية للأراضي وحقوق الملكية في بلدان كثيرة.

24 - "A Success Story from Morocco - SOTHEMA," Manufacturing Journal Magazine, <http://www.manufacturing-journal.net/index.php/articles/pharmaceutical-industry/975-a-successstory-from-morocco-sothema>.

25 - IMS, "Africa: A Ripe Opportunity-Understanding the Pharmaceutical Market Opportunity and Developing Sustainable Business Models in Africa" 2012, http://www.imshealth.com/ims/Global/Content/Insights/Featured%20Topics/Emerging%20Markets/IMS_AfricaOpportunityWhitepaper.pdf

في هذا القطاع، وهي تدير حاليا منشأتين للإنتاج في المغرب يشتغل فيهما أكثر من 3000 شخص.²⁶ كما بدأت الشركة الكندية المصنعة لطائرات بومباردي (Bombardier) مؤخرا بناء مصنع بقيمة 200 مليون دولار لإنتاج قطع غيار لطائراتها من نوع سي. آر. جي. (CRJ) وليرجيت (Learjets) والذي من المنتظر أن يفتتح عام 2014م²⁷. وتدير كل من شركة بوينغ (Boeing) وشركة سافران (Safran) الفرنسية بشكل فعلي منشآت في المغرب لتجميع الكابلات وحزم أسلاك التوصيل لفائدة شركات بوينغ وجينرال إلكتريك وداسو للطيران، وإيرباص.²⁸ وبالإضافة إلى تصنيع قطع غيار الطيران، يدير المغرب منشأة لصيانة الطائرات وتقديم الخدمات المعروفة باسم الصناعات التقنية للطيران (Aerotechnic) والتي افتتحت في عام 2005م، وهي تقدم الخدمات لإيرباص A320 وأسطول الخطوط الجوية الملكية المغربية من طراز بوينغ s737.²⁹ وقد فتحت الحكومة المغربية معهدا لتدريب العاملين في صناعة الطيران.

ولا يمكن لأي من هذه المرافق الإنتاجية بمفردها تحويل اقتصاد المغرب أو قطاعه التصنيعي، لأن أغلبها يُوظف قوى عاملة صغيرة. فعلى سبيل المثال، يُتَوَقَّع أن يُشغل مصنع بومباردي 100 عامل فقط من العمال المدربين وبدوام كامل بمجرد فتح أبوابه. علاوة على ذلك، فإن معظم القطاعات المتقدمة تُوجَّه نحو الأسواق الأوروبية. ومع ذلك، يمكن لهذه الصناعات مُجْتَمِعة أن

26 - تدير شركة رينو Renault حاليا مصنعا جنوب مدينة الدار البيضاء والذي يُشغل 1200 عامل على خطين للإنتاج، يعملون على تركيب السيارات من نوع كانكو Kango المتعددة الأغراض والمُوجَّه للسوق المحلية وكذلك للتصدير إلى الأسواق الإسبانية والفرنسية. وفي عام 2012م، بدأ مصنع رينو-نيسان قرب ميناء طنجة المتوسطي في إنتاج سيارة عائلية وشاحنة صغيرة. وتبلغ الطاقة الإنتاجية للمصنع 200.000 سيارة سنويا، ومن المتوقع أن يقفز هذا الرقم إلى 340.000 سيارة سنويا في عام 2014م. وقد شغل المصنع في عام 2012م أكثر من 2000 شخص، والذي من المنتظر أن يقفز إلى 5000 مع زيادة الإنتاج. كما يتوقع أن يتم تصدير ما يقرب من 90٪ من الإنتاج إلى الأسواق الأوروبية في المقام الأول. أنظر:

"Renault in Morocco," <http://www.renault.com/en/Groupe/renault-dans-le-monde/Pages/renault-aumaroc.aspx>; and Bruce Gain, "Renault expands Morocco plant."

27 - يقدم المغرب شروطا استثمارية مواتية للمصنعين الأجانب بما في ذلك حوافز الإعفاءات الضريبية. وتنتج شركة بومباردي حاليا أجزاء الطائرات في منشأة مؤقتة خارج مدينة الدار البيضاء.

28 - لقد وسعت شركة سافران صناعتها لتشمل تصنيع علب محركات الطائرات من مواد بلاستيكية متطورة. أنظر:

Daniel Michaels, "Morocco's Aviation Industry Takes Off," The Wall Street Journal, March 20, 2012/, <http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424052970204059804577226763868263758>.

29 - Aerotechnic Industries Joint Venture Moves to New Phase," Airlines Africa, April 15, 2013, <http://airlines-africa.com/?p=201>.

تضع الأساس لقاعدة تصنيع أوسع تمتاز بهيكل تكلفة (Cost structure) أقل من تكلفة المصنعين الأوروبيين وبقرها من الأسواق الناشئة في إفريقيا.

والمفتاح بالنسبة للمغرب هو استخدام الأساس الموجود لديه في صناعة السيارات والصناعات الأساسية للطيران، لخلق قاعدة صناعية أوسع من الصناعات التابعة والمتعددة الفروع، التي يمكن وضعها لتلبية طلب الأفارقة المتزايد على السلع الأخرى. ويمكن أن يساعد التقييم الشامل لكل من قدرات التصنيع الحالية في المغرب والأسواق المستهدفة في جنوب الصحراء على بلورة مقارنة أكثر استراتيجية. وينبغي لمثل هذه الدراسة أن تُحلّل اتجاهات الطلب على السلع الاستهلاكية في البلدان الإفريقية المستهدفة، والمنتجات المصنعة والمصدرة من قبل الشركات المنافسة في تلك الأسواق، وتقدم تقييما صريحا لقدرات المغرب على تطوير منتجات تنافسية لتلك الأسواق.

وبالنظر إلى ركود السوق الأوروبية، والافتقار إلى الإرادة السياسية لتعميق التعاون الاقتصادي المغربي، ومحدودية التجارة مع الولايات المتحدة، فإن خيار المغرب الأهم لإيجاد أسواق جديدة يكمن في إفريقيا. ويتمثل التحدي الذي يواجهه المغرب في تسويق مكانته الحالية في الخدمات والمستحضرات الصيدلانية والأسمدة بشكل أكثر فعالية على المدى القصير، وفي نفس الوقت بناء قاعدة صناعية طويلة الأمد لإنتاج السلع التي يرغب المستهلكون الأفارقة في شرائها والقادرة على المنافسة في السعر والجودة. ويجب أن تعمل كلتا الاستراتيجيتين في نفس الآن على توسيع أسواق المغرب في غرب إفريقيا، مع فتح أسواق جديدة في مناطق إفريقيا الأقل استضافة سياسيا. وفي الوقت الذي كان الرأس المال الأجنبي متاحا للمغرب خصوصا من الخليج، فقد تم توجيهه أساسا نحو القطاعين العقاري والسياحي، بدلا من التصنيع. ومن أجل وضع استراتيجية تصدير ناجحة تركز على إفريقيا، سيتعين على المغرب إقناع المستثمرين المحليين والأجانب بتوفير رأس مال أكبر للتصنيع. ويمكن لدول مجلس التعاون الخليجي (GCC - The Gulf Cooperation Council) على وجه الخصوص الذين لديهم مصلحة مباشرة في تعزيز الاستقرار الاقتصادي في المغرب أن يلعبوا دورا في دعم استراتيجية اقتصادية مغربية موجهة نحو التصدير. أما اجتذاب شركات الولايات المتحدة، والشركات الأوروبية، وغيرها من الشركات سيتطلب بذل جهود متواصلة لجعل الأعمال التجارية أكثر شفافية وتنافسية وأقل بيروقراطية. وسيطلب ذلك أيضا توسيع نطاق الإصلاح التعليمي لتلقين المهارات التقنية المناسبة لوظائف التصنيع الأكثر تقدما. ويلزم إجراء مزيد من

البحوث لتحديد قطاعات معينة تتناسب مع الميزة النسبية للمغرب وقدرته الإنتاجية مقارنة مع الطلب الحالي والمستقبلي في إفريقيا جنوب الصحراء.

- الانخراط الدبلوماسي والأمني

ما دام المغرب يتطلع إلى توسيع قاعدته الاقتصادية، فإن الفرصة متاحة له لمواصلة توسيع قدرات قوته الناعمة في إفريقيا والتي تعزز التعاون المتعدد الأطراف، ولا سيما في المجال الأمني. وقد دعى المغرب باستمرار لمزيد من التعاون الأمني المتعدد الأطراف في المغرب الكبير والساحل لمواجهة التحديات المشتركة المتمثلة في التهريب غير المشروع والإرهاب. ويتعاون المغرب حاليا مع 22 بلدا إفريقيا بشأن مكافحة المخدرات ونزع السلاح والهجرة والقرصنة وحل النزاعات.³⁰ وهذا أمر ملح بسبب تزايد انعدام الأمن في منطقة الساحل والمغرب الكبير. كما يستضيف المغرب ما يقرب من 6500 طالب إفريقي من 42 دولة سنويا للدراسة في المغرب،³¹ ويستضيف ضباطا عسكريين، معظمهم من غرب إفريقيا، في الأكاديمية الملكية العسكرية بمكناس. كما وقع مؤخرا اتفاقية مع حكومة مالي الجديدة لتكوين 500 إمام مالي في محاولة لتعزيز صيغة إسلام أكثر تسامحا.³²

وأحد الأماكن المتعدد الأطراف حيث يسعى المغرب إلى لعب دور أكبر هو تجمع دول الساحل والصحراء (CEN-SAD)، وهو أحد التجمعات الإقليمية الثمانية للاتحاد الإفريقي. وقد تم تأسيس تجمع دول الساحل والصحراء من أجل تعزيز المزيد من التعاون الاقتصادي والتنمية في المنطقة، وهو يركز على منطقة جغرافية حيث يتوفر المغرب على مصالح أمنية مباشرة وعلاقات ثنائية قوية، والتي لا تشمل الجزائر كعضو.³³ وقد حاول المغرب توجيه المجموعة لمعالجة القضايا الأمنية

30 - انظر:

"DASD Huddleston and Admiral Moeller Discuss Cooperation with Key Moroccan Officials," U.S. State Department cable released by Wikileaks, <http://cablegatesearch.net/cable.php?09=RABAT899&q=admiral%20and%20dasd%20discuss%20huddleston%20moeller%20morocco>.

31 - انظر:

"Statement by His Excellency Dr. Saad Dine El Otmani, Minister of Foreign Affairs and Cooperation of the Kingdom of Morocco," <http://www.diplomatie.ma>.

32 - Siham Ali, "Morocco to Train Malian Imams," Magharebia, September 23, 2013, <http://allafrica.com/stories/201309240845.html>.

33 - في مؤتمر القمة الذي انعقد في الرباط عام 2012، أنشأ تجمع دول الساحل والصحراء CEN-SAD لجنة أمنية لبحث التهديدات الأمنية المشتركة. وقد تم انتخاب المغرب لرئاسة المجلس التنفيذي للتجمع في عام 2013. انظر:

Benjamin P. Nickels, "Morocco's Engagement with the Sahel Community," Sada, Carnegie Endowment for International Peace, January 3, 2013, <http://carnegieendowment.org>.

المشاركة. وفي الوقت الراهن، يفتقر تجمع دول الساحل والصحراء للقادرة المؤسسية. وسيبقى على المغرب تحديد ما إذا كان الأمر يستحق الاستثمار في محاولة لتقوية تجمع دول الساحل والصحراء ومحاولة توجيه جدول أعماله، أو العمل بشكل أوثق مع المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (ECOWAS) الأكثر رسوخا، الأمر الذي يتطلب تعاونا أوثق مع نيجيريا، القوة الإقليمية الكبرى التي قد لا تشاطر دائما جدول أعمال المغرب بشأن توجه المجموعة.

وعموما، يواجه المغرب تحديات مماثلة في المجال الدبلوماسي والأمني كما هو الحال في الجانب الاقتصادي. فاستمرار النزاع حول الصحراء وعدم عضوية المغرب في الاتحاد الإفريقي³⁴ يعيقان جهوده الرامية للاضطلاع بدور دبلوماسي وأمني أكثر تأثيرا في إفريقيا. وعلى الرغم من أن الصحراء قد حددت نهج المغرب اتجاه إفريقيا على مدى عدة عقود ماضية، فلم يعد بإمكان المغرب السماح للصراع بتحديد سياسته في إفريقيا.

وستظل إفريقيا جنوب الصحراء ذات أهمية إستراتيجية لنمو المغرب الاقتصادي واستقراره في المستقبل. وبينما تعد إفريقيا ذات أهمية بالغة بالنسبة للمغرب، فإن الخطر بالنسبة للمغرب هو أنه في السنوات المقبلة، قد لا يكون مهما بنفس القدر بالنسبة لإفريقيا. وبالنظر إلى مكانة إفريقيا باعتبارها أحد آخر الأسواق ما دون الناشئة المتبقية، فإن المنافسة الدولية تشدد على الوصول إلى الموارد والأسواق. ولا يمكن لرأس المال المغرب أن يتنافس مع رؤوس أموال الشركات الصينية ودول مجلس التعاون الخليجي (GCC)، كما لا يمكن لإعاناته واستثماراته أن تضاهي نظيراتها من الحكومات المانحة الكبرى. وعلاوة على ذلك، يواجه المغرب نفس تحديات بيئة الأعمال في إفريقيا جنوب الصحراء التي يجاهد مستثمرون آخرون في التغلب عليها. غير أن المغرب يملك بالفعل العديد من المكونات الضرورية لتوسيع حضوره في إفريقيا جنوب الصحراء. ومع أن نجاح جهود المغرب سيعتمد إلى حد كبير على استراتيجيته وخياراته السياسية، فإن الولايات المتحدة يمكنها أيضا أن تلعب دورا هاما في ذلك.

34 - تجاوز المغرب هذا العائق وعاد إلى الاتحاد الإفريقي سنة 2017م، وأصبح من أنشطة الدول دبلوماسية وأمنيا، بل على جميع الأصعدة بفضل سياسة عاهل البلاد الملك محمد السادس. انظر مجلة دعوة الحق العدد 421، العدد الخاص بموضوع «المغرب والبعد الإفريقي» السنة 59، رمضان 1438هـ/ يونيو 2017م.

- الخيارات السياسية لتعزيز قدرات المغرب في إفريقيا جنوب الصحراء

يمكن للولايات المتحدة أن تلعب دورا في تعزيز الدور الإيجابي للمغرب في إفريقيا كوسيلة لتحسين النمو الاقتصادي الشامل والاستقرار في المغرب من جهة، وتعزيز التنمية الاقتصادية والسياسية في إفريقيا جنوب الصحراء من جهة أخرى. وتتمثل إحدى طرق تعزيز انخراط المغرب في إفريقيا جنوب الصحراء في برامج الإعانات الثلاثية. فبدلا من طلب موارد أموال إضافية، يمكن توجيه الموارد المتاحة لبرامج ثلاثية حيث يمكن للتعاون الأمريكي-المغربي تسخير خبرات المغرب وتجاربه في مجالات تنمية محددة لتوفير التدريب في بلد ثالث جنوب الصحراء. وقد أطلقت الولايات المتحدة برامج مساعدات ثلاثية مع أكثر من اثني عشرة بلدا في أمريكا اللاتينية وإفريقيا، بما في ذلك مشاريع تتعلق بالأمن الغذائي والزراعة والتعليم وتطوير الوقود الحيوي، والصحة، ومشاريع التمويل الصغرى.

وقد سلك المغرب نفس المسار التنموي الذي تواجهه العديد من الدول الإفريقية ولديه الخبرة ليتقاسمها مع تلك الدول. ومع أنه لا يزال يواجه العديد من النكسات في التعليم والشفافية والرشوة، وغيرها من المجالات، يمكن للمغرب توفير التدريب عبر مجموعة من القطاعات كتطوير جمعيات المجتمع المدني، وكهربة الأرياف، والرعاية الصحية، والولوج إلى الإنترنت ذات الصبيب العالي³⁵، والأمن الغذائي.

إن نقاط قوة المغرب في التنمية تتداخل مع العديد من الأهداف الأمريكية في إفريقيا جنوب الصحراء. ومن المجالات حيث يمكن للمغرب أن يكون له تأثيرا هناك مجال الطاقة المتجددة وتوليد الطاقة. فأكثر من ثلثي سكان إفريقيا جنوب الصحراء لا يتوفرون على كهرباء.³⁶ وقد حقق المغرب خبرته من خلال عملية تنمية مناطقه الريفية، ونجح في تزويد جميع القرى الريفية تقريبا بالكهرباء. وبالتالي يمكن للمغرب أن يكون شريكا مفيدا في برنامج الحكومة الأمريكية للطاقة في إفريقيا، والذي يسعى إلى زيادة توليد الطاقة الأنظف والأكثر فعالية في إفريقيا جنوب الصحراء. ومن شأن

35 - يوجد في المغرب أعلى نسبة من الأفراد الذين يستخدمون الإنترنت في إفريقيا بنسبة 55٪ من السكان. انظر:

"Africa's 10 Most Connected Countries," IT News Africa, October 10, 2013

<http://www.itnewsafrika.com/2013/10/africas-10-most-connected-countries/>

36 - "Fact Sheet: Power Africa," The White House, Office of the Press Secretary, June 30, 2013,

<http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2013/06/30/fact-sheet-power-africa>.

هذا التعاون أن يفيد أيضا جهود المغرب الرامية إلى بناء الطاقة المتجددة كمصدر هام لاستهلاك الطاقة في المستقبل. ومن شأن مبادرة الحكومة الأمريكية لمكافحة الفقر والمجاعة (Feed the Future)، التي تعزز الإنتاجية الزراعية في حوالي اثني عشر بلدا إفريقيا، أن تكون مجالا آخر يمكن أن يكون فيه المغرب شريكا قيما.

والمغرب حاليا هو شريك في مشاريع المعونة الثلاثية مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP- The United Nations Development Programme) والوكالة اليابانية للتعاون الدولي (JICA - Japan International Cooperation Agency) في إفريقيا جنوب الصحراء. وهو يقدم برامج تدريبية في غرب إفريقيا في مجالات الرعاية الصحية والصرف الصحي والبنية التحتية للمياه، وصيد الأسماك. ويؤدي توجيه أموال المعونة الحالية إلى برامج دعم ثلاثية إلى تأثير مزدوج: فهو يعزز قدرات المغرب وبرامجه التنموية مع توفير المساعدات والخبرات اللازمة لبلدان إفريقيا جنوب الصحراء. وفي الوقت الذي يسعى فيه المغرب إلى تنفيذ مشاريعه الثنائية في العديد من المجالات، فإن إنشاء مشاريع معونة ثلاثية مع الولايات المتحدة يزيد من أثر تلك الجهود. وينبغي إدراج عنصر المعونة الثلاثية للمشاريع المغربية في إفريقيا كجزء من ميثاق مؤسسة تحدي الألفية، في حالة ما إذا تم تجديده.

ويمكن للمغرب أيضا أن يوسع برامجه التدريبية الحالية لتشمل الجيوش الإفريقية وقوات الأمن بالتنسيق مع الولايات المتحدة. وأحد الخيارات المتاحة هو توسيع البرنامج في الأكاديمية الملكية العسكرية المغربية ليشمل تدريباً تقوده الولايات المتحدة في مجال مكافحة الإرهاب، وهو يمثل أولوية متزايدة للسياسة الأميركية في إفريقيا. ويمكن أيضا توسيع عملية المناورات العسكرية الثنائية السنوية "الأسد الإفريقي" (African Lion)، التي تضم مراقبين من دول أخرى، لتشمل مكونا متعدد الأطراف بمشاركة جنود إفريقيا جنوب الصحراء. وقد تم إلغاء "الأسد الإفريقي" في عام 2013م بسبب خلافات حول دعم الولايات المتحدة لرصد حقوق الإنسان في برنامج بعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء، المعروف اختصارا بالمينورسو، الذي تم سحبه في وقت لاحق. ويجب أن يكون هناك تعاون أمني ثنائي أكثر قوة وبمعزل عن حلو الدبلوماسية ومرها لكي تصبح المناورات العسكرية مثل "الأسد الإفريقي" والمشاريع المحتملة الأخرى فعالة.

- الآفاق المستقبلية

تمثل إفريقيا عمقا استراتيجيا مهما بالنسبة لمستقبل المغرب. ومع تزايد الاضطرابات وعدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتوقف آفاق التكامل الإقليمي المغاربي، واستمرار التحديات الاقتصادية الأوروبية، والمحدودية الهيكلية للتجارة بين الولايات المتحدة والمغرب، فإن كل ذلك يجعل من انخراط المغرب في إفريقيا جنوب الصحراء ضرورة استراتيجية.

وسيكون القطاع الخاص المغربي، الذي لعب دورا رئيسيا في إنشاء شبكته الاقتصادية الحالية على مدى العقد الماضي، عاملا مركزيا في التغلب على التحديات الدبلوماسية التي يواجهها المغرب في بعض أجزاء إفريقيا جنوب الصحراء. وقد كوّن المغرب فئة أطر ذات مستوى عال من المهنية من رجال الأعمال الذين يتحدثون اللغة الإنجليزية ويمكنهم أن يلعبوا دورا في تطوير علاقات أوسع في جميع أنحاء إفريقيا. وقد تلقى العديد منهم تعليمهم في الخارج وهم يعودون إلى المغرب، حيث يقومون بوضع معايير عالية للكفاءة والعمليات التجارية. وينبغي إيلاء هذه الفئة من المقاولاتيين حوافز من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص لتوسيع نطاق الأعمال التجارية المغربية إلى مناطق أخرى من إفريقيا، حيث يقل حضور المغرب على المستويين الدبلوماسي والاقتصادي.

وتتشاطر الولايات المتحدة والمغرب مصلحة مشتركة في تعزيز قدر أكبر من الأمن والاستقرار، والتنمية الاقتصادية في إفريقيا جنوب الصحراء. ومثلما تسعى الولايات المتحدة إلى إيجاد سبل لتعزيز شركائها الإقليميين والانخراط في إفريقيا من خلال سلسلة من القضايا ابتداء من الأمن وانتهاء بالتنمية الاقتصادية، يمكن للمغرب أن يلعب دورا حاسما في دعم تلك الجهود لتحقيق المنفعة المتبادلة للمغرب وإفريقيا والولايات المتحدة. ويعتمد القيام بذلك على مواصلة المغرب انخراطه الدبلوماسي على نطاق أوسع في إفريقيا بصرف النظر عن الخلافات السياسية المتعلقة بسيادة المغرب على الصحراء، وعلى تنويع قطاعه التصنيعي، والتصدي علنا لأوجه القصور في تنميته.

الملوك العلويون وجهودهم في خدمة القرآن الكريم

د. محمد الدرداري
تطوان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي إلى صراط الله المستقيم، نبينا وحيينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. أمّا بعد:

إن القارئ لتاريخ ملوك الدولة العلوية الشريفة بالمغرب، يجد بين يديه كمّاً هائلاً من الوقائع والأحداث التي تدل على العناية الكبيرة التي أولاها هؤلاء لكتاب الله العزيز؛ إذ لا تكاد كتب التاريخ والتراجم تخلو من ذكر ما بذله الملوك العلويون من جهود محمودة في خدمة كتاب الله، ونشر علومه المختلفة؛ ولئن كانت بذرة هذه الجهود قد تفتقت مع الملوك الأوائل المؤسسين، فإن ثمرتها لا تزال مستمرة إلى يوم الناس هذا مع وريث العرش العلوي المجيد، صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

في هذا السياق، يأتي هذا البحث، ليسلط بعض الضوء على ما بذله ملوك الدولة العلوية الشريفة في المغرب من جهود مشرقة في سبيل خدمة القرآن الكريم، وخدمة أهله من الحفظه والقراء والمعلمين والمفسرين وغيرهم ممن نالوا شرف العناية بهذا الكتاب الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وانسجما مع عنوان هذه الورقة، فإنني سأقسمها إلى محورين اثنين:

المحور الأول: ملوك الدولة العلوية وخدمتهم للقرآن وأهله

بادئ ذي بدء، لن أزعّم بأن هذا البحث المختصر سيحيط بجميع تفاصيل هذا الموضوع، ولن أزعّم أيضا أنه بمقدوري فعل ذلك مستقبلا، وذلك لسبب بسيط، وهو أن مصادره كثيرة، ومادته متنوعة، وليس بمقدور شخص واحد الاطلاع عليها جميعا، ونخلها، والغوص فيها؛ بل هو عمل ينبغي أن تتكاثف الجهود لتحريره واستيعابه، ولا يمكن لشخص واحد — مهما كانت براعته وعزيمته — أن يوفيه حقه من الدراسة والبحث الدقيق؛ وحسبي في هذه الورقة أنني نبهت على أهمية خوض غماره، واقترحت صيغة الاشتغال المناسبة التي تتوافق مع حجمه، وقيمتها المعرفية والتاريخية.

إن الباحث في تاريخ ملوك الدولة العلوية الشريفة بالمغرب، يقف على نماذج كثيرة من الاهتمام الكبير لهؤلاء بالقرآن الكريم، وتقديرهم لأهله، وتقريبهم، وبرهم بأنواع الصّلات المجزية، ومن ذلك ما نُقل عن المولى إسماعيل — رحمه الله — أنه كان شديد الحفاوة بأهل القرآن، متواضعا لهم، كريما معهم. ذكر شيئا من ذلك صاحب الدرر الفاخرة حيث قال: "ففي جمادى الأولى عام ألف ومائة، استدعى العلماء من فاس لقصره العامر لحضور ختم الإمام أبي عبد الله المجاصي تفسير القرآن الكريم، وكان الختم في قصره العامر ببيته الخاص، وبه نصب المنبر للفقهاء المذكور، وبعد الفراغ من درس الختم، أفاض على الضيوف الكرام، قادة الأمة وأئمتها الأعلام، بما لذ وراق من فاخر الأطعمة؛ وكان — قدس سرّه — هو المتولي بنفسه صب الماء على أيدي ضيوفه العظام، [...] وهو الذي تولى فيهم أيضا توزيع الجوائز بيده".

وتلك كانت عادة السلطان المولى سليمان رحمه الله أيضا؛ فقد حضر مع جملة من الطلبة ختم شيخه أبا المواهب تفسير القرآن، بزواية الشيخ قاسم بن رحمون الشهيرة بالحضرة الفاسية². ولا غرابة فقد كان — رحمه الله — من الشغوفين بالقرآن الكريم وعلومه، المتقنين لرسمه وأدائه، أخذه عن شيخه المقرئ عبد الوهاب أجانا³.

1 - الدرر الفاخرة بآثار الملوك العلويين بفاس الزاهرة، عبد الرحمان بن زيدان، المطبعة الاقتصادية بالرباط، دون طبعة، 1937م (ص: 34).

2 - نفسه (ص: 73).

3 - إتخاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي — بيروت — ط1، 1417هـ (81/1).

ومن مآثره أيضا، أنه "كان يحظ على العلم، ويشجع على تعاويه ونشره بالتدريس والتأليف في مختلف الفنون، وبالأخص علم القراءات والحديث، اقتداء بأبيه وصالح سلفه. فمن ذلك أمره أبا العلاء إدريس بن عبد الله بالتأليف في مقراً نافع المدني ابن عبد الرحمان، فألف كتابه: التوضيح والبيان"⁴. قال في مقدمته: "وقد أمرنا بوضعه من تجب طاعته، وطلعت في أفق العُلا سعادته، وهو إمامنا الذي ابيض بسببه وجه الزمان، الشريف العالم أبو الربيع سليمان، واقترح علينا أن نضعه على ترتيب حروف المعجم، ليكون بذلك سهل التناول على من أراد منه أخذ الحكم، فها أنا لبّيت فورا في تأليفه دعوته، راجيا من الله العظيم أن أتقن صنعته، على أنه لم يؤلف هكذا كتاب في القديم، حتى يغترف هذا من بحر العميم"⁵.

ومن ذلك أيضا، أنه أمره بالتأليف في مسألتين اثنتين وهما: همزة الوصل، والألف الزائدة خطأ في أواخر بعض الكلمات، فاستجاب له في ذلك، وإليه يشير بقوله: "وبعد؛ فقد أمرني سيدنا الإمام، العالم العلامة الهام، أبو المكارم مولانا سليمان — أبد الله نصره، وخلد فيما يرضيه ملكه — أن أقيد في هذه الأوراق ما يتعلق بمسألتين: الأولى همزة الوصل، فإنها كثيرا ما تشكل على المعلمين، وتلتبس على المتعلمين لكثرة ما يختلف فيها من الأحكام، وقلة من تتبع مسائلها وحرر فيها الكلام، والثانية: الألف التي تُزاد في الخط نحو: قالوا، وآمنوا، واتبعوا، وما أشبه ذلك، فإنها ساقطة من اللفظ وصلا ووقفًا، فما سر زيادتها في الخط في المواضع التي زيدت فيها، فتعين علي الامتثال بقدر الاستطاعة والإمكان"⁶.

وحسبنا ذلك دليلا على حبه الشديد لكتاب الله تعالى، وتعلقه به، وحرصه على تدقيق مسائله، ولم تقتصر عنايته بالقرآن على ما مر ذكره من دعوة العلماء إلى التأليف فيه، وتشجيعهم عليه، بل كان له باع طويل في مختلف العلوم المتعلقة به، ولقد أشار صاحب الاستقصا إلى شيء من ذلك بقوله: "وإذا تكلم في علوم القرآن أنهل بما يغمر مورد الظمان"⁷.

4 - الدرر الفاخرة (ص: 74).

5 - التوضيح والبيان في مقراً الإمام نافع بن عبد الرحمان، إدريس بن عبد الله الودغيري، تحقيق: عبد العزيز العمراري، مطبعة أنفو - فاس — ط1، 2015م (ص: 17).

6 - الدرر الفاخرة (ص: 74-75).

7 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، شهاب الدين أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب — الدار البيضاء — دون طبعة ولا تاريخ (172/3).

بل قد وقفت على إشارة عند مخلوف، تفيد أنه رحمه الله كان يتصدر لإقراء العلوم، ومنها علم التفسير؛ وذكر أنه كان يجلس لتفسير كتاب الله بحضرة الطلبة والأشياخ والعلماء، ومنهم الشيخ إبراهيم الرياحي الذي حضر بعض دروسه في التفسير، وأثنى عليه في ذلك⁸.

أما السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله، فكانت حياته زاخرة بالمواقف المشرقة التي تعكس حبه لكتاب الله، وتعلقه به، كما أنه - رحمه الله - كان شديد التعلق بأهل القرآن، يتقرب منهم، ويوادهم، ويوليهم المناصب الرفيعة في الدولة، ومن ذلك أنه ولى هد بن الضوء بعد أن وجده في جملة من طلبته يقرؤون القرآن فقال له: "أنت أولى بالتقدم من الجميع، أسعد الله بك قبيلتك، فقد وليتك عليها، ثم قال له: أحب أن تنظر لي مكاناً أُشيد فيها داراً يتعلم فيها أولادي بين ظهرائكم، لما أعجبني من سمتكم لحفظ للقرآن"⁹.

ومن كريم عنايته بأهل القرآن، واهتمامه بهم، مراسلته لملك الإسبان بعدما وقع عدد منهم في الأسر، يخبره بأن في الأسرى المسلمين من أهل العلم وحمة القرآن ما يستوجب أن لا يسلك بهم مسلك غيرهم من عامة الأسارى¹⁰.

وكان من عاداته أيضاً، أنه يجعل لطلبة العلم والمؤذنين والقراء وأئمة المساجد عطاء يصلهم به في كل عيد¹¹.

أما في عهد السلطان المولى الحسن الأول رحمه الله، فقد ارتقى أهل القرآن، وصار لهم من الذكر والمكانة ما جعل التنافس بين المقرئين والحفاظ والمعلمين أمراً شائعاً، ولقد كان وقود هذا التنافس: المكافآت الوافرة، والهبات السخية التي كانت تعطى لهؤلاء. من ذلك ما ذكره مؤرخ الدولة العلوية عبد الرحمان بن زيدان - رحمه الله - حيث يقول: "إذا ختمت البنت القرآن الكريم، يُنعم على الفقيه بصلة، وتقام حفلة ختم القرآن لمن ختمت، ويُرفع لوحها الذي تقرأ فيه على منصة، ويأتي جميع من بالقصور بالهدايا الثمينة، يضعونها على ذلك اللوح نقوداً وثياباً رفيعة مخيطة وغير مخيطة، ويُقدّم

8 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط1، 1424هـ (545/1).

9 - حول مائدة الغذاء، محمد المختار السوسي، طبع على نفقة وإشراف أبناء المؤلف، مطبعة الساحل الرباط، دون طبعة ولا تاريخ (ص 24).

10 - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مرجع سابق (23/3).

11 - نفسه (70/3).

الجميع للأستاذ المقرئ، ويخرج من القصر عدد مهم من قصع الكسكس للمسجد المعد للصلاة برحاب باب القصر، وقوارير ماء الزهر والورود، ويُستدعى الأستاذ المقرئ لتناول ذلك¹².

ومثل ذلك ما يورده المؤرخ المذكور عن نفسه فيقول: "وقد ختمتُ القرآن أيام السلطان المقدس مولاي الحسن، فذهبت لجلالته أطلب من علاه الختمة¹³، وكان لوشي مكتوبا بخط معلمي من جهتيه، فأخذ اللوح مني فقرأه، ثم سألني عن الخط لمن هو؟ فقلت الفقيه! فقال هذا غش لا ينبغي، فليترككم تكتبون ألواحكم بيديكم، وسألومه، ونفّذ لي لدى حاجبه أحمد بن موسى المذكور ما يُدفع للفقيه في الختمة¹⁴".

ولا يخفى ما في هذا النص من حرص منه - رحمه الله - على النصح للمعلمين، ولومهم - أحيانا -، وتوجيههم إلى ما فيه مصلحة الطلاب الذين يجب أن يتولوا بأنفسهم كتابة ألواحهم، ليجتمع لديهم مع الحفظ، ضبط الرسم، وطريقة الكتابة.

أما المكافآت التي كانت تُرصد لحفظة القرآن، والمكانة التي كان يتحلّى بها هؤلاء في عهد هذا السلطان، فيحدثنا عنها الأستاذ الرحالي الفاروقي بقوله: "وفي عهد المولى الحسن الأول كان اعتبار حملة القرآن الكريم متناهيا، وكان تشجيعهم بالمكافآت السخية، والأعطيات الوافرة التي كانت تُرصد لكل من جمع القرآن الكريم، وأما الذين يحفظونه برواية الشيخ حمزة فكانوا علاوة على تمتعهم بالنوال والعطاء، يتحررون من كل خدمة ونائبة، وهذا الالتفات الخاص الذي توجّح عهد الحسن الأول - رحمه الله -، أدى إلى انتشار الكتاتيب القرآنية وازدياد عددها في أكثر الأقاليم المغربية، فكنت تجد أكثر الدوار أو المدشر في البادية من حفاظ القرآن الكريم، حتى أنهم أصبحوا يكونون مجتمعا خاصا في هذا الإطار، ويوجد في بعض قبائل السراغنة دوار من أولاد صبيح ينيف سكانه على مائتي خيمة، ما زال إلى الآن يُطلق عليه دوار حمزة، لأنهم كانوا يحذقون رواية الشيخ حمزة¹⁵".

12 - العز والصولة في معالم نظم الدولة، عبد الرحمان بن زيدان، المطبعة الملكية بالرباط، دون طبعة، 1961م (78/1).

13 - ما يُدفع لفقيه الكتاب القرآني (المسيد) كلما حذق الطالب سوراً من القرآن. وهي قسآن: الختمة الصغيرة عندما يحفظ الطالب نصف القرآن، والختمة الكبيرة عندما يحفظ القرآن كله.

14 - العز والصولة في معالم نظم الدولة، مرجع سابق (76/1).

15 - الدولة العلوية والقرآن الكريم، الرحالي الفاروقي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، العدد الرابع، السنة 11 (ذو القعدة 1387هـ/1968م).

وفي عهد السلطان عبد الحفيظ بن الحسن رحمه الله، نجد نوعاً آخر من العناية بالقرآن الكريم وعلومه، حيث لاقت كتب التفسير منه عناية فائقة، فحرص على طبع ما توفر منها بالمطبعة الحجرية التجارية بفاس، وجلب عدداً آخر منها من مصر، كالبحر المحيط لأبي حيان، والأحكام الكبرى لابن العربي¹⁶.

وأما السلطان محمد الخامس رحمه الله فقد سار على نهج من سبقه من السلاطين، ومن سياسته في هذا المجال بناء عدد كبير من الكتاتيب القرآنية من ماله الخاص، كما كان يأمر بتجديد ما يلي منها¹⁷. ولاحقاً أصدر - رحمه الله - الظهير الشريف رقم: 11-12-37 يأمر فيه بفتح المدارس القرآنية، وخصص منحة لحملة القرآن، "ووضع لهم شهادة خاصة تُمنح للمجيدين منهم، بعد أن يجتازوا اختباراً في القرآن ورسمه تحت إشراف قاضي المدينة أو القرية، وبواسطة لجنة من حفظة القرآن وعلماء الرسم والتجويد تختار لهذا الغرض"¹⁸.

وجدير بالذكر أن عدد الكتاتيب القرآنية في المغرب قد ناهز إلى حدود 1962م (أي بعد سنة من وفاته) "أربعة عشر ألف كتاب، تضم نحو هذا العدد من المعلمين، وترعى نحو ثلاثمائة ألف طفل"¹⁹. وهو عدد هائل يعكس اهتمامه بكتاب الله تعالى، وحرصه الشديد على تميز المغاربة فيه حفظاً وفهماً وأداءً.

ومنها أيضاً تلك الجهود المثمرة في توزيع المصحف الكريم ونشره بين الناس ليتعبدوا بتلاوته؛ فقد كان - رحمه الله - يُوقف أعداداً من المصاحف على المساجد التي يقوم بتجديدها وتوسعتها. ومن ذلك أنه جدد جامع الأندلس بفاس وحبس مائة مصحف عليه، وجدد الجامع الأعظم بتازة وحبس عليه مائة مصحف أيضاً²⁰، كما وسع مرافق مسجد أهل فاس، وأنشأ أربع خزائن ببلاطه وملاها بالمصاحف الكريمة²¹.

16 - الدرر الفاخرة بآثار الملوك العلويين بفاس الزاهرة (ص: 121).

17 - نفسه (ص: 173 و189).

18 - عناية محمد الخامس بالقرآن وعلومه، محمد إدريس العلمي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، العدد الرابع، السنة الحادية عشرة (ذو القعدة 1387هـ - فبراير 1968م).

19 - نفسه.

20 - الدرر الفاخرة بآثار الملوك العلويين بفاس الزاهرة (ص: 174 - 175).

21 - نفسه (ص: 191).

ومن ذلك أنه لما أتم بناء القصر الملكي بالرباط، استدعى علماء العدوتين وولاتهما، وعددا من الوزراء وكتاب البلاط وحفظة القرآن من الكبار ومن الصبية والأطفال؛ وكان - رحمه الله - يدعو هؤلاء الصغار كل خميس لزيارة ولي عهده، وتناول الحلويات والمبردات مع سموه²².

وواضح أن اختيار هؤلاء لمؤانسة ولي العهد دون غيرهم فيه احتفاء بهم، وتكريم لهم لما تحويه صدورهم من كلام الله تعالى، وهذا لا يمنع من أن تكون رغبة السلطان في احتكاك ابنه بهؤلاء الحفظة بقصد تشجيعه في أن يحدو حذوهم، ويسلك طريقهم في حفظ القرآن الكريم والتخلق بأخلاقه.

ومن آثاره الدالة على تعلقه بالقرآن الكريم، وحب له، حضوره "لسماع تلاوة القرآن الكريم من أفواه التالين له جماعة كل جمعة، ومشاركته لهم في التلاوة بعدة مساجد بالرباط وغيره"²³.

ومن ذلك أيضا ما ذكره الأستاذ محمد عز الدين الإدريسي أنه - رحمه الله - لما غُرب عن وطنه، وأبعد عنه إلى المنفى، كان "يجلس بمسجد انتسرابي إلى المومنين يفسر لهم آيات الذكر الحكيم"⁽²⁴⁾. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على رسوخه وتعمقه في هذا العلم الشريف.

بعد هذه الجولة القصيرة في مسار حياة الملك محمد الخامس - رحمه الله -، نخلص إلى أن عنايته بكتاب الله تعالى لم تتوقف أبدا، ولم تكن الظروف التي مر منها المغرب في عهده لتثبط من عزمته، أو تنال من إرادته. لقد نال - رحمه الله - شرف العمل لكتاب الله تعالى والوطن بيد المستعمر الأجنبي، ونال شرف ذلك وهو في المنفى، وناله ثالثا لما حصل المغرب على حريته واستقلاله.

ونختتم هذا المحور مع الملك الحسن الثاني - رحمه الله - الذي بذل بدوره جهودا محمودة في هذا المجال، جعلته من الملوك الأكثر اهتماما بالقرآن وأهله، يبدو ذلك من خلال عدد من المشاريع القرآنية منها:

22 - نفسه (ص: 192).

23 - نفسه (ص: 192).

24 - من جهود المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه في خدمة القرآن والسنة، محمد عز الدين المعيار الإدريسي، مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، عدد: 295 (رجب - شعبان 1413هـ / يناير - فبراير 1993م).

- أمره بإنشاء عدد من مدارس القرآن، ومنها المدرسة القرآنية التابعة لمؤسسة مسجد الحسن الثاني، والتي أصبحت تسمى فيما بعد بـ: "مدرسة العلوم الإسلامية".

- عنايته بالكتاتيب القرآنية، وإنشاؤه لعدد منها في شتى أنحاء المملكة.

- مساهمته في إذكاء روح التنافس بين المغاربة في حفظ كتاب الله تعالى، وضبط قراءته، ومن مناقبه في هذا الباب: إطلاقه "للمسابقة الوطنية لنيل جائزة الحسن الثاني في حفظ وتجويد القرآن الكريم". والتي كانت تنظم على الصعيد الوطني بالمملكة خلال شهر رمضان من كل سنة بإشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

- احتفاؤه السنوي بذكرى نزول القرآن على نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بحضور علماء من المغرب والمشرق، وذلك في إطار إحياء ليلة القدر المباركة.

- رعايته للمسيرة القرآنية الرمضانية التي كانت تُبث قراءتها على أمواج الإذاعة والتلفزة في ربوع المملكة.

- أمره بطبع ونشر العديد من الكتب في مجال الدراسات القرآنية منها²⁵:

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تحقيق: المجالس العلمية (نشر سنة 1975م).

• التعريف في اختلاف الرواة عن نافع لأبي عمرو الداني، تحقيق: التهامي الراجحي الهاشمي (نشر سنة 1982م).

• هذا القرآن للأستاذ عبد الحي حسن العمراني (نشر سنة 1983م).

• تفسير سورة النور للأستاذ عبد الهادي التازي (نشر سنة 1984م).

• الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لابن العربي، تحقيق: عبد الكبير العلوي المدغري، (نشر سنة 1988م).

• البرهان في ترتيب سور القرآن لأبي جعفر الغرناطي، تحقيق: ذ. محمد شعباني، (نشر سنة 1990م).

25 - يُنظر دليل الإصدارات الصادر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية (1437هـ/2015م).

وبالرجوع إلى الدليل المشار إليه أعلاه، يقف الباحث على إصدارات أخرى كثيرة ومتنوعة تكاد تغطي كل المجالات المعرفية المتعلقة بالقرآن وعلومه.

- ومن جهوده أيضاً، حرصه على تجديد كتابة المصحف الشريف، وطبعه، والعناية برسمه وزخرفته، وتوفير النسخ الكافية منه، وهو المصحف الذي عُرف آنذاك بالمصحف الحسني؛ حيث كَلَّف - رحمه الله - بالإشراف عليه عدداً من الخطاطين المهرة، وتولت طباعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد طُبِع أول مرة سنة 1967م، وأعيد طبعه عام 1974م و1980م ثم عام 1997م²⁶.

وهناك مشاريع قرآنية كثيرة رأت النور على يديه، غير أن المقام لا يسمح بتتبعها واستقصائها جميعاً.

المحور الثاني: الملك محمد السادس نصره الله وجهوده في خدمة القرآن الكريم

منذ أن تربع صاحب الجلالة الملك محمد السادس - حفظه الله ورعاه - على مقاليد شؤون الحكم؛ وهو يولي عنايته الفائقة لخدمة كتاب الله تعالى، والعناية بتقريب علومه وتيسيرها ونشرها بين الناس، يشهد لذلك وفرة المؤسسات والهيئات والمبادرات التي رأت النور على يديه، والتي كان لها الدور الكبير في خدمة النص القرآني، وخدمة أهله من العلماء والمعلمين والقراء والحفاظ وغيرهم؛ وهو بذلك يُكْمِل ما بدأه أسلافه - رحمهم الله - الذين بذلوا قصارى جهدهم في ربط المغاربة بكتاب الله تعالى، وتشجيعهم على حفظه وتحفيظه، وتعاهده بالتلاوة والترتيل والتجويد والتفسير.

إن العناية بالقرآن الكريم، ورعايته، والاهتمام به؛ كان دائماً حاضراً في انشغالات جلالة الملك سيدي محمد السادس - حفظه الله وأدام نصره - إذ تميز عهده المبارك بالعديد من المبادرات الكريمة التي استهدفت ربط المغاربة بكتاب الله تعالى، وخلق روح التنافس الشريف بينهم في حفظه وتجويده. في هذا الإطار، وسعياً إلى إبراز جهود جلالة الملك في هذا المجال، فإنني سأخصص هذا

26 - تاريخ طباعة القرآن الكريم في المغرب، ورقة بحثية قدمها الأستاذ: حسن إدريس عزوزي للندوة الدولية "طباعة القرآن الكريم ونشره بين الواقع والمأمول" التي عُقدت في الفترة الممتدة بين 3-5 صفر 1436هـ، الموافق 25-27 نوفمبر 2014م بالمملكة العربية السعودية، وقد صدرت أعمال الندوة في كتاب عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1436هـ (ص: 454).

المحور للحديث عن بعض تلك المبادرات الكريمة؛ سواء منها ما تعلق بالجانب المؤسساتي، أو تلك التي اتخذت بعدا تحفيزيا تشجيعيا.

1. المبادرات الملكية ذات البعد المؤسساتي

لقد سعى جلاله الملك منذ اعتلائه العرش إلى إحداث عدد من المؤسسات، والتي لعبت دورا كبيرا في خدمة النص القرآني نشرًا، وحفظًا، وترتيلًا، وتجويدًا، وتعليمًا، وتفسيرًا. ومن هذه المؤسسات:

أولاً: مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف. وهي عبارة عن: "هيئة وطنية مرجعية عليا في مجال الإعداد العلمي والمادي والفني لنسخ المصحف الشريف، ونشره، وتسجيله عن طريق مختلف الدعائم المتعددة الوسائط"²⁷. وقد أحدثت هذه المؤسسة بموجب الظهير الشريف رقم: 1.09.198 الصادر في 08 ربيع الأول عام: 1431هـ، الموافق لـ: 23 فبراير سنة: 2010م، والتي أشرف جلالته - حفظه الله - شخصيا على تدشينها بمقرها الكائن بمدينة المحمدية يوم الخميس 15 رمضان 1431هـ، الموافق لـ: 26 غشت 2010م.

تضطلع مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف بمهام مهمة، تروم خدمة كتاب الله عز وجل طبعا ونشرا وتوزيعا وتسجيلا، مع ما يتبع ذلك من حرص على ضبط رسمه، وتدقيق نسخه المطبوعة والمسجلة؛ لذلك فالمهام المنوطة بها - حسب ظهير التأسيس - تشمل: القيام بإعادة نسخ المصحف الشريف برواية ورش عن نافع وفق القواعد المعتمدة في علوم الرسم والوقف والضبط والقراءات، والإشراف على طبع المصحف الشريف، والعمل على نشره وتوزيعه، والإشراف على تسجيل تلاوته ولا سيما برواية ورش عن نافع عن طريق استعمال مختلف أنواع الدعائم المتعددة الوسائط، والترخيص للأشخاص الذاتيين والاعتباريين الراغبين في طبع المصحف الشريف أو توزيعه، والقيام بأعمال المراقبة والتدقيق للنسخ المطبوعة أو المسجلة من المصحف الشريف لضمان سلامتها من الأخطاء، واتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة لحجزها ومنعها من التداول عند الاقتضاء، وإقامة علاقات تعاون مع المؤسسات والهيئات العامة والخاصة على الصعيدين الوطني والدولي قصد مساعدة المؤسسة على تحقيق أهدافها²⁸.

27 - نشرة مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف، العدد الأول، أبريل 2012م جمادى الأولى 1433هـ.

28 - ينظر المادة 2 من الظهير الشريف رقم 1.09.198 الصادر بالجريدة الرسمية رقم 5828 بتاريخ 22 ربيع الآخر 1431هـ (8 أبريل 2010م).

وانسجاماً مع هذه الأهداف، فإن المؤسسة حرصت منذ إنشائها على تعاقد كتاب الله، وخدمته، والاعتناء به، والمساهمة في نشره، ونشر العلوم المتعلقة به، وذلك من خلال جملة من الآليات والوسائل أهمها:

• طبع عدد من المشاريع والأعمال الفكرية التي تُعنى بالأبحاث والدراسات القرآنية: كما أن المؤسسة - ومنذ إحداثها - تبنت العديد من الأعمال العلمية الجادة، سواء تلك التي تهتم بتحقيق ما له صلة بالقرآن وعلومه؛ أو غيرها من المؤلفات الموضوعية التي اختطها ثلة من الباحثين المغاربة المتخصصين. وفيما يلي بعض المؤلفات التي قامت المؤسسة بطبعتها:

1. ذيل مورد الضمان في فن ضبط مرسوم القرآن، نظم للإمام أبي عبد الله بن محمد بن إبراهيم الشريشي، إعداد وتقديم الأستاذ: مصطفى البحياوي، نُشر سنة: 2013م ضمن سلسلة علوم المصحف الشريف رقم: 1.

2. رسم المصحف الشريف ودواعي الالتزام به عند القراء والمقرئين، د. عبد الهادي احميتو، نُشر سنة: 2016م ضمن سلسلة علوم المصحف الشريف رقم: 2.

3. رسم الهمز في القرآن الكريم، ذ. حسن الرحموني، نُشر سنة: 2016م ضمن سلسلة علوم المصحف الشريف رقم: 3.

كما التزمت المؤسسة بطبع أعمال أخرى ذات صلة بالقرآن الكريم وعلومه منها: الدرة الجليلة للأستاذ ميمون الفخار، والمصحف المغربي الشريف تاريخ وتطور للأستاذ عبد الهادي احميتو²⁹.
ثانياً: معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية. هو مؤسسة وطنية للتعليم العالي والبحث العلمي، أحدث بأمر من جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - وتحت رعايته السامية بظهير شريف رقم: 50-13-1 الصادر في 21 جمادى الآخرة 1434هـ (2 ماي 2013م).

يهدف هذا المعهد - كما جاء في ديباجة الظهير المؤسس - إلى "تكوين قُراء متميزين، وعلماء متخصصين في القراءات وفي الدراسات القرآنية، ملمين بمناهج البحث العلمي وأدواته، وقادرين على إنجاز دراسات جادة ورصينة، تبرز عظمة القرآن الكريم وأسراره وحقيقته، وتوسع المعرفة الإنسانية بالتعريف به، ونشر تعاليمه في أرقى صورة وبأنجع وسيلة"³⁰.

29 - ينظر التقرير السنوي لخصيلة أنشطة المؤسسة لسنة 2013م الموافق لـ: 1435هـ.

30 - الجريدة الرسمية، عدد: 6153 - 9 رجب 1434هـ (20 ماي 2013م).

ويتنظم التكوين داخل المعهد في سلكين دراسيين محورهما القرآن وعلومه وهما:

✓ سلك الإجازة: ويهدف إلى تكوين الطالب تكويناً علمياً متخصصاً في مجال القراءات وعلوم القرآن، وتمكينه من اكتساب المعارف اللازمة للإلمام بأصول القراءات، والتمكن من المتون العلمية ذات الصلة بها حفظاً وشرحاً. كما يهدف إلى تكوينه تكويناً متيناً في مختلف المجالات وخاصة في اللغة العربية وعلومها، واللغات الأجنبية بما فيها اللغات الشرقية القديمة.

✓ سلك الماستر: ويهدف إلى تمكين الطالب من التخصص العلمي العميق في علم القراءات والدراسات القرآنية، كما يهدف إلى تمكينه من اكتساب مناهج البحث العلمي في مجالات التكوين، ومعرفة أصول المناظرة وأساليب التواصل³¹.

ولا شك أن المعهد بهذه التوجيهات والأهداف سيعمل على بث الروح في مجال الدراسات القرآنية، وملء الفراغ العلمي الذي يعرفه هذا التخصص. والنتيجة المرجوة تزويد الساحة الشرعية بمتخصصين في علم القراءات، وفي الدراسات المرتبطة بالقرآن الكريم وعلومه.

وسعيًا إلى تحقيق هذه الأهداف، فقد سهر المعهد منذ تأسيسه - بالإضافة إلى برامج التكوين الخاصة - على تنظيم عدد من الفعاليات والأنشطة العلمية الموازية في مجال اختصاصه (ندوات، دورات تكوينية، أيام دراسية، محاضرات...) ومنها:

* تنظيم دورة تكوينية تحت عنوان: "علم القراءات في المغرب" بتاريخ: 28 ماي 2015م. أطرها عدد من الباحثين والمتخصصين في علم القراءات والدراسات القرآنية.

* تنظيم ندوة وطنية في موضوع: "علم القراءات في المغرب تاريخاً ومجالاً" بتاريخ: 26 و 27 نونبر 2015م.

* تنظيم يوم دراسي في موضوع "الاعتبار بدلالة السياق في فهم النص القرآني" بتاريخ 21 نونبر 2017م.

* المشاركة في المؤتمر الدولي الثالث في موضوع: "التكامل المعرفي بين علم الأصوات وعلم التجويد" والذي نُظم بتاريخ 17 و 18 أكتوبر 2018م، بشراكة بين ثلاث هيئات وهي: معهد محمد

31 - انظر المادة 10 من الظهير الشريف رقم 50-13-1 المنشور بالجريدة الرسمية عدد: 6153 - 9 رجب 1434هـ (20 ماي 2013م).

السادس للقراءات والدراسات القرآنية، ومركز الكندي للترجمة والتدريب، ومختبر الترجمة وتكامل المعارف التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش.

وغيرها من الأنشطة العلمية المتخصصة التي تروم خدمة النص القرآني حفظاً وأداءً وفهماً وتفسيراً.

ثالثاً: وفي المجال الإعلامي أشرف صاحب الجلالة - حفظه الله - على إحداث آيتين إعلاميتين ساهمتا بشكل كبير وفعال في ملء الفراغ الذي عانت منه الساحة الإعلامية المغربية لسنوات مديدة وهما:

أولاً: إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم. والتي انطلقت يوم 16 أكتوبر 2004م بتوجيه من جلالة الملك محمد السادس - نصره الله -، وتهدف هذه الإذاعة إلى ربط المغاربة بكلام الله تعالى، وتيسير فهمه وتبسيط أحكامه لهم، وتشجيع النشء على الاهتمام بقراءته وترتيله وتجويده. ولتقريب القارئ من الجهود التي تبذلها هذه الإذاعة في خدمة القرآن الكريم، وتيسير حفظه وفهمه، ومعرفة أسرارها، وتذوق معانيه، أذكر عينة من البرامج اليومية والأسبوعية التي تُعنى بهذا الكتاب المعجز الخالد، مع تقديم تعريف موجز بها⁽³²⁾. وذلك من خلال الجدول الآتي:

اسم البرنامج	نبذة مختصرة عنه
حباً في كتاب الله	برنامج يُقرب المستمعين من تجارب بعض الذين كرسوا حياتهم في خدمة كتاب الله تعالى.
القول القرآني والفعل الرباني	فقرة يقدم فيها الأستاذ: أحمد سهوم مجموعة من خواطره حول القرآن الكريم، ودلالاته، ومعاني آياته، بأسلوب دارجي راق.
جواهر من القرآن	يقدم البرنامج آيات قرآنية وما تتضمنه من فوائد أخلاقية، وقصص نبوية، وأحكام تعبدية يحتاج إليها المسلم في حياته اليومية.

(32) يُنظر شبكة البرامج الإذاعية على الموقع الإلكتروني الخاص بإذاعة محمد السادس للقرآن الكريم. (برامج صيف 2018م).

من أسرار الوجود في آيات السجود	برنامج يقدم تأملات في آيات السجود التي يسجد القارئ لها سجود التلاوة، والبحث عن علاقتها بالوجود وأسراره المتاحة، وتقصي مقاربات العلماء لعلة السجود عندها.
المسيرة القرآنية	قراءة مرتلة لحزبين من القرآن الكريم يومياً.
مفردات من القرآن الكريم	شرح لبعض مفردات القرآن في سياقها اللغوي والشرعي، مع استخلاص بعض العبر والمواقف الداعية إلى الالتزام بها، والتدبر بأسلوب تربوي تعليمي يقرب المعنى للمستمعين.
قراءات مع الناشئة	برنامج يهتم بتعليم قواعد وتجويد وحفظ القرآن الكريم للناشئة، مع تصحيح وتقويم قراءاتهم. كما يهتم بالتعريف بالمدارس القرآنية العتيقة بالمملكة.
تعالوا نقرأ القرآن	هو برنامج مباشر يتلقى مشاركات المستمعين ليشرح لهم أهم القواعد التجويدية للقرآن الكريم برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق.
في رياض تجويد القرآن الكريم	برنامج يشرح أصول رواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تتخلله قراءة تطبيقية لاستخراج الأحكام التجويدية.
في محراب القرآن الكريم	برنامج يحث الشباب على ضرورة الإقبال على القرآن الكريم، تتخلله قراءات قرآنية للمشاركات اللاتي يستفدن من تقويم الأستاذة فتيحة الزويني.
قبس من القرآن	برنامج يتناول شرح معاني الآيات القرآنية، واستخلاص الأحكام الواردة فيها (بتأشـلـحيت).
نور الإسلام	برنامج يتناول شرح معاني الآيات القرآنية، واستخلاص الأحكام الواردة فيها (بتأريفت).

وغيرها من البرامج التي يمتزج فيها النفس القرآني بعبق العلوم والمعارف التربوية والتاريخية والاجتماعية والكونية وغيرها من المجالات المعرفية المختلفة، حيث يجد المستمع نفسه ينتقل بين عوالم معرفية متنوعة، إلا أن كلام الله تعالى يظل هو الحاكم والموجه الذي تنتظم في أسلاكه باقي البرامج الثقافية والتوعوية والتنشيطية الأخرى.

واللافت في هذه البرامج أنها تخاطب جميع فئات المجتمع، بحيث تراعي التنوع اللغوي الذي يمتاز به بلدنا (العربية الفصحى، الدارجة، تاشلحيت، تاريفيت) ما يجعل مضمونها في متناول جميع أطياف ومكونات المجتمع المغربي.

وجدير بالذكر أن إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم ظلت ولسنوات عدة تحتل المرتبة الأولى من حيث نسب الاستماع، وهذا مؤشر كاف لمعرفة مدى تعلق المغاربة بدين الله عموما، وبكلامه على وجه الخصوص.

ثانيا: قناة محمد السادس للقرآن الكريم (القناة السادسة). وهي قناة تلفزيونية مغربية، شرعت في تقديم برامجها يوم الأربعاء 29 رمضان 1426هـ، الموافق 2 نونبر 2005م تنفيذا للتوجيهات الملكية السامية، وتطبيقا لبنود الاتفاقية المبرمة بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ووزارة الاتصال، والشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة.

إن نظرة موجزة في طبيعة المواد التي تقدمها هذه القناة، نجدها لا تختلف كثيرا عما تقدمه إذاعة محمد السادس للقرآن الكريم، سواء من حيث المحتوى، والذي لا يخرج في الغالب عن روح الوحيين قرآنا وسنة، أو من حيث الأسلوب، والذي يتسم بالسهولة والبساطة؛ ما جعل عدد المشاهدين والمهتمين ببرامجها في تزايد مستمر.

ولعل المتتبع لبرامج القناة السادسة يجدها تمتاز بالتنوع والتحديث الدوري، بما فيها البرامج التي تُعنى بالقرآن الكريم والمعارف المرتبطة به، والتي ظلت محافظة على مكانتها منذ تأسيسها وإلى اليوم، ولا شك أن المتعقب للبرامج القرآنية التي تبثها هذه القناة، سيدرك بوضوح أنها ساهمت في تحقيق جملة من الأهداف لعل أهمها ما يلي:

• المساعدة على ضبط وإتقان القواعد التجويدية الضابطة لقراءة القرآن الكريم وفقا لرواية

ورش عن نافع من طريق الأزرق. ومن البرامج التي ساهمت في ذلك:

- برنامج التجويد الميسر
- برنامج على درب الإتقان
- برنامج الكراسي العلمية: (كرسي الإمام نافع في مادة: القراءات والتجويد/ كرسى الإمام ورش في مادة: التجويد).
- المساعدة على فهم معاني كلام الله تعالى، والوقوف على أحكامه وحكمه. ومن البرامج التي اهتمت بذلك:

- برنامج القرآن والتفسير
- برنامج الكراسي العلمية: (كرسي الإمام ابن عطية)
- تقريب المشاهدين من أشهر القراء المغاربة، والتعريف بهم. ومن البرامج التي عنيت بذلك:
- برنامج مزامير داود
- برنامج أهل القرآن
- برنامج مع الحافظات
- توفير نماذج متنوعة من التلاوات القرآنية بأصوات خيرة من القراء المغاربة من خلال مجموعة من الفقرات منها:
- فقرة المصحف المرتل
- فقرة مصحف السادسة
- فقرة قراءات قرآنية جماعية
- التعريف بجهود المغاربة في خدمة كتاب الله تعالى، حفظا ورسما وتلقينا وتجويدا. ومن البرامج التي تعنى بذلك:

- برنامج أهل القرآن
- برنامج مع الحافظات
- وغيرها من البرامج والفقرات المشابهة التي لا زال بعضها مستمرا، وبعضها الآخر توقف بعد أن حقق أهدافه في ربط المغاربة بكتاب الله وتوثيق صلتهم به وبأهله؛ بالإضافة إلى تعميق معارفهم المرتبطة بالقرآن الكريم وعلومه المتنوعة والمختلفة.

2. المبادرات الملكية ذات البعد التحفيزي

ولم تقتصر جهودهم في خدمة القرآن على الجانب المؤسسي، بل تعداه إلى الجانب التحفيزي أيضا، ومن ذلك إحداثه لعدد من الجوائز في هذا المجال منها:

أولا: جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية. وهي جائزة وطنية أحدثت سنة 2002م بأمر من صاحب الجلالة حفظه الله ورعاه، وقد صدر أمره بها في الظهير الشريف رقم: 1.02.204 الذي صدر يوم 12 جمادى الأولى 1423هـ الموافق 23 يوليوز 2002م، ونُشر في الجريدة الرسمية عدد: 2025 بتاريخ 29 يوليوز 2002م.

وتهدف جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية - حسب الورقة التعريفية - إلى تحقيق مجموعة من الأهداف منها³³:

« دعم دور الكتاتيب القرآنية في تكوين الناشئة المسلمة، وتثبيت القيم الإسلامية لديها، وتربيتها التربية الإسلامية المتسمة بالاستقامة والصلاح والاعتدال والتسامح.

« تحسين مناهج الكتاتيب القرآنية، ودعم قدراتها التعليمية والتربوية، والاستفادة من مستجدات العصر في الوسائل والمعدات التعليمية، مع المحافظة على أصالة هذه الكتاتيب وهويتها.

« تشجيع وتحفيز المشرفين والقائمين على الكتاتيب القرآنية، وعلى تطوير أساليب أدائها.

وبالرجوع إلى الظهير المؤسس؛ وبالتحديد في مادته الثانية، نجد أن هذه الجائزة تشمل على ثلاثة أصناف وهي³⁴:

الصنف الأول: جائزة محمد السادس على منهجية التلقي، وتمنح "للأشخاص الذين أبدعوا مناهج وأدوات ووسائل تربوية جديدة وفاعلة في تلقين كتاب الله العزيز بالكتاتيب القرآنية"³⁵.

الصنف الثاني: جائزة محمد السادس على التسيير، وتمنح للأشخاص "الذين طبقوا نظما وأساليب تمكن من تطوير إدارة الكتاتيب القرآنية، والمحافظة في نفس الوقت على خصوصياتها باعتبارها مؤسسات للتعليم العتيق"³⁶.

33 - ينظر الورقة التعريفية الخاصة بالمسابقة على موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: www.habous.gov.ma

34 - المادة الثانية من الظهير الشريف رقم: 1.02.204 صادر في 12 جمادى الأولى 1423هـ الموافق 23 يوليوز 2002م، بإحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية منشور في الجريدة الرسمية عدد: 2025، بتاريخ 29 يوليوز 2002م.

35 - المادة الرابعة من الظهير المشار إليه أعلاه.

36 - المادة الخامسة من نفس الظهير.

الصف الثالث: جائزة محمد السادس على المردودية. وتمنح "للكتابيات القرآنية التي تثبت قيامها بتلقين القرآن الكريم لأكبر عدد من الأطفال في وقت قياسي، وتثبيت القيم الإسلامية، وتنمية الوعي الديني لديهم، وخلق بيئة إسلامية نموذجية داخل الكتاب القرآني"³⁷.

ثانيا: جائزة محمد السادس لأهل القرآن. وهي جائزة وطنية سنوية "تمنح لكل شخص مشهود له بخدمته لكتاب الله العزيز، سواء في تميزه أو في نشره أو أدائه أو تبريزا في علم من علومه"³⁸.
أحدثت جائزة محمد السادس لأهل القرآن سنة 2007م بأمر من صاحب الجلالة حفظه الله ورعاه، وقد صدر أمره بها في الظهير الشريف رقم: 1.07.204 الصادر في 19 من ذي القعدة 1428هـ (30 نوفمبر 2007م). ونُشر في الجريدة الرسمية عدد: 5595 بتاريخ: 14 يناير 2008م.
وحسب ديباجة الظهير المؤسس فإن هذه الجائزة تهدف إلى:

« تشجيع الأعمال الجادة والمسؤولية التي تساهم في إبراز مكانة القرآن الكريم وإعجازه وبيانه.

« تقوية ارتباط النشء والشباب المسلم بالقرآن الكريم وتعاليمه وآدابه.

« مكافأة المؤهلات والقدرات الوطنية المتميزة في خدمة كتاب الله العزيز، نشرًا وأداءً، أو تبريزًا في علم من علومه.

ويتولى تسليمها صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله بمناسبة إحياء ليلة القدر المباركة³⁹.

وقد فاز بها لحد الآن عدد من المشايخ والقراء المغاربة منهم: السيد عبد الهادي احميتو، والسيد التهامي الراجي، والسيد محمد السحابي، والسيد عبد الله أيت واغوري، والسيد عمر لقديري، والسيد عبد الله أبو عطاء الله، والسيد محمد الجيلاني، والسيد إبراهيم الأنصاري، والسيد محمد بالوالي. وغيرها من الأسماء التي تركت بصمتها اللامعة في خدمة كتاب الله نشرًا أو أداءً أو إتقانًا لعلم من علومه.

37 - المادة السادسة من نفس الظهير.

38 - المادة الأولى من الظهير الشريف رقم 1.07.204 صادر في 19 من ذي القعدة 1428هـ (30 نوفمبر 2007م). بإحداث جائزة محمد السادس لأهل القرآن منشور في الجريدة الرسمية عدد: 5595 بتاريخ: 14 يناير 2008م.

39 - المادة الأولى من الظهير الشريف رقم: 1.12.17 صادر في 27 من شعبان 1433هـ (17 يوليو 2012م). والذي بموجبه تم تغيير مناسبة تسليم جائزة محمد السادس لأهل القرآن من ذكرى عيد العرش المجيد. كما نص على ذلك الظهير الشريف رقم: 1.07.204 الصادر في 19 من ذي القعدة 1428هـ إلى ذكرى إحياء ليلة القدر المباركة.

ثالثاً: جائزة محمد السادس في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده وتفسيره. وسعيًا منه إلى ربط الأطفال والشباب بكتاب الله تعالى، وتشجيعاً لهم على حفظه واستظهاره وتجويده، وفهم أحكامه وحكمه، أعطى صاحب الجلالة - حفظه الله - أمره بإحداث جائزة باسم: "جائزة محمد السادس في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده وتفسيره". وقد صدر أمره بها في الظهير الشريف رقم: 1.04.223 الصادر في 7 محرم 1426 هـ (16 فبراير 2005م) ونُشر في الجريدة الرسمية عدد: 5295 بتاريخ: 19 محرم 1426 هـ (28 فبراير 2005م).

وبالرجوع إلى الإطار القانوني المنظم، وبالتحديد الظهير الشريف المشار إليه أعلاه، نجد أن هذه الجائزة تشتمل على صنفين اثنين:

الصنف الأول: جائزة محمد السادس الوطنية في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده. وهي جائزة يتبارى عليها سنوياً عدد من الحفاظ لكتاب الله العزيز ممن فازوا بالمراتب الثلاثة الأولى في المسابقات الاقصائية التي يتم تنظيمها بمختلف عمالات وأقاليم المملكة، وتشتمل هذه الجائزة على ثلاثة فروع⁴⁰:

- جائزة محمد السادس الوطنية في حفظ القرآن الكريم وترتيبه.
- جائزة محمد السادس الوطنية في تجويد القرآن الكريم بالطريقة المغربية.
- جائزة محمد السادس الوطنية في تجويد القرآن الكريم بالطريقة المشرقية.

الصنف الثاني: جائزة محمد السادس الدولية في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده وتفسيره. ووعياً من جلالاته بأهمية توسيع نطاق هذه المنافسة، تم إقرار نسخة دولية موازية للنسخة الوطنية، والتي يُستدعى لها مشاركون من عدد من الدول العربية والإسلامية، بالإضافة إلى المشاركين من المغرب البلد المنظم.

وبالعودة إلى الظهير المشار إليه أعلاه، وبالتحديد في مادته الرابعة، نجد أن هذه الجائزة تشتمل على صنفين اثنين وهما:

- جائزة محمد السادس في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتفسيره.
- جائزة محمد السادس في تجويد القرآن الكريم.

40 - المادة الثالثة من الظهير الشريف رقم: 1.04.223 الصادر في 7 محرم 1426 هـ (16 فبراير 2005م)، بإحداث جائزة محمد السادس في حفظ القرآن الكريم وترتيبه وتجويده وتفسيره.

خاتمة

بعد أن بلغ هذا المقال نهايته يمكنني تسجيل النتائج الآتية:

- إن الأسرة العلوية الشريفة بالمغرب كان لها اليد البيضاء في العناية بالقرآن الكريم؛ إذ لا نكاد نجد سلطانا من سلاطينهم إلا وترك بصمات مشرقة في خدمة هذا الكتاب العزيز.
- إن جهودهم في هذا المجال امتازت بالتنوع؛ فلم يبق مجال من المجالات التي تعنى بالقرآن وعلومه إلا وكان لهم فيه إسهام وأثر.
- إن عناية هؤلاء بالقرآن الكريم لم تتوقف يوما، ولم تفتّر، بل امتدت لتتصل بالجهود المباركة للملك محمد السادس — حفظه الله —، والتي كان لها الدور البارز في ربط المغاربة بكتاب الله تعالى حفظا وترتيلا وتجويدا وتدريسا وتفسيرا.
- إن جهود الملك محمد السادس في هذا المجال لم تبق منحصرة داخل الوطن، بل اتسمت بالانفتاح على الخارج أيضا، وذلك من خلال عدد من المبادرات كتوزيع نسخ من المصحف المحمدي في عدد من الدول الإفريقية الصديقة، وإشراك مواطني بعض الدول العربية والإسلامية في المسابقة الدولية لنيل جائزة محمد السادس في حفظ القرآن الكريم وترتيله وتجويده وتفسيره.

قراءة وصفية في كتاب: "العقيدة الأشعرية وإمارة المومنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده"

د. عبد المجيد معلومي
جامعة القاضي عياض
مراكش.

حظي الفكر الأشعري باهتمام العلماء القدامى والمحدثين، فكتب ابن عساكر الدمشقي (ت571هـ) في القرن السادس كتاب "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الامام أبي الحسن الأشعري، وترجمت له مختلف كتب الطبقات الشافعية والمالكية والحنفية، وذكرته كتب التاريخ، واهتم به المستشرقون في كتاباتهم منذ القرن الثامن عشر، ونشرت كتبه: "مقالات الإسلاميين" و"الإبانة واللمع".

وانتشر المذهب الأشعري في ربوع الأرض كالشام ومصر ثم في بلاد المغرب العربي فقال ابن عساكر: "فالمالكية كافة، وثلاث أرباع الشافعية، وثلاث الحنفية، وقسم من الحنابلة على الطريقة الأشعرية"¹.

ورغم هذا الانتشار العريض للمذهب الأشعري، فما زالت أقلام المفكرين والباحثين تكتب فيه، وتبحث عن أدق جزئياته، وكان من واجبي كأستاذ بجامعة القاضي عياض، ومدرس العقيدة الأشعرية بها، أن أبحث عن أهم مباحث العقيدة الأشعرية وهو "الإمامة العظمى" أو "إمارة المومنين"

وبذلك تكون مرجعية الإمامة الشريعة الإسلامية لأنها خلافة النبوة ووظيفتها أو مهامها، فهي تشمل حراسة الدين وسياسة الدنيا والدين.

1 - تبيين كذب المفتري لابن عساكر: (ص 16)

وإمامة الإمام بيعة الأخيار في الإسلام، وأهل الحل والعقد هم أهل الاختيار، لأن المقصد منهم هو تعيين واختيار الشخص المناسب في المكان المناسب.

قال الإمام الجويني رحمه الله: "إن الأمر موكول إلى الأمة عن طريق الاختيار. وأن مستند الشرع لإثبات طريق الاختيار هو الإجماع على الإمامة بالبيعة"².
أما الكتاب فقد اشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول: دخول المذهب الأشعري إلى المغرب

إن الحديث عن تاريخ دخول الأشعرية إلى المغرب الأقصى يكتنفه الكثير من الغموض، وذلك راجع إلى صعوبة البحث في علامات حقبة تاريخية ضاعت الكثير من أخبارها وكتبها التاريخية.

وهذا الأمر ينسحب على كافة الإشكالات والقضايا التاريخية المرتبطة بهذه المرحلة، سواء تعلق الأمر بدخول الأشعرية إلى المغرب وسؤال الأولية، أي أول من أدخل علم الكلام الأشعري؟ أو أول من أدخل الإسلام إلى بلاد المغرب الأقصى؟³ وهل كان الفتح صلحا أم عنوة؟⁴، بالإضافة أن نسأل عن أول مسجد أو زاوية أو رباط بني بالمغرب؟⁵.

واشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: تاريخ ظهور الأشعرية بالمغرب:

إن دخول طلبة العلم المغاربة بغداد زمن أبي الحسن الأشعري (ت324هـ) كان كافيا في اتصالهم بهذا المذهب والتأثر به وللبرهنة على ذلك لابد أن نسوق مجمل الأقوال في الموضوع:

القول الأول: وهو الرأي الذي نصره ابن خلدون وغيره، وهو أن ابن تومرت (ت524هـ) هو الذي أدخل علم الكلام الأشعري إلى المغرب، ونقل بذلك المغاربة إلى مذهب التأويل وحملهم على الأخذ بمذاهب الأشاعرة في كافة العقائد⁶.

2 - غياث الأمم للجويني: الفقرة 16

3 - المعسول للمختار السوسي: 8/4 إلى 16، الاستقصاء للناصري: 66/1

4 - النبوغ المغربي لعبد الله كنون: 57/1

5 - مؤسسة الزاوية بالمغرب بين الأصالة والمعاصرة للشيخ مولاي جمال الدين القادري بودشيش ص 51 (رسالة دكتوراه)

6 - تاريخ ابن خلدون: ج 6/ص 302

القول الثاني: يذكره ابن الزيات ومفاده أن المرادي (ت489هـ) هو أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى⁷.

وبذلك يكون سند الأشعرية من طريق المرادي: عن أبي عمران الفاسي عن أبي بكر الباقلاني عن ابن مجاهد عن أبي الحسن الأشعري.

القول الثالث: ويذهب إلى أن الأشعرية دخلت المغرب مع الطبقة الثانية من تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري، وخصوصا مع أبي بكر الباقلاني (ت403هـ) وتلاميذه المغاربة والقيروانيين وهو القول الذي أشار إليه ابن عساكر في كتابه⁸.

القول الرابع: وهو أن الأشعرية دخلت المغرب في النصف الأول من القرن الرابع الهجري مع طبقة تلامذة الشيخ أبي الحسن الأشعري.

ولعل من أبرز الممثلين للمذهب الأشعري في هذه المرحلة من المغاربة: دراس بن إسماعيل (ت357هـ)، والفقهاء أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله القلانسي (ت361هـ) من القيروان، وأبو القاسم عبد الرحمان بن عبد المؤمن المكي المالكي القيرواني.

وقد جعلهما ابن السبكي مع ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ) في الطبقة الثانية من تلاميذ أبي الحسن الأشعري باعتبار أنهم تتلمذوا على الطبقة الأولى⁹.

القول الخامس: وهو الرأي الذي يذهب إلى القول بأن الأشعرية دخلت الغرب الإسلامي: إفريقية والأندلس والمغرب زمن مؤسسها أبي الحسن الأشعري¹⁰.

المبحث الثاني: الخصوصية المغربية والفكرة الأشعرية.

يمكن إجمال ذلك في الخصائص التالية:

1/ الاستقرار السياسي.

2/ المغرب ومنذ دخول الإسلام إليه ظل بلدا سنيا.

7 - التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي. عرف بابن الزيات (ت617) تحقيق د/أحمد التوفيق

8 - تبين كذب المفترى لابن عساكر: ص 120 وص 217.

9 - طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي: 268/2.

10 - المهدي بن تومرت لعبد المجيد النجار: ص 433.

3/ اعتناق مالكية بغداد للفكر الأشعري، كابن مجاهد (ت370هـ)، والأبهري (ت375هـ)، والباقلاني (ت403هـ)، هذا الأمر ساهم كثيرا في تسهيل التواصل بين مالكية المغرب ومالكية المشرق.

4/ تشجيع الأمراء للعلماء وفتح باب التوظيف أمامهم في المناصب السامية كالقضاء وغيره، وتقريبهم منهم.

5/ علاقة الرأي بمذهب مالك: فكون المذهب المالكي من أوسع المذاهب أصولا وأنه من أعمق المذاهب وأكثرها اعتمادا على الحديث والأثر.¹¹

6/ الرحلة المستمرة لطلبة العلم المغاربة نحو المشرق من أجل الاستزادة من العلم ومذاكرته مع إخوانهم المشاركة، قال المقري: "إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال"¹².

وهذه العوامل مجتمعة تجعلني لا أستبعد وصول الفكر الأشعري إلى المغرب، زمن مؤسسه أبي الحسن الأشعري. وهو الرأي الذي صرح به عبد المجيد النجار قائلا: "ومما لا شك فيه أن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري في وقت مبكر، وربما في عهد مؤسسه نفسه"¹³.

الفصل الثاني: إمارة المؤمنين في المغرب

ويضم مبحثين:

1/ الإمامة العظمى.

2/ إمارة المؤمنين بالمغرب من التأسيس إلى الترسيم.

المبحث الأول: الإمامة العظمى

إن وجوب نصب الإمام غير مأخوذ بالعقل، بل يؤخذ من الشرع، وما أجمع عليه علماء الأمة. كما أن نظام أمر الدين مقصود لصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام قطعا، وهذه مقدمة قطعية

11 - مالك لأبي زهرة: ص 21

12 - نفح الطيب لشهاب الدين المقري: (ج2/ص5) دار صادر

13 - المهدي بن تومرت: ص 433.

لا يتصور النزاع فيها، وتضاف مقدمة ثانية، وهي أنه لا يحصل نظام الدين إلا بإمام مطاع، فيحصل من المقدمتين صحة الدعوى وهي وجوب نصب الإمام.¹⁴

ويشترط في الإمام أن يكون عدلا وأهلا لتدبير الخلق، وذلك بالكفاءة والعلم والورع وأن يكون من آل البيت خلافا للشيعية التي تشترط العصمة في الإمام.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "إن دلالة السمع خصت الإمامة ببطن دون بطن من الناس ومن العرب وهم قريش"¹⁵. وقال أيضا: "الإمامة شريعة من شرائع الدين، يعلم وجوبها وفرضها سمعا"¹⁶.

والإمامة باعتبارها مصطلحا سياسيا، فقد عرفها العلماء بعدة تعاريف، نختار منها تعريف الماوردي حيث قال: "الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا"¹⁷

وبذلك تكون الإمامة مرجعيتها الشريعة؛ لأنها خلافة النبوة، ووظيفتها أو مهامها، فإنها تشمل حراسة الدين، وسياسة الدنيا والدين، وإمامة الإمام بيعة الأخيار في الإسلام.

فأمر نصب الإمام لا يخرج عن قواعد الشريعة، وتجب طاعته من طرف رعاياه، لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"¹⁸، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"¹⁹.

المبحث الثاني: إمارة المؤمنين بالمغرب من التأسيس إلى الترسيم

"جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده"

"إمارة المؤمنين" في الفكر السياسي الإسلامي؛ من الألفاظ المرادفة لـ "الخلافة" و "الإمامة" يقول النووي: "يجوز أن يقال للإمام: الخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين"²⁰.

14 - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: ص 147 الباب الثالث

15 - مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك: ص 182

16 - المجرّد لابن فورك: ص 180

17 - الأحكام السلطانية للماوردي: ص 3.

18 - النساء: 58

19 - الجامع الصحيح للإمام البخاري: حديث رقم (7137)

20 - روضة الطالبين وعمدة المفتين للنووي: 49/10.

وهذا اللفظ لم يكن معروفا في عصر الرسول ﷺ، ولا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان يلقب بخليفة رسول الله ﷺ، حيث نجد لقب "أمير المؤمنين" خص به المجتمع الإسلامي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان بذلك أول خليفة يلقب بأمير المؤمنين، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله: (فلما بويع لعمر بعهدته إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله ﷺ، ... وقد كان الجاهلية يدعون النبي، أمير مكة وأمير الحجاز... واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين، فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به... وسموها أصحابه فاستحسنوه، وقالوا أصبت والله اسمه، وإنه والله أمير المؤمنين حقا، فدعوه بذلك، وذهب لقباً له في الناس، وتوارثه الخلفاء من بعده...) ²¹.

يستفاد مما سبق؛ أن إمارة المؤمنين هي لقب للخليفة أو للإمام، وتعريف أحدهما هو تعريف لإمارة المؤمنين، ومن ثم فمصطلح أمير المؤمنين هو امتداد لفكرة الخلافة.

وعلى مستوى المغرب فإن مؤسسة الإمارة ترجع للعهد السالف كنظام سياسي توحد حوله المغاربة، وعزز النظام السياسي الإسلامي القائم على البيعة الشرعية والرضى النفسي بها أو التراضي حولها بين الأطراف المعنية، وقد ارتبط ظهور لقب إمارة المؤمنين في المغرب بانثاق دول كبرى في مجاله التاريخي، ارتأى قادتها تبني هذا اللقب للتعبير عن الاستقلال السياسي والروحي الديني للمغرب عن الخلافة المشرقية. وكان أول من تسمى بأمير المؤمنين في المغرب هو الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي ²².

أما إذا انتقلنا إلى المغرب في عهده الجديد فإننا نجده قد عرف تطورا ملحوظا في الممارسات الدينية والسياسية، تحت ظلال إمارة المؤمنين، حيث انفتحت على مجالات مختلفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، بسبب التطور والتغيير الذي عرفه العالم الإسلامي والغربي، ولكن في حفاظ على أصالتها الشرعية وخصوصيات المغرب التي تمثلها هويته الوطنية، وفي توافق مع ما يحفظ الأمن الروحي والسياسي للأمة ويصون وحدتها ويجنبها الانزلاقات والاختلافات الضارة.

21 - تاريخ ابن خلدون: العبر ص 178 الفصل الثاني والثلاثون في اللقب بأمير المؤمنين وأنه من سمات الخلافة

22 - الاستقصاء للناصري: 3/ 53-54.

فعلى مستوى الممارسة الفعلية، وبحكم الترابط الديني بالسياسي في شريعة الإسلام، عرفت إمارة المؤمنين توسعا في مجال الشورى وإعمالها باستشارة القيادة الفكرية والسياسية من ذوي الاختصاصات والصلاحيات من العلماء ونواب الأمة.

ومما أضفى على إمارة المؤمنين في عهد الملك محمد السادس نصره الله، طابعا مميزا لها وتوجها يتفق ودلالاتها الدينية والوطنية، الحرص على استمرار هويتها الثقافية وأصالتها المميزة لها، وذلك بالدعوة الدائمة إلى وجوب حفاظ الأمة على عقيدتها السنية وشريعتها الإسلامية وتعاليم دينها، والتحلي بالقيم الأخلاقية والمثل العليا، وسيادة كل هذه التعاليم والقيم في مختلف القطاعات وشرابيين الأمة...

وإن من أبرز الدلائل على هذا التوجه الديني والوطني لدى أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله، حرصه على تكوين الإنسان الصالح وفق المفهوم الديني، وربطه للتنمية البشرية، التي دعا لها وعمل على أن تستفيد منها مختلف شرائح الأمة، بالتنمية الروحية.

وهذا ما يفسر انشغال أمير المؤمنين بإصلاح الشأن الديني وتحقيق الأمن الروحي بتوسيع خريطة المجالس العلمية وإعادة هيكلة الحقل الديني بعامة والدعوة إلى تأطير الأئمة وتنمية معارفهم وتوسيع آفاق رسالتهم لتشمل المجال الاجتماعي والتكفلي والتوجيهي فيما أطلق عليه "ميثاق العلماء". وهو ما جاء في خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله حيث قال: "وفي هذا الصدد قررنا تدشين مرحلة جديدة من الإصلاح الديني. باطلاق خطة رائدة هي "ميثاق العلماء" باعتبارها برنامجا نوذجيا للتوعية والتنوير، يقوم على حسن أدائكم لأمانة الإرشاد، والتفقيه في الدين، عن قرب. وهو ما يقتضي من العلماء الانكباب على تأهيل أئمة المساجد فضلا عن الانتشار في البوادي والمدن لتوعية عامة الناس وتوجيههم ومحاربة وتفنياد أضراليل التطرف"²³.

وجاء في الرسالة السامية الموجهة إلى أعضاء المجلس العلمي الأعلى لسنة 2000م بالرباط حيث ورد فيها: "وإذا كنا قد أعلننا عن حرصنا الدائم والمستمر، في أكثر من مناسبة على تعزيز الأمن الروحي بمملكتنا، بتحسين عقيدتها وصيانة وحدتها المذهبية، والذود عن ثوابتها وقيمها، فإننا ما

23 - خطاب أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في افتتاح دورة المجلس العلمي الأعلى: تطوان 27 رمضان عام 1429هـ/ 28 شتنبر 2008م.

زلنا نؤكد على ضرورة إدماج الخطاب الديني في صلب المشروع المجتمعي الذي نعمل جادين على إنجازه لتحقيق التنمية البشرية المنشودة ورفع تحدياتها واستشراف المستقبل في ثقة وعزم واطمئنان. " لقد حرصت إمارة المؤمنين بالمغرب على حفظ الأمن الروحي إلى جانب الأمن السياسي للأمة المغربية، وصانت وحدتها من الفرقة والاختلاف، وجعلت المغرب ينعم بالوحدة والائتلاف بكل مكوناته، فحافظت على اختيار المغاربة للمذهب المالكي في الفروع، والعقيدة الأشعرية في الأصول، والتصوف السني في السلوك.

وفي هذا الإطار كان لأmir المؤمنين جلالة الملك محمد السادس - حفظه الله - جهود كبرى من أجل صيانة الخصوصية الدينية للمغرب في ظل التغيرات العالمية المعاصرة، والتفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب.

واستندت جهود أمير المؤمنين على الأسس التالية:

أولاً: اعتبار الخصوصية الدينية ثابتاً من الثوابت السياسية لإمارة المؤمنين.

ثانياً: تجديد أمر الدين.

ثالثاً: تفعيل الإصلاحات الهيكلية المؤسسية.

ونظراً للأهمية القصوى لممارسة الشعائر الدينية على الكيفية المذكورة في حياة الفرد والجماعة وما له صلة بالأمن الروحي، نص المشرع المغربي على إسناد مهمة المحافظة على الدين للملك بصفته أميراً للمؤمنين، وذلك بمقتضى الفصل 41 من الدستور، الذي جاء فيه ما نصه: "الملك، أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية.

يرأس الملك، أمير المؤمنين، المجلس العلمي الأعلى، الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه.

ويعتبر المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتاوى المعتمدة رسمياً، بشأن المسائل المحالة عليه، استناداً إلى مبادئ وأحكام الدين الإسلامي الحنيف ومقاصده السمحة".

وباستيفاء النظر في مهام أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك محمد السادس أيده الله ونصره فيما يرجع لحفظ الدين مجدها قائمة على تعلقين:

أحدهما وجودي: ويتحقق وجه الحفظ فيه بالعمل على ما يثبت أركانه ويقوي بنيانه.

والثاني عدمي: ويتصور الحفظ فيه بالعمل على منع كل ما يمس بماهيته أو يفرط في جزئياته.

قال أبو إسحاق الشاطبي: "والحفظ لها يكون بأمرين؛ أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود. والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم"²⁴.

من خلال هذين التعليقين سأبين مظاهر جهود أمير المؤمنين في تحقيق قصد الشارع من الحفاظ على الدين.

أولاً: الحفظ الوجودي :

من تجليات جهوده نصره الله في الحفظ الوجودي:

1. مباشرة المهام الدينية المنصوص عليها في النقول الشرعية: وبموجبها يعتبر أمير المؤمنين السلطة الدينية العليا في البلاد، إليه يوكل النظر في حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها. والقول بالحمل على المقتضى الشرعي هو من باب الإمامة العظمى القاضية بخلافة الرسول ﷺ في حفظ الدين والعمل على حراسته ونشره.

2. إظهار الشعائر الإسلامية وتولي الخطط الدينية: لأن إمارة المؤمنين نيابة عن الرسول ﷺ من حيث كونه الإمام الأعظم، والمفتي الأحكم، وللعمل على صيانة تلك الشعائر، فإنه يجوز بالإذن الشرعي أن يعين جلالته من يمثله في ذلك الحفظ، فكل ذلك متحقق في الرعاية السامية لأمر المؤمنين وبتعليماته الشريفة الضامنة للحفظ الوجودي لهذا الدين الحنيف.

3. تأهيل الشأن الديني: من خلال احترام القيم الإسلامية التي درج المغاربة على التمسك بها مذهباً وعقيدة وسلوكاً، والعمل على إقرارها تحقيقاً للوحدة وضماناً للأمن الروحي.

ثانياً: الحفظ العدمي:

لأمر المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله جهود تذكر في الباب باعتباره أعلى سلطة دينية في البلاد. فبحكم ما أناطه الله به من أمر الإمامة العظمى، وبحكم صلاحيته الدستورية في

24 - الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي: ج2/ص7 تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي المكتبة العصرية

إمارته الكبرى، فقد جعله الله قائما على نصره الدين، ودرء كل خطر يتعلق بشعائر المسلمين يتجلى ذلك في التشريعات القاضية بمتابعة من ثبتت إدانته في المس بهذا الأصل العظيم...

جاء في ديباجة الظهير الشريف المتعلق بالرابطة المحمدية للعلماء: "وقياما بالأمانة المنوطة بنا بوصفنا أميرا للمؤمنين، وما تستلزمه الإمامة العظمى من واجب حراسة الدين وإقامة شعائره وشرائعه، وتمنيع قيمه ومكارمه مما قد يلابسها من ذرائع الزيغ والانحراف أو شوائب التنطع والابتداع..."

مما سبق يتبين أن مهام أمير المؤمنين في حفظ الدين وحماية بيضة الإسلام والمسلمين تحققت وفق تصور قائم على احترام العبادات، وتأهيل المؤسسات ورسم الآليات الخادمة للثوابت والمقدسات، فلاحت بذلك بوادر الحكمة، وظهرت عناصر الوحدة التي عم بها الاستقرار والأمن الروحي للمغاربة أجمعين.

إن هذا العمل هو مجهود أردت به مرضاة الله عز وجل، فإن وفقت فبفضل من الله وعونه، وما توفقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب"²⁵.

دلالات ومغازي الاحتفال بعيد العرش المجيد

د. محمد سليمان

ميسور

يعتبر عيد العرش بالمملكة المغربية من أبرز أعيادها الوطنية، وهو مناسبة وطنية يتم الاحتفال به كل سنة بحلول الثلاثين من شهر يوليوز، وسبب تسميته بهذا الاسم هو أنه في هذا التاريخ تربّع الملك محمد السادس صاحب الجلالة نصره الله على عرش المملكة، وبايعه شعبه البيعة الرسمية في سنة ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين، وأعلنوه ملكاً رسمياً عليهم، تلکم البيعة التي تعتبر أبرز الأسس التي تقوم عليها شرعية الإمامة، إذ نبه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله منذ اعتلائه عرش أسلافه المنعمين على أنها ميثاق مستمر يجمع بينه وبين شعبه، وذلك في خطابه السامي الذي وجهه إلى الأمة بمناسبة الذكرى السادسة والأربعين لثورة الملك والشعب، والذي جاء فيه: "وإذا كان جلالة الملك الحسن الثاني تغمد الله بواسع رحمته قد رحل إلى جوار ربه، فإننا نحن محمد السادس قد خلفناه في خدمتك - شعبي العزيز - وخدمة المغرب، وسنبقى على النهج الحسنسي سائرين تمسكاً ببيعة الإمامة الشرعية التي تطوق عنقنا وعنقك، موصولة بما سبقها على امتداد أزيد من إثني عشر قرناً، موثقة السند بكتاب الله وسنة رسوله الكريم، ومشدودة العرى إلى الدستور المغربي الذي ينص على أن الملك أمير المؤمنين، والممثل الأسمى للأمة، ورمز وحدتها"¹، وإن الاحتفال بهذه الذكرى الغالية على قلب كل مغربية ومغربي، تحمل في طياتها عدة مغازي ودلالات عميقة تبرز بجلاء تماسك المجتمع المغربي وتلاحم مختلف مكوناته الوطنية مع العرش، من أجل حماية الدين والوطن ومواصلة الاهتمام بأحوال الشعب، لجعله في مصاف الدول الراقية، وإيلائه المكانة التي يستحقها بين الأمم والشعوب، ومن دلالات ومغازي الاحتفال بالذكرى العشرين لعيد العرش المجيد هذه السنة:

1 - رشيد لبحيح، ثورة الملك والشعب: ثوابت الانطلاق ومقومات الاستمرار، مجلة دعوة الحق، العدد 414، سنة 2015م، ص 70.

1- دلالات تحيل على قيم وهوية الأمة المغربية:

تبرز المكانة المهمة التي يجسدها الاحتفال بعيد العرش كحدث ذي حمولة تاريخية وهوياتية وطنية قوية، في الدلالة الرمزية التي تمثلها هذه الذكرى في الوعي الوطني، وذلك من خلال ترسيخ تمسك العرش والشعب بالقيم نفسها المؤسسة التي تركز عليها الأمة، ويبرز السياق الذي جرى فيه تأسيسه وتخليد الاحتفال بذكرى عيد العرش، الظروف التاريخية العصيبة التي كانت تواجهها الدولة آنذاك، والمتمثلة في محاولة السلطات الاستعمارية إضعاف وطمس الهوية المغربية المتعددة الروافد، من خلال إصدارها للظهير "البربري" في 16 ماي 1930م، التي كانت تهدف من خلاله السلطات الفرنسية إخضاع القبائل الأمازيغية للمحاكم العرفية والمحاكم الجنائية الفرنسية، ومحاربة اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها، كل ذلك من أجل تحقيق هدف واحد وهو تمزيق لحمة وأسس الوحدة المغربية، وقد واجهت ساكنة مدينة فاس إصدار هذا الظهير المشؤوم، بانطلاق حركة "اللطيف" التي انطلقت من مسجد القرويين، على يد الحاج العربي بوعباد الذي كان أول من افتتح دعاء "اللطيف" بمسجد القرويين في الرابع من يوليو من سنة 1930م²، إذ تقاطرت الحشود إلى المسجد، وزاد حماسها بعد خطبة عبد السلام بن إبراهيم الوزاني، والذي دعا فيها إلى رفض سياسة التفرقة، وحث الحاضرين على التشبث بالدين والشريعة، والتصريح برفض الظهير البربري عن طريق الانتقال إلى مواقف عملية والخروج جماعة من القرويين عبر سوق الشماعين نحو الضريح الإدريسي للتوسل وطلب اللطيف³.

وفي ظل هذا الغليان والاستنكار الوطني الذي أعقب إصدار الظهير البربري، برزت فكرة الاحتفال بالذكرى السنوية لاعتلاء جلالة المغفور له محمد الخامس العرش، كطريقة ذكية لتخليد حدث رمزي كبير يعكس الالتحام ووحدة الوطن ومرجعية القيم الوطنية الموحدة للشعب المغربي، ولقد كانت فكرة تخليد ذكرى اعتلاء الملك العرش، مبادرة نابعة من شباب وطنيين متحمسين، كانوا يقاومون الاستعمار، ويدافعون عن الوحدة الترابية والدينية للمغرب، وفي هذا الإطار يقول أحد

2 - سمير بوزويته، الوطنية المغربية: وطنية للعرش والشعب، مقال بمجلة الذاكرة الوطنية، العدد 27، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2016م، ص 97.

3 - محمد معروف الدفالي، خطبة عبد السلام بن إبراهيم الوزاني بالقرويين ضد الظهير البربري، مقال بمجلة أمل، العدد الأول، السنة الأولى، دار قرطبة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1992م، صص 143 - 144.

رواد الحركة الوطنية المغربية وهو محمد حسن الوزاني: "إن عيد العرش احتفل به أول مرة سنة 1933،... كان سلاحا ضد نظام الحماية، كما كان محورا تتجمع حوله طبقات الشعب،... فهو وسيلة لتكتل قوة الأمة المغربية، وإظهار وحدتها في عيد رسمي مدني،... ومن شأن هذا أن يعزز مركز السلطان نفسه، ويفلته من (القفص) الحسي والمعنوي الذي وضعته فيه الحماية"⁴.

وفي مدينة فاس، كانت هيئة تحرير صحيفة "لاكسيون دي بوبل" (عمل الشعب)، الصحيفة الوطنية الأولى التي كانت تصدر أسبوعيا باللغة الفرنسية، والتي أسسها في 4 غشت سنة 1933م محمد حسن الوزاني، تندد دائما بالممارسات التعسفية لسلطات الحماية، وتطالب بالحريات والديمقراطية والإصلاحات، كما كانت بمثابة حاضن لفكرة عيد العرش، وهكذا منذ نونبر 1933م تشكلت لجان لتنظيم حفل عيد العرش بكل من الرباط وفاس ومكناس وطنجة والدار البيضاء ومراكش.

وفي السنة الموالية، ومع اقتراب هذه الذكرى المجيدة، دعت صحيفة "عمل الشعب" في عدد 4 ماي من سنة 1934م، سكان مدينة فاس إلى الحضور بكثافة للترحيب بالسلطان يوم 10 ماي أثناء دخوله الرسمي إلى مدينة فاس، وهو ما استجاب له السكان الذين عبروا عن ابتهاجهم بمقدم السلطان مرددين هتافات "عاش الملك" و"عاش الإسلام"، وقد لاقت الاحتفالات المنظمة بمناسبة عيد العرش في مختلف مدن وبوادي المغرب نجاحا كبيرا لأنها كانت ترمز إلى سيادة البلاد⁵، وهو الشيء الذي لم يرق الإقامة العامة الفرنسية التي أعادت جلالة الملك إلى الرباط خلال اليوم نفسه، كما نشرت صحيفة "عمل الشعب" صورتين إحداهما لجلالة الملك سيدي محمد بن يوسف، والثانية للأمير مولاي الحسن مع عنوان كبير "عاش صاحب الجلالة سيدي محمد"، وأعقب ذلك منع سلطات الاستعمار لهذه الصحيفة.

نستخلص مما سبق أن الدلالات الرمزية الكبرى للاحتفال بعيد العرش في تاريخ المغرب الحديث، تتجسد في تجديد البيعة بين الشعب المغربي الأبى والعرش العلوي المجيد، وفي الاستمرارية التاريخية للنظام الملكي، وفي الترابط بين القمة والقاعدة لصيانة قيم الهوية المتعددة الروافد، من أجل بناء المغرب وإعلاء شأنه بين الأمم والشعوب.

4 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، الجزء 3، نشر مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1984م، ص 470.

5 - محمد العلمي، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1975م، ص 48.

2- دلالات ترمز للتلاحم العميق بين العرش والشعب:

يخلد الشعب المغربي في الثلاثين من هذا الشهر الذكرى العشرين لاعتلاء الملك محمد السادس عرش أسلافه الميامين، وهي مناسبة طافحة بالرموز والدلالات تتجسد فيها أواصر الولاء الدائم والبيعة الوثقى والتلاحم العميق بين الشعب والعرش.

وتعيد ذكرى عيد العرش الملاحم البطولية التي خاضها الشعب والعرش، جنبا إلى جنب، منذ السنوات الأولى للكفاح الوطني من أجل الانعتاق من الاستعمار، وهو كفاح جسده شعار "الشعب بالعرش والعرش بالشعب"، الذي يعبر عن الحب والوفاء الذي كان قائما بين السلطان سيدي محمد بن يوسف، رحمه الله، ورجال الحركة الوطنية وزعمائها ما بين سنتي 1930م و1955م.

وفي خضم هذا الالتحام والوفاء، تقرر الاحتفال بعيد العرش في ثلاثينيات القرن الماضي، حيث تم الاحتفال بذكرى عيد جلوس السلطان سيدي محمد بن يوسف رحمه الله، بصفة غير رسمية، بتاريخ 18 نونبر 1933م من قبل الشباب الوطني المتحمس الذي كان يواجه الاحتلال الفرنسي ويدافع عن كيان المغرب ووحدته الدينية والترايبية، ويعمل على فضح أعمال السلطات الاستعمارية الفرنسية وكشف خططهم المسيئة بالوطن، ولذلك اهتدت الكتلة الوطنية إلى فكرة سديدة، ألا وهي تأسيس عيد العرش⁶، وسرعان ما أضحى هذا العيد عيدا رسميا سنة 1934م بمقتضى قرار وزاري صادر عن محمد المقرئ الصدر الأعظم (الوزير الأول في الحكومة المخزنية) ومؤشر عليه من طرف المقيم العام الفرنسي "هنري بونسو"، وتم نشره بالجريدة الرسمية بتاريخ 2 نونبر 1934م.

وتنطوي ذكرى هذا العيد على دلالات رمزية كبرى تتجسد في تجديد البيعة بين العرش والشعب، وبناء مغرب قوي متشبث بمبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان منخرط في قيم التقدم والحداثة، وتكمن أيضا في حفل الولاء الذي يقام بمناسبة عيد العرش المجيد، حيث يبرز هذا الحفل التقليدي التشبث بالثوابت الوطنية التاريخية من طرف ممثلي الشعب المغربي وتجديد بيعتهم لملك البلاد، بصفته أميرا للمؤمنين ورئيسا للدولة وممثلها الأسمى، سيما وأن البيعة أضحت في المغرب اليوم ميثاقا دستوريا يقوم على التشاور والتكافل والتماسك والإخلاص.

6 - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة علال الفاسي، الطبعة الجديدة، الرباط، 1992م، ص 161.

إن البيعة التي يقدمها ممثلو مختلف جهات المملكة خلال حفل الولاء تجسد ذلك العمق التاريخي والحضاري الذي يتميز به المغرب، فقد كانت هناك، ومنذ نحو أكثر من 12 قرناً، هيئة تباع الملوك في المغرب، تتشكل من كافة مكونات الشعب وفي مقدمتها العلماء، وإذا كانت ذكرى عيد العرش تعيد للشعب المغربي أمجاده التاريخية، فإنها تحل هذه السنة، وقد انخرط المغرب في تأكيد الخيارات الأساسية التي كرسها الدستور الجديد للمملكة، وما فتحه من آفاق المشاركة الفعالة أمام الشعب المغربي لترسيخ النموذج المغربي المتميز في توطيد صرح الدولة المغربية العصرية، المتشعبة بقيم الوحدة والتقدم والإنصاف والتضامن الاجتماعي، الوفية لهويتها العريقة.

وقد ظل جلالة الملك منذ اعتلائه العرش حريصاً على الاهتمام بانشغالات المواطنين بجميع فئاتهم، من خلال الوقوف الميداني على ظروف عيشهم والتجاوب مع انتظاراتهم، وهو نفسه الاهتمام الذي أحاط به أفراد الجالية المغربية المقيمة بالخارج المتعلقة ببلدها، الوفية لهويتها، المساهمة في تنمية وطنها الأصل، وإن ما أقدم عليه المغرب من إصلاحات، وانطلاقاً من كون دولة الحق والقانون هي مصدر كل تقدم، فقد جعل الملك العدالة في مقدمة الأوراش الإصلاحية، سيما وأن الدستور الجديد وضع استقلال القضاء في صلب منظومته، كما أطلق ورش الجهوية المتقدمة التي كرسها الدستور ليكون تفعيلها كفيلاً بإحداث تغيير جوهري وتدرجي في تنظيم هياكل الدولة.

لذلك حرص جلالتهم، منذ اعتلائه العرش، على جعل العنصر البشري، خاصة فئة الشباب، في صلب كل المبادرات التنموية، وهو ما تجسد في مختلف مشاريع وبرامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي حققت نتائج إيجابية في النهوض بالفئات المعوزة، ومكنت إلى حد كبير من سد الخصاص بالمناطق الأكثر هشاشة، والتي تفتقر إلى التجهيزات الأساسية الضرورية لتحقيق كرامة المواطن وتبوءه المكانة التي يستحقها.

إن هذا الاهتمام والحرص والعناية التي يحيط بها العاهل المغربي على الدوام، كافة أفراد شعبه وفي مختلف جهات المملكة، إنما هي استمرار لعقد الوفاء والإخلاص بين القمة والقاعدة، وترجمة ملموسة لرمزية عيد العرش، وإذا كان العرش والشعب قد كتبا معاً صفحات خالدة في سفر تاريخ المغرب الحديث، فإنهما يكتبان اليوم، بالمداد ذاته، أمجاد مغرب الغد، مغرب الديمقراطية والكرامة والتضامن وتكافؤ الفرص والازدهار.

3 - دلالات يستحضر فيها المغاربة تاريخهم الحافل بالأعجاز:

لقد استطاعت كتلة العمل الوطني منذ إعلانها وتشبثها بالاحتفال بعيد العرش، أن تنفذ إلى الوعي الديني للمغاربة فتوقظه، وتضيف إلى المفهوم الديني المفهوم الوطني الذي يعني السيادة الوطنية التي يجسدها ملك البلاد⁷، وأصبح هذا الاحتفال بعيد العرش على مر التاريخ يمثل حدثاً يؤرخ لتريع صاحب الجلالة الملك محمد السادس على عرش أسلافه المنعمين، والتي يخلدها المغاربة طبعاً كل يوم 30 يوليو من كل سنة، في جو من الافتخار والاعتزاز والتلاحم، في نفوسهم شعلة مواصلة السير إلى الأمام بكل قواهم وبدون تردد، واستحضار تاريخ مغربهم الحافل بالأعجاز، وبذل الجهود تلو الجهود لبناء المستقبل الزاهر، وفضلاً عن تجسيده لأواصر الولاء الدائم والبيعة الوثقى والتلاحم العميق بين الشعب والعرش، يشكل الاحتفال بعيد العرش مناسبة لاستحضار الإنجازات والأوراش التنموية المفتوحة بمجموع أقاليم المملكة، فعيد العرش عيد الأمل والاستمرارية والبيعة والنهضة الشاملة والإخلاص لله والوطن والملك.

لقد شكل العرش المغربي، على مر العصور والدهور، عماد الدولة المغربية، ورمز وحدتها، وركيزة قوتها وضمان مستقبلها، باعتباره يجسد كل تطلعات الشعب المغربي وطموحاته في التنمية والنماء، والعزة والرخاء، وهو الساهر على تقوية الروابط، وتمتين الأواصر بين كافة الطبقات الشعبية في دولة الحق والقانون.

وقد ساهم شعار "الشعب بالعرش والعرش بالشعب"، الذي تردد منذ بداية الكفاح من أجل الاستقلال، وهو شعار مكن الشعب المغربي بقيادة عاهله من تحقيق المعجزات، لإحقاق الحق وإزهاق الباطل خلال عهد الحماية، وبعد بزوغ فجر الحرية والاستقلال، في إذكاء جذوة النضال من أجل الحرية والانعقاد، كما أنه اليوم ضمان لمستقبل مزدهر تحت القيادة الحكيمة لسليل الأشراف العلويين جلالة الملك محمد السادس نصره الله.

وفي خضم التحولات الخطيرة والأحداث الجسيمة التي يعيشها العالم، تضطلع المؤسسة الملكية المغربية، بكل عزم وحزم وثبات، بالوقوف سداً منيعاً أمام مسببات كل أنواع التخلف في

7 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992م، ص 104.

الأوساط الاجتماعية، سائرة، بكل تحد ومسؤولية، على نهج بناء وتشيد المنشآت الكبرى الاقتصادية والصناعية والفلاحية والطاقة لزرع بذور الأمل على أرض المغرب لصالح هذا الشعب الأبي للملكه، وأجياله الصاعدة التي تجعل نصب عينها العمل الدؤوب والإخلاص للثوابت التاريخية المقدسة، وتقف صفا واحدا من وراء العرش العلوي أمام كل التحديات الصعبة والخروج عن الطريق السوي المستقيم.

ويرمز حفل الولاء التقليدي الذي يقام بمناسبة حلول عيد العرش المجيد، إلى التشبث بالثوابت الوطنية التاريخية من طرف ممثلي الشعب المغربي وتجديد بيعتهم لعاهل البلاد، إذ البيعة أصبحت اليوم في المغرب ميثاقا دستوريا يقوم على التشاور والتكافل والتماسك والإخلاص المتبادل، وهذه البيعة التي يجسدها حفل الولاء، هي عقد وعهد بين أفراد الأمة وولي أمرهم لإصلاح أمورهم وأحوالهم، ونشر المساواة والعدل فيما بينهم، والمحافظة على مصالحهم والدفاع عن حقوقهم وحماية بلادهم من الفتن والأهوال والعدوان، وفي المقابل يلتزم أفراد الأمة بالإخلاص والوفاء لعاهل البلاد وإبداء النصيح والنصيحة، وتطبيق التعاليم والتوجيهات القائمة، والمحافظة على احترام الحقوق الإنسانية.

ويواصل صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، وارث سر جلالة الملكين محمد الخامس والحسن الثاني طيب الله ثراهما، أداء الرسالة المثل في تنمية البلاد، والسعي إلى تحقيق رقيها ونهضتها، ويتابع حفظه الله مسيرة البناء والتجديد للمغرب الحديث، بما يبذله من جهود هادفة إلى تحقيق أمان شعبي التوافق إلى نهضة واسعة وتنمية شاملة وحياة رغيدة، موليا جلالته عنايته الخاصة لإرساء دعائم دولة الحق والقانون ولتنمية بلاده تنمية بشرية مستدامة، تربويا وصحيا واجتماعيا وثقافيا، ولتعزيز البنيات التحتية للوطن بتشيد المنشآت التجهيزية الكبرى من موانئ ضخمة وطرق سيارة وسدود نافعة وتجهيزات فلاحية عظمى لتحقيق "المغرب الأخضر" المثمر الزاهر، حيث يضع جلالته الأسس الكفيلة لوضع المغرب الجديد على سكة الحداثة والنماء، وفي هذا الصدد قال جلالة الملك محمد السادس حفظه الله في أول خطاب له للعرش: "إننا نطمح إلى أن يسير المغرب في عهدنا قدما على طريق التطور والحداثة وينغمر في خضم الألفية الثالثة مسلحا بنظرة تتطلع لآفاق المستقبل

في تعايش مع الغير وتفاهم مع الآخر محافظا على خصوصيته وهويته دون انكماش على الذات وفي كنف أصالة متجددة وفي ظل معاصرة ملتزمة بقيمتنا المقدسة".

وبروح وثابة صمم جلالة الملك محمد السادس منذ اعتلائه العرش، على مواجهة مختلف أنواع المشاكل التي تعترض سبيل تحقيق التنمية الشاملة لشعبه الوفي، والبحث في أنجع السبل لتحقيق تنميته المستدامة، مع الحرص على استثمار الأواصر الوطيدة التي تجمع بين العرش والشعب في عملية التجديد وبناء المستقبل، وفي هذا الإطار قال جلالتة: "... نود أن نؤكد مدى الأواصر العميقة التي تربطنا بك متجلية في تشبك بأهداب عرشنا وتعلقك بشخصنا في حب متبادل قوي، وإنا نحثك على بذل المزيد من الجهود في حرص على الوحدة والإجماع وتمسك بالمقومات ونظر بعيد إلى المستقبل، إننا إذا سرنا على هذا النهج حققنا ما نطمح إليه لبلدنا العزيز..."

4 - دلالات تجسد عمق ما يربط العرش بالشعب من أواصر الولاء الدائم:

تشكل الذكرى العشرون لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، عرش أسلافه الكرام، التي ستحل يوم الثلاثين من شهر يوليوز الجاري، مناسبة متجددة تجسد عمق ما يربط العرش بالشعب من أواصر الولاء الدائم، والبيعة الوثقى والتلاحم العميق، واحتفال بالمفاخر والأعجاد، والتطلع نحو تحقيق المزيد من الانتصارات لهذا الوطن، وفرصة لشحن الهمم ولتجديد العزائم وتوطيدها والاندفاع إلى الأمام في تشييد صرح المغرب الحديث.

وتتيح هذه الذكرى كذلك المناسبة لتأكيد الوفاء الصادق الذي يتبادلته العرش والشعب، وتجديد العهد المقدس الذي يلحم بينهما بأواصر البيعة الشرعية المتجذرة عبر أربعة عشر قرنا من تاريخ المغرب الحافل المجيد، والتعبير عن الالتزام المتبادل بين الملك والشعب لرفع التحديات وتخطي المعوقات كيفما كانت طبيعتها.

إن المرمى والهدف الحقيقي للاحتفال بهذه الذكرى، والمغزى الكامن في استحضار هذا الحدث، هو التشخيص الدائم وعلى مر الحقب والأزمان، لعرى التلاحم الوثيق بين العرش والشعب، والولاء الدائم والوفاء المستمر الذي يكنه الشعب المغربي لعاهله جلالة الملك محمد السادس، والتعبير الصريح عن القيم والأصالة، والارتباط بالحرية والديمقراطية، والاستعداد

الدائم للذود عن حرية الوطن واستقلاله واستكمال وحدته الترابية، وصد مناورات المتربصين بهذا البلد.

في هذه المناسبة المتميزة والبهيجة، تلبس كل مدن المغرب وأقاليمه حلة جديدة، يعبر سكانها عن فرحتهم وتأييدهم وتعلقهم بملكهم، معترفين ومكبرين ما يبذله أمير المؤمنين حفظه الله من جهد متواصل من أجل إسعادهم، وما يتخذه جلالته من قرارات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتنموية لفائدتهم، وهي مناسبة أيضا لاستحضار المنجزات الكبرى الرائدة التي عرفها المغرب في العهد المحمدي الزاخر بالأعجاز والمكرمات، والتحولات التي شهدتها على امتداد السبعة عشرة سنة الماضية والتي جعلت المملكة ورشا كبيرا مفتوحا.

إنها ذكرى يتهج بها الشعب المغربي قاطبة في كل ربوع وأقاليم المملكة، ويفرح بها ويستبشر بها في كل مدينة وقرية، وعلى مر التاريخ زاد الاحتفال بعيد العرش من مكانة الملك في نفوس الشعب، أصبح الشباب الوطني يتغنى به ويهتف باسمه، ويعلق الآمال الكبيرة عليه⁸، ويرى في ذلك الاحتفال التعبير الأسمى عن ولائه وإخلاصه ووفائه لجلالة الملك وللعرش العلوي المجيد، كما أنها مناسبة مواتية لتأكيد الخيارات الأساسية للبلاد التي كرسها الدستور الجديد للمملكة، الذي أجمعت الأمة على اعتباره ميثاقا متميزا، بما يفتحه أمام المغاربة من آفاق المشاركة الفعالة، ومناسبة سانحة لاستلهاهم روح الوفاء والعطاء المستمر، لمواصلة العمل والكفاح من أجل استكمال بناء مغرب الوحدة والتقدم والتنمية الشاملة.

لقد أكد جلالة الملك ذلك في خطابه السامي بمناسبة الذكرى الأولى لاعتلائه العرش، متوجها إلى رعاياه الأوفياء، بقوله: "إن احتفاءك الخاص بعيد العرش يعود لخاصيته المتمثلة في تجسيده لتلاحم مقدسات المغرب الثلاث: الإسلام والملكية والوطن، حيث أرسى العرش، بفضل الإسلام والملكية، مكونات الوطن التعددية، الحضارية والثقافية والجغرافية، وجعلها مصدرا مستمرا لوحدة، كما شكل هذا الالتحام بينك وبين العرش حصنا حصينا أكسب المغرب قوة ومناعة بهما تمكن من الصمود أمام أخطر الصعاب والأزمات، وتخطي أعنى العراقيل والعثرات، ورفع مختلف

8 - أبو بكر القادري، محمد الخامس: ملامح من حياته وصور جهاده، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995م، ص 37.

العوائق والعراقيل والتحديات، واجتاز الامتحانات الحاسمة ومنعرجات التاريخ الصعبة، وهو أكثر ما يكون ثباتا وشجاعة وأقوى تضامنا وأوفى عهدا"، وفي نفس السياق، قال جلالة الملك، في خطابه السامي بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لاعتلاء جلالته عرش أسلافه الميامين، مخاطبا شعبه الوفي بقوله: "إن احتفالك بذكرى عيد العرش المجيد، سيرا على تقاليدك العريقة، لا ينحصر مغزاه فقط في تجسيد ولائك الدائم لخدمك الأول، المؤتمن على قيادتك، وصيانة وحدتك. إنه يؤكد أيضا، وبصورة متجددة، رسوخ البيعة المتبادلة بيني وبينك، للمضي بالمغرب في طريق التقدم والازدهار، والتنمية والاستقرار. كما يجسد وفاءك لثوابت الأمة ومقدساتها".

لذلك فإن لعيد العرش المجيد دلالات عميقة، ومقاصد شريفة، وأهدافا نبيلة يرمز إليها، ويجدها كل سنة في قلوب أبناء الشعب المغربي، أبرزها الوعي الوطني الملهب بقدسية الوطن، وأن الوطنية المغربية هي وطنية للعرش والشعب، وقد عبر عنها أصدق تعبير محمد المكي الناصري حينما قال: "إن الوطنية كما أفهمها ويفهمها كثير من زملائي المخلصين، هي حركة دفاعية عن كافة الحقوق المهضومة والحقوق القومية، منها حقوق للعرش وحقوق للشعب، فمن دافع عن الشعب دون العرش أو عن العرش دون الشعب، فهو عندي ليس بوطني كامل، لأن العرش المغربي هو في الحقيقة جزء لا يتجزأ من ميراث الأمة، وهو رمز الوجود السياسي والدولي المتواصل والمتسلسل منذ قرون وأجيال"⁹، عيد يتجدد مع حلول الثلاثين من شهر يوليوز من كل سنة، يحمل بحلوله معاني سامية جليلة، من بشائر الخير واليمن والبركة، وعيد العرش ليس عيدا وطنيا فقط بالمعنى الحديث، بل هو عيد لتجديد البيعة والعهد الشامل بأمر المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، من حيث أن لهذه البيعة في المغرب بعدا روحيا كبيرا، فهي إضافة إلى أنها ميثاق دستوري يقوم على التشاور والتكافل والتماسك والإخلاص المتبادل بين ملك البلاد وأفراد الأمة، وهي أيضا بمثابة عقد روحي وسياسي يربط الشعب بالعرش العلوي المجيد.

ويدل هذا العيد المجيد العطر دلالة واضحة على الآصرة الدينية والرابطة الروحية، والوشيجة القوية التي تجمع بين العرش وشعبه الوفي في نطاق البيعة الشرعية، المتأصلة باستمرار، والمتجددة في

9 - محمد المكي الناصري، وطنيتنا للعرش والشعب، مقال بجريدة الوحدة المغربية، العدد 4، السنة الأولى، نشر يوم الأحد 14 فبراير 1937م.

كل مناسبة دينية ووطنية، والتي تتمثل فيها الطاعة الواجبة لأولي الأمر في الإسلام، كما أمر بها الله سبحانه وتعالى في قوله جل علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَصْبِعُوا اللَّهَ وَأَصْبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹⁰، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ، إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾¹¹.

5 - دلالات تبرز الدينامية والوحدة والاستقرار التي يتمتع بها المغرب:

تشكل الذكرى العشرون لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله عرش أسلافه الكرام، ملحمة وطنية تبرز الدينامية والوحدة والاستقرار التي يتمتع بها المغرب، وإن تخليد ذكرى عيد العرش هو لحظة أيضا لإبراز الإنجازات التي حققها المغرب، واستحضار أهم محطات المسار التنموي بالمغرب الذي أضفى عليه جلالة الملك محمد السادس طابعا أكثر براغماتية وواقعية وفعالية، سواء من خلال الإصلاحات الدستورية والسياسية، أو من خلال الأوراش المهيكلية الكبرى الاقتصادية والاجتماعية، لخدمة المواطن المغربي وعلاقات المغرب مع محيطه الإقليمي والدولي.

وتعد هذه الذكرى كذلك مناسبة أيضا لتأكيد الوفاء الصادق الذي يتبادله العرش والشعب، وتجديد العهد المقدس الذي يلحم بينهما بأواصر البيعة الشرعية المتجذرة منذ قرون، والتعبير عن الالتزام المتبادل بين الملك والشعب لرفع التحديات وتخطي المعوقات كيفما كانت طبيعتها، فعيد العرش مناسبة تكتسي دلالات كبرى ومعان كثيرة وأهدافا ومقاصد عميقة، وتصور بصدق مدى التثبث المتين، وتعلق الشعب المغربي بأهداب العرش العلوي المجيد، والتطلع نحو تحقيق المزيد من الانتصارات لهذا الوطن، وفرصة لشحن الهمم ولتجديد العزائم وتوطيدها والاندفاع إلى الأمام في تشييد صرح المغرب الحديث.

وعيد العرش هو كذلك احتفال سنوي لتجديد روابط البيعة بين الملك والشعب، يوليه المغاربة سواء داخل المملكة أو في الخارج، اهتماما سنويا كبيرا لبعده الرمزي الوطني، ولكونه يعد مناسبة وطنية ذات أبعاد سياسية عميقة يجدد فيها الشعب المغربي الولاء لملك البلاد باحترام وتقدير كبيرين، كما أن هذا العيد هو رمز للوحدة الوطنية والعلاقات الوجدانية والروحية، التي تربط بين ملك البلاد وشعبه الوفي.

10 - سورة النساء، الآية 58.

11 - سورة الإسراء، الآية 34.

وفي هذه المناسبة أيضا تكتسي كل مدن المغرب وأقاليمه حلة جديدة يعبر سكانها عن فرحتهم وتعلقهم بملكهم، معترفين ومكبرين ما يبذله من جهد متواصل من أجل إسعادهم، وما يتخذه جلالته من قرارات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتنموية لفائدتهم. هي مناسبة لاستحضار المنجزات الكبرى الرائدة التي عرفها المغرب في العهد المحمدي الزاخر بالأعجاز والمكرمات، والتحويلات على امتداد العشرون سنة الماضية والتي جعلت المملكة ورشا كبيرا مفتوحا، وإن هذه الذكرى الوطنية المجيدة مناسبة أيضا، لاستحضار الإصلاحات العديدة والمبادرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي تم إطلاقها تحت قيادة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، في مغرب تمكن بنجاح من أن يزاوج بين الحداثة والأصالة وأضحى اليوم نموذجا يحتذى في عدة قطاعات.

ولعل من أبرز نتائج هذه المجهودات الدؤوبة التي انخرط فيها المغاربة بقيادة ملكهم، النجاح في مكافحة الإرهاب وتثبيت الأمن والاستقرار الضروريين لتحقيق نسب تنمية مشرفة، إلى جانب تطوير مجالات للتنمية الصناعية أصبحت الآن رافعة للاقتصاد الوطني، فكثيرة هي المشاريع الكبرى المهيكلية التي أطلقها جلالة الملك، والتي كرس تيادة المغرب في عدة مجالات مثل الطاقة المتجددة وصناعة السيارات، والجهوية المتقدمة، ودعم البناء الديمقراطي ودولة المؤسسات.

ويتابع جلالة الملك محمد السادس مسيرة البناء والتشييد للمغرب الحديث بعزم وثبات، بما يبذله من جهود هادفة إلى تحقيق أمان شعبه التواق إلى نهضة واسعة، وتنمية شاملة وحياة رغيدة، وتطلعاته في تحقيق الكرامة الإنسانية والسعادة الفاضلة، ويكرس جهوده، حفظه الله، لمعالجة القضايا الوطنية والقومية الكبرى بعقلية علمية وفكر متنور، وتجديد أسس ودعائم دولة الحق والقانون.

خاتمة:

مما سبق نستطيع التأكيد أن الاحتفال بعيد العرش المجيد كل سنة يبرز ويحيل على عدة دلالات رمزية جمعت الشعب المغربي الأبى بالعرش العلوي المجيد على مر التاريخ، والتي تجسدت في تجديد البيعة بين الشعب وملكه، وفي الاستمرارية التاريخية للنظام الملكي، وأيضا في الترابط بين القمة والقاعدة لصيانة قيم الهوية المتعددة الروافد، من أجل بناء المغرب وإعلاء شأنه بين الأمم والشعوب.

الدوحة العلوية الشريفة، شجرة مباركة من أرض طيبة

أ.د. لحسن تاوشخت

أستاذ التعليم العالي بالمعهد الوطني لعلوم
الآثار والتراث / الرباط:

لقد لعب النسب الشريف دورا محوريا في تحول تاريخ الحكم بالمغرب خلال العصر الحديث من تناوب العصبيات الثلاثة: الصنهاجية، فالمصمودية والزناطية إلى العودة إلى الأسر الشريفة التي حظيت بالبيعة من طرف المغاربة على عهد الأدارسة في البداية، ثم السعديين وتتويجا بالأشراف العلويين. فمنذ منتصف القرن السابع الهجري/ الرابع عشر الميلادي، انتشر صيت الشرفاء العلويين السجلماسيين كأسرة عالمة حافظة للدين وعلمه الشرعي، مما جعل ملوك بني مرين يتوددون إليهم ويعتمدون رأيهم في ضبط أنساب أشراف المغرب. وأعطت هذه الخطوة لشرفاء سجلماسية قوة معنوية على مستوى الأصل النسبي، فضلا عن الأساس المعرفي العلمي والديني والروحي.

يرجع أغلب النسابة أصل الأشراف العلويين إما إلى جدتهم الأكبر مولاي الحسن بن القاسم الملقب بـ"الداخل" فيُطلق عليهم إذن الشرفاء الحسنيين، وإما إلى زعيمهم الروحي والمجاهد مولاي علي الشريف الأكبر "دفين مدينة الريصاني"، وبهذا سُموا بالشرفاء العلويين. ويُضاف إلى هذين الاسمين الأصليين اسمان فرعيان هما: السجلماسيين والفيلاليين نسبة إلى منطلقهم ومهد دولتهم السعيدة: "سجلماسية أو تافيلالت". في هذه الورقة سأحاول أن أقدم لمحة تاريخية عن ظروف وصول الشرفاء العلويين إلى منطقة سجلماسية وكيف استقروا بها وكيف انطلقوا منها لتأسيس دولتهم الميمونة وكيف تسلسلت ذريتهم وتفرعت في باقي مناطق المغرب، وذلك اعتمادا على مصادر مغربية صرفة أهمها "الجوهر الشفاف" لأحمد بن العربي بن عبد السلام دفين طيبة، و"الجيش العرمرم" لأكنسوس المراكشي، و"الدرر البهية" لإدريس الفضيلي و"الأنوار الحسنية" لأحمد بن عبد العزيز العلوي.

1. مولاي الحسن بن القاسم:

في منتصف القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي، ذهبت جماعة من أعيان سجلماسة تحت رئاسة أبي إبراهيم العمري إلى بلدة ينبع النخيل ببلاد الحجاز بعد أداء فريضة الحج قصد استقدام أحد الأشراف العلويين للاستعانة به في فض الصراعات السياسية والقبلية وفي إيجاد بعض الحلول للأزمات الاقتصادية التي تعاني منها المنطقة. فوقع اختيارهم على مولاي الحسن بن القاسم المعروف بالقادم أو بالداخل والذي وصل إلى منطقة سجلماسة حوالي سنة 664 هجرية 1265 ميلادية وتوفي بها قدس الله روحه سنة 678 هجرية / 1279 ميلادية، حيث دفن بالمكان المسمى المصلح، وسط واحة تافيلالت. وبفضل نبلة ونسبه وعلمه، استقبل الشريف العلوي بحفاوة من طرف السجلماسيين، ورضوه أن يستقر بين ظهرانهم، فكان يقوم بإصلاح ذات البين بين القبائل المتصارعة وعمل على استصلاح أشجار النخيل.

هذا وقد ترك مولاي الحسن من بعده ذرية اشتهر منها مولاي علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن بن القاسم، والذي تنتسب إليه الدولة العلوية الحاكمة. ووصل مولاي الحسن إلى سجلماسة في ظرفية كان المغرب يعرف فيها تنامي مد النسب الشريف من جهة، وتراجع النفوذ الإسلامي بالأندلس بعد معركة العقاب من جهة ثانية، وبتوافد قبائل بني معقل على سجلماسة ومحاولتها الهيمنة على هذه المنطقة من جهة ثالثة، مما نتج عنه صراعات قبلية فضلا عن أزمات اقتصادية بسبب تراجع تجارة القوافل وتكرار الأوبئة والجفاف.

كل هذه الظروف ساهمت في تبوأ مولاي الحسن الشريف مكانة متميزة في أوساط السجلماسيين، في البداية وعند كل المغاربة مع ذريته الصالحة من بعده والتي أجمع الكل على مبايعتها وأثنى على مجهوداتها العظيمة في توحيد المغرب وضمان استقلاله وتقديمه بين الأمم منذ أن وطئت أقدامهم الكريمة هذه الأرض الطيبة. فما هي الأوضاع العامة التي كانت سائدة في العالم الإسلامي وخاصة في جناحه الغربي عند قدوم مولاي الحسن الداخل؟ وما هي الخيشيات التي دفعت أهل تافيلالت إلى استقدام مولاي الحسن من الحجاز وكيف احتضنوه وعاشروه؟

أ. الأوضاع العامة بالمغرب غداة ظهور الأشراف العلويين:

شهد الغرب الإسلامي خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي انقسامًا سياسيًا جديدًا، تمخض عنه ظهور ثلاث دويلات مستقلة كنتيجة لسقوط دولة الموحدين، وهي دولة بني

مرين بفاس ودولة بني زيان بتلمسان، ودولة بني حفص بإفريقية. فقد كانت دولة الموحدين قوية مترامية الأطراف¹، واستطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدة تراها الممتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا، تحت نظام إداري مركزي محكم. وكانت الدولة الموحدية تمثل قوة سياسية فاعلة وقوة عسكرية ضاربة في غرب البحر المتوسط، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من وطأة الحروب الصليبية المدمرة، والهجوم المغولي الكاسح، والاسترداد الإسباني المطرد للأندلس. فقد كان الموحدون في ذلك الوقت حماة دار الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، وساهموا في رد العدوان الصليبي على بيت المقدس، إلى جانب إخوانهم في الدين من أهل المشرق بجيوشهم البرية، وأساطيلهم البحرية، إلا أنه في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، بدأت الأوضاع تتغير على ساحة الغرب الإسلامي ولاسيما بعد هزيمة القوات الموحدية في معركة العقاب المشؤومة² في الأندلس سنة 609هـ/1212 م حيث اعتبرت هذه الهزيمة بمثابة بداية النهاية الحقيقية للوجود الإسلامي في الأندلس، فزادت هجمات الممالك النصرانية على دولة الموحدين بعد ذلك، أراغون من الشرق، وقشتالة من الشمال والبرتغال من الغرب، وفشل الموحدين في صد تلك الهجمات³.

ثم تلتها أزمة أخرى وهي الثورة التي قام بها بنو غانية⁴، فضلا عن الحروب التي كانت تنشب بين بني مرين والموحدين، خاصة منها هزيمة 612هـ/1215 م، وكانت هذه الهزائم المتتالية للموحدين سببا في ضعفهم، وضياع هيبتهم. ولقد شكلت وفاة محمد الناصر بداية انهيار البيت الموحي، وأيضا نهاية عصر القوة والعظمة وبداية العصر الثاني، وهو عصر التفرقة والانحلال والتنافس على

1 - الطمار، محمد بن عمرو: تلمسان عبر العصور، ودورها في سياسة وحضارة الجزائر. تلمسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة 1984م، (ص 79).

2 - دارت هذه المعركة بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحي، وبين الجيش المسيحي الإسباني بقيادة الفونسو الثامن بموضع يعرف في المصادر العربية باسم العقاب نسبة إلى حصن قديم ينسب إلى الأمويين وفي المصادر الإسبانية las navas de tolosa الذي يعني الوديان الفسيحة وقد وقعت في أحد الوديان وانتهت بانتصار الإسبان، [ابن أبي زرع، علي: الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة 1972، (ص 238-239)].

3 - بلعربي، خالد: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان، دراسة تاريخية وحضارية، 633-681هـ/1235-1282م. تلمسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، الطبعة الأولى 1426هـ/2005م (ص 39-40).

4 - ينسبهم المؤرخون إلى أهمهم غانية من العائلة المرابطية الحاكمة، امتلكوا جزر البليار شرق الأندلس واستقلوا بها، ثم أنكروا ولاءهم للموحدين، فغزوا بجاية ومليانة وقلعة بني حماد وقسنطينة. [المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998، ص 189]

عرش الخلافة. فعقب وفاته خلفه ابنه أبو يعقوب يوسف الملقب بالمستنصر سنة 610هـ/1213 م، حيث تولى الحكم وعمره 16 سنة فكان بعيدا على أمور الإدارة، وميالا للهو، فبدأ الأشياخ يستعيدون سلطانهم، فظهر خلل الإدارة الموحدية وكثر عصيان القبائل وخروج زعمائها عن طاعة الموحدين. ولما توفي الخليفة الموحي سنة 620هـ/1221 م ببيع من بعده عدة خلفاء أشهرهم المأمون بن منصور الذي وقعت في عهده حوادث كثيرة أدت إلى ظهور ثلاث دويلات منفصلة في الغرب الإسلامي⁵، فقد برز الحفصيون بزعامة أبي حفص شيخ قبيلة هنتاتة وأسسوا دولتهم في الجزء الشرقي للدولة وجعلوا عاصمتهم تونس 625هـ/1227 م. وكان بنو حفص الممثلون الحقيقيون للتقاليد التي سارت عليها دولة الموحدين⁶. وتمكن بنو عبد الواد من تأسيس دولتهم سنة 633هـ/1235 م وجعلوا عاصمتهم تلمسان، كما استطاع المرينيون من القضاء على ما تبقى من نفوذ الموحدين نهائيا سنة 688هـ/1289 م وتأسيس دولة لهم كانت حاضرتها فاس⁷ وهي أقوى الدول الثلاث عرفت رقعتها اتساعا كبيرا في عهد السلطان أبي الحسن منذ توليه الحكم سنة 731هـ/1331 م.

■ الصراع بين بني زيان وبني مرين:

بدأ الصراع الزياني المريني حينما وقف يغمراسن موقفا مساعدا للموحدين في حربهم ضد المرينيين، وحين استشعر أبو بكر بن عبد الحق المريني خطورة هذا التحالف، خرج في حملة عسكرية من فاس سنة 647هـ/1249 م، والتقى الجمعان بوادي إسلي، فدارت بينهما معارك كبيرة انتهت بهزيمة السلطان يغمراسن.

وفي منتصف محرم سنة 666هـ/ شتنبر 1267 م تخلى الخليفة المريني أبو يوسف يعقوب عن حصار مراکش واتجه إلى العاصمة فاس، فنهض بجيشه واخترق ممر تازة والتقى الجمعان عند وادي تلاغ⁸، وهناك دارت المعركة بتاريخ 12 جمادى الثانية 666هـ/ 28 فبراير 1268 م، حيث هلك فيها ولي عهد يغمراسن عمر وهو أكبر أولاده⁹، فخضع يغمراسن إلى بني مرين. فصمم السلطان المريني

5 - ابن الأحرر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان. تحقيق هاني سلامة، بيروت، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م (ص 10)

6 - ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: المقدمة، تحقيق أحمد الزعبي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1972 (ص 13).

7 - ابن الأحرر: المصدر السابق، (ص 10).

8 - بلعربي، خالد: المرجع السابق (ص 110-111).

9 - مؤنس، حسين: تاريخ المغرب وحضارته. القاهرة، العصر الحديث للنشر والتوزيع، الجزء 2، الطبعة الأولى 1992 (ص 125).

القضاء على ما تبقى من دولة الموحيدين في مراكش، قبل أن يتجه للقضاء على بني عبد الواد وضم عاصمتهم تلمسان إلى ملكه، ولكنه فوجئ بوفد من بني الأحمر يستصرخه أن أمر الإسلام بالأندلس أصبح في خطر، فمال ومن معه إلى الاستجابة لنداء الجهاد، مع ضرورة مصالحة يغمراسن بن زيان ليؤمن جانبه، فأرسل إليه وفداً ليلغيه بالجهاد في الأندلس، ولكن يغمراسن رفض وقال إنه لن يصالح المرينيين أبداً، بعد أن قتل ولده أبا حفص عمر¹⁰.

ولما بلغ الخبر السلطان المريني، حشد قوات جرارة وأحس بالإهانة وجرح الكبرياء، فخرج لقتال يغمراسن والتقى الجيشان في وادي إسلي، وكانت الهزيمة مرة أخرى في جانب يغمراسن وحاصر يعقوب بن عبد الحق تلمسان. وأمام هذه الهزائم التي لحقت بيغمراسن من قبل المرينيين، أوصى ابنه وولي عهده أبي سعيد عثمان بعدم التعرض لبني مرين، وإبرام المعاهدات السلمية معهم¹¹، وطال حصار يعقوب بن عبد الحق لتلمسان دون أن ينال منها فقرر رفع الحصار، وعادت الجيوش المرينية إلى فاس¹².

■ اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي بالمغرب:

تأزم الوضع الاقتصادي ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، نتيجة توالي المجاعات والجفاف. وسجلت المصادر تعاقب سنوات الجفاف ما بين سنة 686 وسنة 690هـ/ 1285-1291 م، وفي سنة 693هـ/ 1294 م، عمت المجاعة الشديدة والوباء العظيم المغرب وإفريقية ومصر وهلك من جراء ذلك خلق كثير¹³.

وكان لموجة الجفاف التي اجتاحت المغرب الأقصى في مدة حكم أبي سعيد عثمان المريني في أوائل القرن الثامن للهجرة أثر كبير، إذ ذكر ابن أبي زرع أن البلاد عرفت تضرراً كبيراً وهلك الناس والدواب والمواشي والبقر والغنم والخيول والإبل والدواوير بفعل تلك الكوارث¹⁴.

10 - ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل بن يوسف: المصدر السابق (ص 19).

11 - بلعربي، خالد: المرجع السابق (ص 114-115).

12 - ابن الأحمر: المصدر السابق (ص 24).

13 - ابن أبي زرع، علي الفاسي: المصدر السابق (ص 408-409).

14 - نفسه (ص 413).

هذا فضلا عن التعقيدات التي بدأت تعرفها التجارة الصحراوية، بسبب تحكم عرب المعقل في مسالكها الجنوبية الغربية ونهبهم للقوافل المارة بمجالاتهم وما ترتب عن ذلك أيضاً من انحراف الطرق في جهات متعددة وخصوصاً ما حصل من تغير وتحول في طرق الملاحة التجارية العالمية في القرن السادس عشر، حيث بدأت الجهات الأطلسية الغربية تتأثر بالملاحة العالمية التي أحدثتها الكشوف الجغرافية وكانت الملاحة البرتغالية تتحكم فيها تحكماً كبيراً¹⁵.

وقد كان للوضعية الاقتصادية الصعبة أثرها الكبير في اضطراب المجتمع المغربي وانتشار كبير لشيوخ الزوايا وطرق التصوف وانقسام كبير للمغرب إلى جهات مختلفة ومتصارعة، بالإضافة إلى ما عاشه المغرب من تحركات وحروب قبلية وتحالفات كبرى متنافسة فيما بينها وانعزالاً لعدة أجناس بشرية في المناطق المغربية، وانفصام في البنية الاجتماعية القبلية، وتشتيت لواقع السلطة المغربية. شكلت قبائل عرب المعقل وبعض قبائل بني هلال القوة العصبية التي كان بإمكانها منافسة قبائل بني مرين على السلطة بالمغرب الأقصى، لأن هاتين المجموعتين القبليتين كانتا من أوفر قبائل المغرب عدداً وقتئذ واحتكتا بمجال واحد ابتداءً من منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، حيث هيمنت القبائل المعقلية على مدن وبوادي المناطق الجنوبية، لكنها لم تخضع لزعامة موحدة¹⁶.

وقد صادف كل هذا بداية نهاية عصر القوة المرينية التي وطدت في المجتمع المغربي مظاهر الحياة الدينية الروحية التي استمرت بعد ذلك في المغرب، فكان الوضع منذ بداية بني مرين يتجه نحو تركيز نظم وطبائع التصوف السني المغربي. ولعل أهم مظهر ديني في هذه الفترة يتجلى في ترسيم الاحتفال بعيد المولد النبوي الذي بدأ الاحتفال به في سبتة مع العزفين حوالي 691 هـ/1292 م في أيام أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني. وقد عمل فقهاء المغرب ورجال التصوف على إعطاء موعد الاحتفال بالمولد النبوي صبغة وطبيعة رسمية تأخذ أبعادها في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول كل سنة هجرية.

15 - حافظي علوي، حسن: سجللماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1418 هـ/ 1997 م (ص 235).

16 - حافظي علوي، حسن: المرجع السابق (ص 201).

ب. سجللماسة غداة وصول مولاي الحسن الداخل:

■ الوضعية العامة:

كانت منطقة سجللماسة في القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي مسرحاً لأحداث واضطرابات قبلية نتيجة الصراع الذي كان قائماً بين التجمعات العربية المهاجرة من بني معقل والقبائل المستوطنة قديماً ومنها قبائل صنهاجة وزناتة.

وعملت سجللماسة على رفض مبايعة الموحدين تحت قيادة عبد الله بن زكرياء الهزرجي الذي أرغم السعيد الموحيدي على الخروج إليه من مراكش¹⁷ لما استبد فيها أمره وانقاد له أهل تلك الجهات والأنحاء ووصلته العرب من جهة الصحراء وفوض له الأمور في تلك الجهات الأمير أبو زكرياء الحفصي وأطمعه في استمداده بأموال زائدة ودعا له في الخطبة بسجللماسة¹⁸. ورافق هذا الوضع الذي انفلت فيه الأمن في سجللماسة ونواحيها أن اتجهت قبائل المعقل وكذلك قبائل صنهاجة وزناتة إلى المدينة ونواحيها وأخذ الجميع يتنافس على السيطرة والتحكم في المنطقة. وبدأ الوضع يتجه نحو خلق ميدان للصراع والتنافس والتحكم والقوة، إلا أن القبائل المعقلية هي أقوى التجمعات البشرية التي أخذت تسيطر على المدينة¹⁹. وقد استطاعت هذه القبائل التحكم في الشبكة الطرقية الواصلة بين شمال الصحراء وجنوبها، كما سيطرت على طريق الحج، وصار بذلك أمير ركب الحجيج من نصيبها، واشتهر في هذه الظروف أبو إبراهيم العمري السجلماسي وهو الذي كان له الشرف على استقدام شريف ينبع النخيل من الحجاز إلى سجللماسة.

وصادفت هذه الأوضاع القلقة التي عرفت بها سجللماسة في أواخر الموحدين واقعاً مؤلماً من التشرذم والانقسام الذي أصاب المغرب الأقصى في جنوبه ووحداته، وهو الذي حمل القيادات المتحكمة في المدينة للبحث عن مخرج من الأزمة التي أثرت في الاقتصاد التجاري وحركة القوافل مع إفريقيا جنوب الصحراء، فأدى ذلك إلى تحالفات قبلية وتنظيمات اقتصادية جديدة والإقرار بضرورة الرجوع إلى وسيط لحل الخلافات وإعطاء عملية التحكيم قوة شرعية ودينية واجتماعية.

17 - نفسه (ص 193).

18 - المراكشي، ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين. الدار البيضاء، دار الثقافة، 1985 (ص 363).

19 - جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية. تعريب البشير بن سلامة ومحمد مزالي، تونس، الدار التونسية للنشر، الجزء الثاني (ص 78).

وشجع الوضع على تعميق هذا المفهوم ما كان يسود في البلاد من انتفاضات متعددة مثل حركة يحيى القطراني حوالي 1258هـ/656م وما جاء بعدها من مراحل الانقسام والاضطراب بين القبائل وزعماء التنافس من أجل السيطرة على سجلماسة منفذ الحركة التجارية الصحراوية. كما كان للصراع المريني-الزياني على سجلماسة الأثر الكبير على مجرى الأحداث في المدينة، حيث أدت الأوضاع إلى توالي الحروب التي كان لها الأثر الكبير في تخريب المدينة، وخاصة حرب سنة 1273هـ/672م التي حشد فيها السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق جيوشه لاسترجاع سجلماسة من يد بني عبد الواد وعرب المنبات المتحالفين معهم، واستعمل في حصاره على المدينة قوة عسكرية كبيرة: "من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة"²⁰، واستمرت القوات المرينية في حصار سجلماسة "إلى أن هتك المنجنيق من سور لها برج ومسافة، فانهذ البرج والمسافة، فدخلها من هنالك عنوة بالسيف"²¹. وبذلك تمكن المرينيون من فتح سجلماسة في 3 ربيع الأول 673 هـ/ 1274م بعد سنة كاملة من الحصار²².

ابتداء من هذا التاريخ دخلت مدينة سجلماسة في أزمة عمرانية شاملة، فالمرحلة المرينية أعطت أحداثاً تلاحقت فيها تدخلات الدولة من أجل السيطرة عليها والتحكم فيها ومن أجل فرض النفوذ على القبائل المتنافسة على طرق المدينة ومنافذها²³. وقد تقوت في هذه المرحلة قبائل بني معقل التي فرضت سيطرتها على منافذ الطريق إلى سجلماسة، وبالرغم من تعدد بطون عرب المعقل التي دخلت المغرب، فإن الزعامة بالمنطقة كانت تعود لأولاد الحسين والأحلاف وهم من بطون ذوي منصور²⁴، وهي من أكثر البطون تأثيراً في أحداث المغرب السياسية ابتداء من أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وقد أصبحت تافيلالت منذ هذا التاريخ خاضعة لتوجيههم ونفوذهم، لأنهم كانوا العناصر الحيوية بمجالاتهم، و"كانت بينهم فتنة، وتجمعهم العصبية في فتنة من سواهم"²⁵.

20 - ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت، دار الكتاب 1981 الجزء 7 (ص 249).

21 - ابن أبي زرع: المصدر السابق (ص 312).

22 - نفسه (ص 312).

23 - نفسه (ص 312-315).

24 - ابن منصور، عبد الوهاب: قبائل المغرب. الرباط، المطبعة الملكية 1388 هـ/ 1968م، الجزء الأول (ص 425).

25 - ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، الجزء السادس (ص 89).

وقد أثر نزاع هذه الزعامات بشكل كبير على أوضاع المنطقة التي كانت مسرحاً للعديد من المواجهات العسكرية والتناحرات القبلية تكبدت فيها مدينة سجلماسة العديد من الخسائر جراء الحصار الذي كان يُضرب عليها بين الفينة والأخرى، ابتداء من حصار سنة 672هـ/1273 م وما تلاه بعد ذلك من السنين والانتفاضات الداخلية، مما استدعى استقدام الشريف مولاي الحسن بن القاسم قصد تحقيق الحقامة في المدينة وإصلاح ذات البين بين القبائل المتصارعة.

وكانت تحركات الأمراء المرينيين عاملاً قوياً في إعطاء القوة القبلية العربية المعقلية والزنازية دعماً كبيراً لحركة الاستقرار والانتشار في المنطقة وتوسعاً في أشكال الزراعة وعملية استصلاح الأراضي ونشأة قصور السكن وغرس النخيل والمزروعات، وكذلك إعادة ترتيب نظام التجارة مع إفريقيا جنوب الصحراء، وهذا ما أنعش الحياة الاقتصادية بقوة وطورها إلى إنتاج قابل للتصدير بالقوافل في المناطق الصحراوية. فصارت بذلك سجلماسة مركزاً اقتصادياً واجتماعياً نتيجة لهذا التحول الجديد الذي وقع في المنطقة ولا يطرره إلا الأمن الداخلي، ومن ذلك ما تحقق في أيام أبي علي عمر المريني المستقل بسجلماسة حوالي 714هـ/1315م²⁶، حيث جعل منها عاصمة للجنوب المغربي وسعى للتحكم في أكبر رقعة ممكنة من مجال النفوذ المريني، فتوجهت أول حملاته نحو قصور الصحراء الواقعة إلى الجنوب من سجلماسة.

واستطاع أمير سجلماسة التحكم في هذه المناطق الصحراوية التي تضم قصور توات وتيكورارين وتمنطيت ووادي الساورة دون صعوبة، ويرجع السبب في ذلك إلى كونها كانت مأهولة من طرف أولاد حسين من عرب المعقل، الذين لم يستطيعوا الظعن والارتحال صحبة ذوي منصور، فاستقروا بقصور الصحراء التي اختطتها زناتة قبل زحفها نحو مناطق الشمال في حوض وادي زيز ودرة. ولعل ذلك هو أحد الأسباب القوية التي حملت القوى الاجتماعية البصيرة بأمور المدينة وخلافاتها المحلية، على استقدام الأشراف الحسنيين من ينبع النخيل والالتفاف حولهم والارتباط بهم، وهذا ما يرجح أن يكون وصول مولاي الحسن إلى المدينة في الربع الأخير من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

26 - ابن أبي زرع: المصدر السابق (ص 399).

■ مولاي الحسن الداخل بسجلهامة:

استطاع أبو إبراهيم العمري، أمير ركب الحجيج المغربي على ما له من مكانة اجتماعية ودينية²⁷ في سجلهامة أن يقنع وفد الركب وأسرّة الشرفاء الحسينيين الينبعين بمن فيهم والده وأقاربه باستصحاب الحسن بن القاسم إلى سجلهامة. وفعلاً عمل أمير ركب الحجيج أبو إبراهيم العمري على ترتيب الإقامة والحياة الجديدة لهذا الشريف الحسني الذي جاء معه من المشرق إلى المغرب ومهد له المقام. وقد اختلفت المصادر في عمر الشريف الذي كان عليه أثناء وفوده إلى سجلهامة، والأغلب على الظن أن سنه كانت لا تتجاوز مرحلة الكهولة، أي حوالي ستين سنة حسب رواية كتب الأنساب المعروفة في المغرب. ويشير النسابون إلى أن مكان إقامة الحسينيين في الينبع هو مدشر "بني إبراهيم" الذي كانت تقيم فيه أسرة القاسم والد الحسن. وبمجرد ما وصل مولاي الحسن إلى سجلهامة تعهد أبو إبراهيم برعاية الشريف الحسني، فعين مكان إقامته ودار نُزله وزوجه من بنات وكريبات الأسر السجلهامية، حيث رشح له مصاهرة الأسر الآتية: أولاد المزارى، وأولاد المغراوي، وأولاد البشير، وأولاد ابن عاقلة، وأولاد المعتصم، فاختار لمصاهرته أولاد المزارى (المنزاري) لمروءتهم وديانتهم ووسطتهم في عشائهم، امثالاً لقول جده طيب الأغراس خوّلوا أولادكم إن العرق دساس²⁸. فأنجبت منه زوجته السيدة المنزارية السجلهامية ولده محمد الذي انحدرت منه سلالته الشريفة التي تعرف بأسرة الشرفاء السجلهاسيين نسبة إلى مدينة سجلهامة²⁹.

وتذكر المصادر التاريخية أن سبب إتيان أهل سجلهامة بمولاي الحسن بن القاسم إلى هذه البلاد أن ركائب الحج المغربية كانت تتوارد على الأشراف في الحجاز، وكان أمير الركب المغربي إذ ذاك من أهل سجلهامة يدعى أبو إبراهيم العمري³⁰، فلما حج في بعض السنين اجتمع هناك بشريف ينبع النخيل مولاي القاسم بن محمد، وكان من أكبر شرفاء الحجاز في وقته ديانة ووجاهة، فطلب

27 - الفضيلي، مولاي إدريس: الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة، أحمد بن المهدي العلوي، ومصطفى بن أحمد العلوي، الرباط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1420هـ/1999م، الجزء الأول (ص 83).

28 - العلوي، أحمد بن عبد العزيز: الأنوار الحسنية، الرباط، مطبعة وزارة الأبناء 1966 (ص 26).

29 - الإفرائي، محمد الصغير: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي. تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1998 (ص 409-413).

30 - الريفي، عبد الكريم بن موسى: زهر الأكم، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، الجديدة، مطبعة المعاريف 1992 (ص 101).

منه أمير الركب المذكور أن يبعث معه أحد أولاده الثمانية إلى المغرب تكريماً وتشريفاً لهم³¹. "فلا زال يحسن له بلاد المغرب، ويستميله بما يسر ويطرب"³² إلى أن استجاب الشريف لطلب الوفد المغربي. وقبل اتخاذ القرار الحاسم اختبر أولاده واحداً واحداً ليرى من يليق بهذه المهمة النبيلة، وفي هذا الصدد يذكر الإفرائي أن مولاي القاسم "كان يسأل منهم الواحد بعد الواحد ويقول له، من فعل معك الخير، ما تفعل معه؟ فيقول: أفعل معه الخير فيقول: ومن فعل معك الشر؟ فيقول له: أفعل معه الشر فيقول له: اجلس، إلى أن بلغ مولانا الحسن الداخل، فقال له: ومن فعل معك الشر؟ فقال له: أفعل معه الخير، قال: فيرد ذلك بالشر، فيقول له: أعود له بالخير إلى أن يغلب خيري على شره. فاستنار وجه مولانا القاسم وتهلل فرحاً به، ودخلته أريحية هامشية ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه. فأجاب الله دعوته"³³. وهكذا استجاب شريف ينبع النخيل لطلب وفد الحاج السجلماسي، واختار ابنه مولاي الحسن لمرافقة الحجاج المغاربة الذين عرفوا بحبهم وتعظيمهم وتمجيدهم لآل البيت النبوي الشريف..

وأشار ابن خلدون إلى تاريخ الأشراف الحسنيين بالينبع قائلاً: "كان بنو الحسن، كلهم موطنين بنهر العلقمية من وادي ينبع، لعهد إمارة الهواشم بمكة، وكانوا ظواغن بادية، ولما نشأ فيهم قتادة هذا، جمع قومه ذوي مطاعن وأركبهم واستبد بإمارتهم وكان بوادي ينبع بنو حراب من ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، وبنو عيسى بن سليمان"³⁴. ويذكر صاحب "الدرر البهية" أن مقر سكنى الحسن الداخل من ينبع كان بمدشر بني إبراهيم تحديداً وتديقاً وهو من انفصلت عليه كتب الأنساب التي جاءت في المراحل المتقدمة والمتأخرة³⁵. ويذكر المقرئ في كتابه "كنز الأسرار": "وأهل سجلماسة من وادي إفلي من أخنوس، هبط جدّهم من الينبع في آخر القرن السابع وله ذرية كثيرة أصلحهم الله..."³⁶.

31 - الزباني، أبو القاسم: البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، دراسة وتحقق رشيد الزاوية، الريصاني، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الطبعة الأولى 1992 (ص 29-30)

32 - الفضيلي: المصدر السابق (ص 82).

33 - الإفرائي: المصدر السابق (ص 413).

34 - المقرئ، أبو عبد الله أحمد: كتاب الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 76.

35 - ابن خلدون: العبر، مصدر سابق، الجزء الرابع (ص 5).

36 - الفضيلي: المصدر السابق، الجزء الأول (ص 85).

ويقول مؤلف الجوهر الشفاف: "فقد جاء من الينبع مولانا الحسن بن قاسم واستقر بزاوية ضريحه السيد أبو إبراهيم، فأزال الله عن القوم أسقام الإبراء وصلح نزلا بلاد غلاتها وشجرها وزرعها واستبشرت العرب والأعاجم وخصبت الأرض وصلحت البهائم. فلما توفي رحمه الله جاء أهل سجلماسة بحذافيرهم يشرفهم ودانت حربهم، كل قبيلة تريد دفنه في أرضها فتفاقم الأمر على الشيخ أبي إبراهيم وسمح لهم، فتنازعوا فيما بينهم فقال لهم إن كان قصدكم البركة فادفنوه وسط سجلماسة لتعم بركته جميعها، فتهادنوا وتراضوا على أن أخرجوا أمنا لكيل الأرض وهو نفعا الله به ورج في الأكفان فدفنوه حيث ضريحه الآن بالحدب لتوسطه وخيموا على ضريحه أياما ومددا مديدة وشهورا عديدة. وقد خلف ولدا واحدا وهو سيدي محمد إلى أن تأهل وتوفي رحمه الله بقرب ضريحه ودفن السبعة الصالحين المعروفين بالحرارين وخلف سيدي محمد هذا ولدا واحدا أيضا وهو مولانا الحسن فلما كبر وتأهل اشترى دورا بالمدينة قرب الزعفران ونال بهذه المدينة ثروة عظيمة هرعت إليه النفوس الكريمة والآثمة.. وكثرت على مولانا الحسن وفود العباد واشتهرت بركاته عند الحاضر والبادي وكان مجاب الدعوة كثير الاعتكاف بالخلوة. فلما توفي مولانا الحسن هذا خلف فرعين اثنين مولانا عبد الرحمن المكنى بأبي البركات والولد الأبر الأشهر بمولاي علي المدعو بالشريف..."³⁷

وأقام الشريف مولاي الحسن بن القاسم بسجلماسة معززا مكرما، ولكنه لم يباشر أي سلطة تحقق له الوجود السياسي، بل كان يشكل قوة اجتماعية قائمة وملتصقة بنسبه وأصهاره، فإليه يرد الأمر لتسوية الخلافات الطارئة بين الجماعات البشرية والقبلية ذات النفوذ والوجود في سجلماسة. وقد تزامن توطین الأشراف الحسينيين الينبعيين في سجلماسة مع تحسن الأوضاع الاقتصادية وعقد تحالفات بين الزعامات المرينية وبني معقل في سجلماسة، وكذلك مع بني عبد الواد في تلمسان. هذه التوافقات القبلية والسياسية خلقت أحلافاً اجتماعية بين تجمعات قبائل بني معقل وتجمعات القبائل الزناتية الأمازيغية، وكذلك قبائل صنهاجة في الجبال الموالية لإقليم سجلماسة الشيء الذي سيؤدي بعد ذلك مع تطور الأحداث إلى الحلف الأكبر في إقليم تافيلالت وهو حلف "آيت يافلما" ³⁸.

37 - ابن دفين طيبة، العربي بن عبد السلام: الجوهر الشفاف في ذكر من بسجلماسة من الذرية الأشراف والذرة المكنونة في أخبار الدولة الميمونة. مخطوط مستنسخ بمركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني تحت رقم انجلترا-1.

38 - أبو ضيف، مصطفى: أثر القبائل العربية في المغرب خلال عصري الموحدين وبني مرين، الدار البيضاء، دار النشر المغربية 1982 (ص 83-100).

وأعطت هذه الأوضاع لشرفاء سجلهامة قوة معنوية على مستوى الأصل النسبي، وكذلك الأساس المعرفي العلمي والديني والروحي.

وكان مولاي الحسن الداخل رجلا صالحا ناسكا، له مشاركة في العلوم وخصوصا علم البيان، ولما توفي رحمه الله سنة 676 هـ / 1277 م، تنازع في دفنه أهل سجلهامة، حتى كادت نار الحرب تشتعل بينهم، فاجتمع رأيهم على أن يكون مدفنه بالمصلح في موضع يتوسط جميع النواحي الأربعة، بحيث لا يكون أقرب لجهة دون أخرى³⁹، ويعرف ضريحه حالياً بضريح سيدي مناع والحسن الداخل. وفي هذا الصدد يقول صاحب مخطوط الجوهر الشفاف: "فقد جاء من الينبع مولانا الحسن بن قاسم واستقر بزاوية ضريحه السيد أبو إبراهيم، فأزال الله عن القوم أسقام الإبراء وصلح نزلا بلاد غلاتها وشجرها وزرعها واستبشرت العرب والأعاجم وخصبت الأرض وصلحت البهائم. فلما توفي رحمه الله جاء أهل سجلهامة بحذافيرهم يشرفهم ودانت حربهم، كل قبيلة تريد دفنه في أرضها فتتقاسم الأمر على الشيخ أبي إبراهيم وسمع لهم، فتنازعوا فيما بينهم فقال لهم إن كان قصدكم البركة فادفنوه وسط سجلهامة لتعم بركته جميعها، فتهادنوا وتراضوا على أن أخرجوا أمنا لكيل الأرض وهو نفعا الله به ورج في الأكفان فدفنوه حيث ضريحه الآن بالحذب لتوسطه وخيموا على ضريحه أياما ومددا مديدة وشهورا عديدة"⁴⁰.

2. مولاي علي الشريف:

يعتبر مولاي علي الشريف شخصية فذة تألفت في دروب العلم والجهاد والزهد، وشاعت أنوارها أصقاعا مختلفة انطلاقا من ربوع الأندلس إلى تخوم بلاد السودان ومن المحيط إلى الخليج. واعتبارا لأهمية هذه الشخصية المتميزة فقد كان لها الفضل في قيام الدولة العلوية الشريفة التي أعادت للمغرب وحدته واستقراره ومجده، كما أحييت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في نشر الإسلام ومحاربة البدع والكفر، كما جددت دين هذه الأمة من خلال التمسك بخلق القرآن والزهد عن الدنيا فضلا عن تعميم نور العلم ومقاومة الجهل. لهذه الأسباب أثرت شخصية هذا الرجل العظيم على معاصريه فكتبوا عنه المؤلفات الكثيرة التي ضاع أغلبها مع الأسف، كما ظلت عالقة بأذهان

39 - الإفرائي: المصدر السابق (ص 414).

40 - ابن دفين طيبة، العربي بن عبد السلام: الجوهر الشفاف في ذكر من بسجلهامة من الذرية الأشراف والذرة المكنونة في أخبار الدولة الميمونة. مخطوط مستنسخ بمركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني تحت رقم إنجلترا/1

اللاحقين الذين رابطوا بزوايته العامرة وبضريحه الطاهر، فأحيوا أثره ودعوا له بالمغفرة والثواب. كانت ولادة القطب الرباني مولاي علي الشريف حوالي سنة 762هـ / 1362 م، استوطن مدينة سجلماسة حيث اشترى بها دورا قرب الباب المسمى بالزعفران ونال بهذه المدينة ثروة عظيمة بفضل التجارة. وكان رجلا صالحا وعالما ومجاهدا استوطن بعض الوقت بحومة جزاء ابن عامر من عدوة القرويين بفاس وكذلك بمدينة صفرو وجاهد بالأندلس عدة مرات، كما عمل على نشر الإسلام بإفريقيا جنوب الصحراء وخاصة بمنطقة "أكدج" وتخرج على يده عدة علماء من المغرب والأندلس والمشرق. توفي سنة 847هـ / 1446 م عن عمر يناهز 84 عاما ودفن أول الأمر بزوايته "الخلوة" الواقعة بقصبة تغمرت، قبل أن يُنقل جثمانه الطاهر إلى ضريحه الحالي في عهد سيدي محمد بن عبد الله⁴¹.

أ. مولاي علي الشريف من خلال بعض المصادر الغميسة:

لإبراز شخصية مولاي علي الشريف رجعت إلى بعض المخطوطات النادرة مثل "الجوهر الشفاف" لمؤلفه العربي بن عبد السلام بن أحمد المعروف بابن دفين طيبة. ويوجد المخطوط بجامعة أكسفورد بإنجلترا ويرجع تاريخ كتابته إلى عصر السلطان مولاي إسماعيل، وتوجد نسخة منه بمركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني. ومن باب المقارنة والإثراء في سرد بعض التفاصيل مثل: جهاد مولاي علي الشريف بالأندلس، تم الرجوع إلى مخطوط "الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد علي السجلماسي"⁴² لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس القرشي المراكشي المتوفى عام 1294هـ / 1877م.

ويتناول مخطوط الجوهر الشفاف مجموعة من الأحداث التاريخية ابتداء من وصول مولاي الحسن الداخل إلى منطقة تافيلالت خلال العصر المريني وإلى غاية حكم السلطان مولاي إسماعيل. لا نعرف الكثير عن ابن دفين طيبة الذي عاش في صدر الدولة العلوية، فقد ولد أيام مولاي الشريف بن علي حوالي 1063هـ / 1652 م، ونشأ في أيامه الأولى بين الأمراء العلويين باعتبار قرابة جده "عبد السلام" وأبيه "أحمد" من الأسرة الشريفة. لكن محن الدهر ستحل بالكاتب عند موت

41 - تاوشخت، لحسن: عمران سجلماسة، دراسة تاريخية وأثرية. الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. جزءان 2008 الجزء الثاني (ص 577)

42 - المكتبة الوطنية للمملكة المغربية: المخطوط محفوظ تحت رقم 83د

مولاي أحمد بن الشريف وتولي أخاه مولاي الرشيد وكذا سفر والده إلى الحج ووفاته بالمدينة المنورة، مما دفع بالمؤلف إلى الهجرة والاستقرار بمدينة فاس حيث اشتكى للمولى إسماعيل حاله وحال أهله من تصرفات مولاي الحران "الخليفة السلطاني بتافيلالت". فأوصى به مولاي إسماعيل خيرا، فرجع إلى بلدته تافيلالت حيث اشتغل بصيانة قبور الشرفاء العلويين وناظرا لروضة مولاي علي الشريف وقيما على زاويته. كما عمل في ديوان الكتابة حيث يذكر في الصفحة 201 من المخطوط: "عزمت على جمع عيون تلك الأخبار وتدوين ما تفرق منها على سبيل الاختصار وأذكر مقدمة في سلسلة الأجداد الأولين نظما، وفي الخلفاء التاليين مقتطفا من يابسها ورابطها (هكذا) لأكون صاحب قرطاسها وابن حليها". وقد عاش المؤلف إلى غاية سنة 1136هـ/1724م⁴³.

تتجلى أهمية مخطوط الجوهر "الشفاف في ذكر من بسجلهماسة من الذرية الأشراف والذرية المكنونة في أخبار الدولة الميمونة"⁴⁴ في كونه يؤرخ لبداية الدولة العلوية من عصر مولاي الشريف بن علي إلى غاية عهد السلطان مولاي إسماعيل، وهي فترة مهمة من تاريخ المغرب لم تنل حظها من الدراسة كما هو الشأن للفترات السابقة أو اللاحقة. كما أن المخطوط لا يركز فقط على الأحداث التاريخية، بل يتناول أيضا مواضيع مختلفة ومتنوعة تهتم الحياة السياسية والاجتماعية فضلا عن ذكر الأنساب والمناقب. كما يتضمن المخطوط مجموعة من الوثائق المهمة منها 12 رسالة، إضافة إلى ذكره لبعض الأخبار التي نجدها في مصادر معاصرة مثل: خبر نزاع أهل سجلهماسة حول مكان دفن مولاي الحسن الداخل كما جاء عند أكنسوس⁴⁵، أو حديثه عن شخصية السلطان مولاي إسماعيل كما جاء أيضا عند الأسير مويط⁴⁶، أو وصفه لمعركة القاعة التي دارت بين مولاي أحمد ومحمد الحاج

43 - المنوني، محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس الرباط 1404هـ/1983 م الجزء الأول (ص 182).

44 - هو عبارة عن نسخة من ميكروفيلم سالب من جامعة أوكسفورد بانجلترا مسجل بمركز الدراسات والبحوث العلوية تحت رقم انجلترا/1 وهو فقط جزء من المخطوط الذي عمل الأستاذ محمد المنصور على استنساخه في إطار بعثة علمية إلى الديار البريطانية موفدا من طرف وزارة الثقافة وفق خطة جمع وتوثيق مصادر تاريخ الدولة العلوية. ويتكون المخطوط في الأصل من 255 ورقة من الحجم الصغير بمقياس 18,5 x 14,5 سم مع 28 سطرا مستقيما وكتب بخط مغربي واضح. النسخة المتوفرة بمركز الدراسات والبحوث العلوية بالريصاني هي مبتورة بحيث لا تشمل سوى ما بين الورقة 1 والورقة 40 ثم ما بين الورقة 199 والورقة 255.

45 - أكنسوس، أبي عبد الله محمد بن أحمد المراكشي: الجيش العرمم، مصدر سابق، ص: 68.

46 - مركز الدراسات والبحوث العلوية: رحلة الأسير مويط، دراسة وتحقيق محمد حجي والأخضر غزال. الرباط دار المناهل 1990، ص: 75.

الدلائي كما جاء عند الضعيف الرباطي. "وذكر ابن دفين طيبة بعض أخبار هذه الواقعة وأطنب فيها ولكنني اختصرتها.."⁴⁷.

يبدأ المؤلف كتابه بتمجيد آل البيت ويبين منزلتهم عند الله وتبيان صلتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ويذكر سبب إقدامه على تأليفه هذا الكتاب، ثم يعرض لمجيء مولاي الحسن بن القاسم إلى سجلنامه والمتاعب التي اعترضت ذريته في بداية استقرارهم. وينفرد المؤلف بذكر تفصيلا وتدقيقا ذرية مولاي علي الشريف وكذا الأماكن التي استقرت بها، كما يعرض في نفس الوقت لبعض كرامات مولاي علي الشريف واستنجد أهل الأندلس به وعبوره إليهم ثم رجوعه. كما تناول المؤلف الحديث عن مولاي الشريف بن علي وأولاده السلاطين الثلاثة مع إيراد بعض القصص المليئة بالكرامات، كما يقدم المؤلف مجموعة من الرسائل الصادرة عن السلطان مولاي إسماعيل أو الواردة إليه ويبلغ عددها اثني عشر، فضلا عن قصيدة شعرية طويلة في تسلسل الشرفاء وأخرى في مدح السلطان مولاي إسماعيل. وفي الختام يرد قصة اتصال أسرته بالعلويين السجلناميين منذ مولاي علي الشريف وإلى عهد مولاي إسماعيل مذكرا ببعض الخدمات التي قدمها أجداده للعلويين، وكذا تمسكهم بمحبتهم كما يرد عدة أشعار كلها شكوى من خصومه بقصر آبار وأولاد عبد الرفيق من لا يخاف، فضلا عن رسالة في الموضوع نفسه سماها "رسالة الألسنة الماضية في نحور الشرذمة الباغية".

ب. الخبر عن مولاي علي الشريف، وعن نسبه:

يقول العربي بن عبد السلام بن أحمد المعروف بابن دفين طيبة: "...فليعلم الواقف عليه من الفضلاء ومن يعزوه من الأعيان النبلاء، ويتبرك به من المؤمنين، ويطلع من الصالحين أن سادتنا وموالينا الشرفاء بسجلنامه من ذرية صاحب العوارف الفاشية، والمناقب السامية، والحج، والغزوات، والأوقاف، والطرق، والعامل لجميع الأعمال الصالحات المتبرك به في الحياة والممات الطود المنيف أبي الحسن مولانا علي الشريف بن مولانا الحسن بن سيدي محمد بن مولانا الحسن بن مولانا قاسم بن سيدي محمد بن مولانا قاسم بن مولانا الحسن بن مولانا عبد الله بن سيدي محمد بن مولانا عرفة بن مولانا الحسن بن مولانا أبي بكر بن مولانا علي بن مولانا الحسن بن

47 - الرباطي، الضعيف: تاريخ الدولة السعيدة. الدار البيضاء الطبعة الأولى 1988 الجزء الأول، ص: 99.

مولانا أحمد بن مولانا إسماعيل بن مولانا قاسم بن سيدي محمد النفس الزكية بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبع بن مولانا علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله وعلى الأزواج والذرية والأولاد السلام والرحمات والبركات إلى يوم القضاء..."

ج. استقرار مولاي علي الشريف بسجلهامة:

يقول المؤلف: "خرج مولاي علي الشريف من سجلهامة واشترى أصلا بالمصلح، وبني زاوية تسمى حارة الشريف، وفيها تزايد له ولده الأكبر وهو مولانا الحسن بن علي، ثم جعل زاوية قرب زاوية جنانه المعروف ببرج حمام، ثم اشترى أصولا من أولاد أبي ربيعة بتانجيوت، ثم اشترى أصولا أيضا ببني مداسن، واشترى أيضا أصل علي بن موسى المداسني. فلما اشترى جنان سملال بأرض مداسن تذكره أهل سجلهامة، واشترى أيضا من أولاد مولود التغمراتي أرضا وبني فيها دارا ومسجدا وخلوة قرب فم القصر. واستلف من أولاد مولود التمر والشعير فاجتمع إلى أهل سجلهامة على أن يقوموا له جميع أصوله ويعطوه ثمنها ويخرجوه عنهم، فشاؤروا في ذلك سيدي محمد بن أبي إبراهيم وابن هلال.. فقالا: أعطوه قيمة أصوله وأعطونا قيمة أصولنا معه لنخرج معه إلى حيث شاء؛ فإن رحمة الله لا تنزل من السماء على أهل بلد طردوا ذرية رسول الله.

فانقلب أهل سجلهامة كاظمين وبقي مولانا علي الشريف في أصله وزواياه مع من له آمين مطمئنين، فأغروا عليه أولاد مولود من تغمرت يقبضون منه تمرهم الذي استلفه منهم قبل وأضلوا عليه المرأة طيطي المنداسية تقوم بالشفعة في جنان سملال ليظهر لها في بقية الأصول وجه استغلال وترامي الأوباش أولاد البلدي على مواليه بالمناقشة. كما أغروا به أولاد مولود التغمراتي يقبضون منه تمرهم الذي استلفه منهم وذلك عقب السنة ولا توجد غالبا في ذلك الوقت، فتكلم أولاد مولود مع أولاد البركات يقتلونه ويأخذون أصولهم لأنفسهم. فلما اشتغل رضي الله عنه بفهم خلوته بتجويد القرآن للطلبة وتلقين الأسماء للفقراء، جعل أولاد أبي البركات يحفظون وأولاد مولود طالين التمر بمناقشة ووجه غضب، فقال أحد الطلبة الحابط الحابط، فقال مولانا علي الشريف رضي الله عنه اللهم إن أولاد أبي البركات وأولاد مولود كما علمت اللهم قلل عددهم. ثم قال: يا أولاد مولود اجمعوا الدواب وأتوا تحملون تمركم فجاءوا بكثرة الدواب ومد الكيل فقال رضي الله عنه سعيًا

وأرادوا فضيحتنا بين الناس فأخرج قفة من التمر ثم قال له اجعلها تحت السجادة فمن أوفيته حقه فمزق برنامجهم، فما زال أولاد مولود يكتالون حتى استوفوا من ذلك جميع حقوقهم، والتمر تحت السجادة لا تنقص شيئا، فتساقطوا عليه ذكرانا وإناثا يطلبون منه العفو والسماحة. وأما المرأة طيطي فقد وكل عليها وكيلا ينوب عنه في مخاصمته معها، وتحاكموا عند القاضي السيد بلقاسم قاضي المدينة فلم يزل يؤجل لها حتى بلغ ثلاثة وعشرين أجلا في إرجاء حجتها، فلم تأت بشيء ويسمع منها شرعا، وعجزت بعجزها القاضي فوقع الصلح بينها وبين وكيله على أن أبرت في سملال ولم يقبل لها فيه مقال. وأما الإسميون أصلا أولاد البلدي فقد ابتليت بلوى كل من أضر منهم من الظالمين بمواليه رضي الله عنه فطلبوا عندئذ من مولانا العفو والتجاوز عنهم والمسامحة.. ثم أن مولانا علي الشريف رضي الله عنه قصد بعد ذلك حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه وضريح جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وذلك عام 1000" (أي ما يوافق جوالي 1592 ميلادية).

فلما رجع من الحج باع له بني مداسن بقية أصولهم من ربط الحجر إلى الوادي جوار أهل مركونة، فبنى الزاوية المعروفة بالحجر، وبنى قصرا على شاطئ الوادي قبالتها، فسكن فيه عاما واحدا، فلقب أبو عام. وباع له أولاد بن ربيعة بلادهم السرير المعروفة الآن بأدباغ وعربية وأخنوس ثم المدرسة الكبيرة وسوق الحشف قرب قصر أولاد أبي البركات المنباتي. ثم باع له بني مداسن قصورهم بتاوريرت وأصولهم ما بين تاسقلايت الشرقية وحطحاطة ومن سملال إلى منتهى حرب الواحة، فبنى قرب تاوريرت زاويتين مقربتين، فاسكن فيها ولده السيد الحسن ولد السيدة نجمة الحبشية وبقي رضي الله عنه يتردد في زواياه بالمصلح وتاحسنون والحاج علي وقصره المعروف بـ"أبو عام" وكان أحب الأماكن عنده تغمرت.. فوجه رضي الله عنه أمواله لشراء الأصول وأكد على وكيله ألا يشتري له إلا في الجهة الشرقية عن مدينة سجلماسة لغلاء الأصل منها ولأن أهل المدينة أهل حاضرة ولهم جنات بالجهة الغربية يسمونها الرياضات ما بين النهرين يجعلون دورا ببساتينهم، فإذا قصدوها صباحا يستديرون الشمس وعند المساء يستديرونها مبيتا، فسوى في هذه الأملاك خلاف الأملاك الشرقية التي تستقبل الشمس صباحا ورواحا.

ويرد صاحب الجيش العرمرم تفاصيل أخرى عن هذا الموضوع حيث يقول: "مولانا علي المعروف بالشريف منه تفرقت وتكاثر فروع المحمديين وكان رجلا صالحا مجاب الدعوات كثير الأوقاف مجاهدا حاجا ذا همة سامية وأحوال مرضية. رحل في بعض الأوقات إلى فاس وسكنها مدة

طويلة، وكان سكناه منها بالمدينة المعروفة بجزء ابن عامر من عدوة القرويين، وترك هناك دارا وأقام مدة بقرية صفرو وخلف بها عقارات وأثارا هي بها إلى الآن. وأقام مدة ببلد جرس "تيعلالين" على مرحلتين ونصف من سجلماسة وترك بها مثل ذلك".

د. جهاده بالأندلس:

يقول صاحب الجوهر الشفاف: "جاءته هدايا من الأندلس وأرسال رافعين عليه الشكاية من الطاغية عدو الله الفونصو ومن أيده من أحلاف العرب، فكتب رضي الله عنه لأهل سوس الأدنى والأقصى وقبائل أهل الغرب يأمرهم بالجهاد ويرغبهم في تحصيل ثواب الله عز وجل وواعدهم طنجة. فلما أحس باجتماعهم ركب مع سيدي محمد بن إبراهيم فوجد بطنجة أقواما لا تعد ولا تحصى والسفن تنتظرهم، فدخل الجزيرة وهزم عدو الله الفنشو ومن معه وأخذ أموالهم وسبائهم، فأخذ خمسة وقسم على المؤمنين المسلمين أربعة أخماس ذاك ورجع قابلا لهذه العدو بعد مرة. فلما بلغ طنجة وجد والد السيدة فاطمة العمرانية الجابرية التادلية ثم القيسية جاء بها إليه فبنى بها بطنجة...

ورجع رضي الله عنه بجنوده ومن معه من المؤمنين وعباد الله المسلمين لمحاربة عدو الله الفينش ومن معه من الكافرين والعصاة المجرمين، فكانت الملاقاة بينهم ففل الله حدهم وهزم جيشهم وجندهم ورد في نحورهم كيدهم. وأقام بالجزيرة الأندلسية مع أهل الإيوان والإسلام من أهلها ستة أشهر حتى ملأ قلوب الكفار والعصاة منهم الذعر، فرجع ورجعت جيوش المسلمين والمؤمنين الموحيدين من طنجة لبلاده. ولما وصل رضي الله عنه إلى داره ببلدة سجلماسة وطاب بها قراره في عبادة الله تعالى، وفي أثناء ذلك كان أهل الجزيرة الأندلسية يبعثون له أرسالهم يرغبونه في تولية بلادهم وتمليكه عليهم وتدبير أمورهم ورقابهم، فزهدهم في الأمر. فبقي بسجلماسة، حيث توفي ولده الأكبر مولانا الحسن، فأعطاه خديمه الم رابط الخير الأرضي الأنصاري النسب سيدي محمد بن يحيى المازري بنته السيدة الزهراء وبنى بها وهو ابن ثمانين سنة فولد له منها أبو الفلاح مولانا يوسف...

ويرد أكنسوس معلومات ضافية عن جهاد مولاي علي الشريف بالأندلس فيقول: "... ودخل عدوة جزيرة الأندلس برسم الجهاد مرارا وأقام بها مدة طويلة ثم رجع إلى سجلماسة فكاتبه أهل الجزيرة يطلبون منه الرجوع إليهم ويحضونه على الاعتناء بأمور الجهاد ويشكون إليه ضعف الجزيرة وأنها محتاجة إلى من تجتمع عليه القلوب. وقد كانوا راودوه لما كان مقيما عندهم على أن

يملكوه عليهم ويبايعوه والتزموا له الطاعة والنصر، فرغب عن ذلك زهدا وورعا وغض طرفه عن زهرة الدنيا "الحياة" رضى الله. وقد كتبوا له رسائل عديدة بعث بها إليه علماء غرناطة أعادها الله دار الإسلام يحضونه على الجواز إليهم واستنفار المجاهدين إلى حماية بيضة الإسلام ويذكرون له أن أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالا كثيرة برسم الغزاة الواردين معه من المغرب. وحلوه في بعض تلك الرسائل بما نصه "إلى الضرغام الهمام، وقطب دائرة فرسان الإسلام، الشجاع المقدام المصور الفاتك، الوقور الناسك، طليعة جيش الجهاد، وعين أعيان الأنجاد، المؤيد بالفتح في هذه البلاد، المسارع إلى مرضات رب العباد، أبي الحسن مولانا علي الشريف".

وكتبوا إلى علماء فاس يأمرؤنهم أن يحضوا مولانا عليا على العبور إلى العدو، فكتب له أهل فاس بمثل ذلك وحثوه على المسارعة إلى إغاثتهم وذكروا له فضائل الجهاد وأنه من أفضل أعمال البر. وكان من موجبات تخلفه عن إغاثة أهل غرناطة أنه عزم على الذهاب إلى الحج، فقالوا له في بعض الرسائل عَوِض هذه الوجهة الحرجية التي أجمع رأيكم عليها بالعبور إلى الجهاد فإن الجهاد أصلحكم الله عند أهل المغرب أفضل من الحج كما أفتى بذلك أبو الوليد ابن رشد حين سئل عن ذلك وقد بسط الكلام عليه في أجوبته ووجه ما ذهب إليه من ذلك. وكان ممن كتب إليه من علماء غرناطة جماعة منهم الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن سراج قاضي الجماعة، ومن شيوخ فاس الذين كتبوا له أبو عبد الله العكرمي شيخ ابن غازي وأبو العباس أحمد المؤاسي شارح الروضة وأبو زيد عبد الرحمن الرقعي صاحب النظم المشهور وغيرهم... ومما ضمنوه في تلك الرسائل قصيدة طنانة في مدح مولانا علي الشريف وصاحبه الفاضل أبي عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم العمري، وحثوهما على إجابتهما، وهي من إنشاد العلامة أبي فارس ابن الربيع الغرناطي ومن هذه القصيدة هذه الأبيات المعبرة :

أياراحلا يطوي المفاوز والقفرا	رُشدت ولقيت السلامة والخيرا
وأُمّ ديار الحي من سجلماسة	فتلك ديار تجمعُ العز والفخرا
وسلم على تلك الديار وأهلها	سلام مُحِب لم يطق عنهم صبرا
أبا الحسن مولاي الشريف الذي به على	الغرب شمس النصر أشرق بالصحرا

هو الصقر مهما اهتز كل مجلجل هزبُ إذا ما أنشب الناب والظفرا
هو الغوث إن دارت رحى الحرب للقا وغيث إذا ما المزن ما امطرت قطرا
أرى كل من في الغرب أصبح قانطا وأندلس ترجوا بطلعتكم نصرا
وغرناطة الغراء نادتك اقبل وبالراية البيضاء تتصر الحمرا
فدونكما الكفار تفنى طغاتهم وتشبع من قتلائهم الوحش والطيرا
فغوثا رجال الله عوناً لعدوة أحاطت بها البأساء والشدة الضرا

وبهذه الرسائل العذبة الألفاظ، المستوقفة الألحان، يُعلم أن مولاي علي الشريف كان مشهورا في عصره متقدما على كافة أهل مصره وأنه كان ملحوظا بعين الإجلال عندهم وإن هذه الدار العالية البناء والأسوار معظمة من قديم مشهود لها بالتقدم. ولم يزل رحمه الله تعالى دعوبا على فعل الخير حريصا على أسباب الطاعة وقسم عمره بين حج وجهاد ونشر علم.

هـ. ذرية مولاي علي الشريف:

يقول العربي بن عبد السلام: "لم يخلف مولاي علي الشريف إلا ولدين هما أبا الفضل مولاي محمد وأبا الفلاح مولاي يوسف. فخلف أبو الفضل مولاي محمد أربعة أولاد هم: الشقيقان مولاي الحسن ومولاي عبد الله والشقيقان مولاي علي ومولاي قاسم. وخلف أبو الفلاح مولاي يوسف تسعة أولاد خمسة منهم مع زوجته الخليفة من قصر الخلفي بأنبدور من سجلماسة أشقاء فيما بينهم وهم مولاي أبي الطيب مولاي أحمد ومولاي عبد الله ومولاي علي ومولاي عبد الواحد وهو أبو الغيث. وأربعة منهم مع زوجته الطاهرتية من تانجيوت من سجلماسة أشقاء فيما بينهم وهم مولاي الحسن ومولاي عبد الكبير ومولاي محمد ومولاي عبد الرحمن. فمن هؤلاء الثلاثة عشر رجلا تفرعت الأشراف أولاد مولاي علي الشريف ويميز بينهم فيقال فيهم أولاد محمد وأولاد يوسف".

■ أولاد مولاي محمد: عددهم أربعة وهم مولاي الحسن وشقيقه مولاي عبد الله ومولاي علي وشقيقه مولاي قاسم:

- مولاي الحسن خلف مولاي محمد الذي خلف مولاي عبد الله ومولاي أحمد، فخلف مولاي عبد الله مولاي الرشيد وخلف مولاي أحمد أربعة رجال هم مولاي محمد المأمون ومولاي

عبد الواحد ومولاي الحسن ومولاي عبد الله الذي فخلف مولاي سبعة رجال هم مولاي الشيخ ومولاي الحفيد ومولاي هاشم ومولاي الرشيد ومولاي محمد ومولاي السعيد ومولاي عبد المؤمن.

- مولاي عبد الله (الشقيق الثاني) خلف مولاي محمد الذي خلف مولاي عبد الكبير الذي خلف ثلاثة أولاد هم مولاي عبد المؤمن ومولاي محمد ومولاي أحمد وخلف مولاي محمد مولاي الحاج ومولاي عبد الرحمن الذي خلف ولدين هما سيدي محمد ومولاي أحمد الذي خلف مولاي الفضيل وذريته بفاس وخلف سيدي محمد بن عبد الرحمن ثلاثة أولاد هم مولاي الغازي ولم يعقب ومولاي أبو فارس وذريته بدرعة والثالث مولاي عبد الله فقد خلف مولاي أحمد الذي خلف ثلاثة أولاد هم مولاي الشيخ ومولاي عبد الله ومولاي محمد. أما مولاي الحاج فقد خلف سيدي محمد الذي خلف تسعة أولاد بالسيفة وهم مولاي عبد المالك ومولاي عبد القادر ومولاي عبد الرحمن ومولاي الزوين ومولاي علي ومولاي الشريف ومولاي أحمد ومولاي محمد ومولاي عبد الكريم.

- مولاي علي (الشقيق الثالث) خلف ولدين هما مولاي العربي ومولاي عبد القادر الذي خلف ثلاثة أولاد هم مولاي محمد وشقيقه مولاي عبد المالك من زوجته العيساوية الفيلاية ثم مولاي الفضيل. بينما خلف مولاي الغربي ثمانية أولاد خمسة منهم أشقاء هم مولاي عبد المؤمن ومولاي هاشم ومولاي عبد الله ومولاي الحسن ومولاي عمر ثم ثلاثة أشقاء وهم مولاي قاسم ومولاي الطلحاي ومولاي محمد وكان له ولد يسمى مولاي أحمد ولم يعقب، ويقال لهؤلاء أولاد مولاي علي من أولاد سيدي محمد وهم أهل أبو عام.

- مولاي قاسم (الشقيق الرابع) خلف ولدين هما مولاي محمد ومولاي أحمد الذي ترك ولدا واحدا هو مولاي عمر الذي خلف ولدين هما مولاي محمد السعيد ومولاي أحمد الذي خلف بدوره ثلاثة أولاد هم مولاي هاشم ومولاي عبد الله ومولاي محمد الذي خلف مولاي الحسن ومولاي الرشيد. وأما مولاي محمد بن قاسم بن سيدي محمد بن مولاي علي الشريف فقد خلف ولدين هما مولاي قاسم الصغير ومولاي محمد الذي خلف سيدي محمد الذي خلف سيدي محمد أيضا والذي خلف مولاي إدريس، بينما خلف مولاي قاسم الصغير ثلاثة أولاد هم سيدي محمد ومولاي عبد الله ومولاي علي.

■ أولاد مولاي يوسف:

وهم تسعة أولاد منهم خمسة أشقاء: مولاي علي ومولاي عبد الواحد ويكنى أبي الغيث ومولاي أبو الطيب ومولاي أحمد ومولاي عبد الله، ثم الإخوة الأربعة الأشقاء من زوجته الطاهرية الفيلاية التانجيوية وهم مولاي الحسن ومولاي عبد الكبير ومولاي محمد ومولاي عبد الرحمن:

- مولاي علي خلف ثلاثة أولاد هم مولاي هاشم ومولاي محرز وهما شقيقان ومولاي محمد السالمية. وخلف مولاي هاشم مولاي الكبير ومولاي الشريف ومولاي أحمد ومولاي علي، وهؤلاء يقال لهم أولاد هاشم بن علي بن يوسف ويقطنون أخنوس والرتب. وخلف مولاي محرز ثلاثة أولاد هم مولاي الطالب ومولاي العربي ومولاي عبد الكريم. وخلف مولاي العربي ثلاثة أولاد هم مولاي عبد الواحد ومولاي محمد ومولاي علي، بينما لم يخلف مولاي الطالب سوى بنتا واحدة تدعى لالة صفية وهؤلاء هم أهل زاوية المراني، ويقطن مولاي عبد الكريم قصر أخنوس. أما مولاي محمد المكنى ولد السالمية فقد خلف مولاي علي الذي خلف عشرة أولاد غير أشقاء منهم مولاي مروان ومولاي المهدي ومولاي محمد السعيد ومولاي مبارك الذي خلف ولدين اثنين هما مولاي العربي ومولاي الحسن جد مولاي الشيخ بن الحسن والأشقاء منهم مولاي الفضيل ومولاي الحفيد ومولاي الشريف ومولاي بوزكري..

- مولاي عبد الواحد أبي الغيث (الشقيق الثاني) له ستة أولاد هم الشقيقان مولاي هبة ومولاي عبد العزيز الذي خلف ولدين هما مولاي محمد ومولاي عمر. وخلف مولاي محمد بن مولاي عبد العزيز سبعة أولاد منهم ثلاثة أشقاء هم مولاي عبد المالك ومولاي الحسن ومولاي الكبير والأربعة الآخرين هم مولاي عبد الله ومولاي عبد القادر ومولاي العربي ومولاي عبد العزيز الصغير وكلهم بالمصلح إلا مولاي عبد المالك القاطن بأخنوس. وأما مولاي عمر فخلف مولاي محمد ومولاي هاشم ومولاي أكيم ومولاي علي، بينما خلف مولاي هبة مولاي عبد الرحمن ومولاي عبد الله ومولاي عبد الواحد ومولاي هبة الصغير. أما الأخ الثالث مولاي محمد بن عبد الواحد أبي الغيث فله خمسة أولاد منهم الشقيقين مولاي عبد المؤمن ومولاي أبي بكر، ثم مولاي علي وذريته بالرتب ومولاي السعيد ومولاي الطاهر الذي خلف مولاي محمد ومولاي العباس. أما الأخ الرابع فهو مولاي يوسف وذريته بآبار والأخ الخامس هو مولاي البركة والأخ

السادس هو مولاي العربي وله ولدين هما مولاي محمد ومولاي عبد العزيز بساقية الحاسي والجميع بأخنوس والبعض بقصبة الحذب، وهؤلاء هم أولاد أبي الغيث.

- مولاي الطيب (الشقيق الثالث) خلف مولاي عمر ومولاي يوسف الذي خلف مولاي محمد الذي خلف مولاي محمد أيضا، بينما خلف مولاي عمر بن أبي الطيب مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الله ومولاي محمد، فخلف مولاي عبد العزيز مولاي محمد وخلف مولاي عبد الله مولاي محمد أيضا.

- مولاي أحمد (الشقيق الرابع) خلف أربعة أبناء هم مولاي يوسف ومولاي عبد القادر ومولاي عبد الهادي ومولاي هلال. فخلف مولاي عبد القادر مولاي محمد وخلف مولاي عبد الهادي مولاي محمد وخلف مولاي هلال مولاي محمد أيضا.

- مولاي عبد الله (الشقيق الخامس) خلف مولاي أحمد ومولاي محمد ومولاي حفيد ومولاي قاسم وهؤلاء هم ذرية أبي الفلاح مولاي يوسف من زوجته الخليفة.

- مولاي الحسن (الشقيق السادس) له أربعة أبناء هم الشقيقان مولاي أبي القاسم ومولاي عبد العزيز ثم الشقيقان مولاي الطاهر ومولاي عمر. فأما مولاي أبو القاسم فله ستة أولاد هم مولاي محمد ومولاي عبد الرحمن وهما شقيقان لبنت المراتب محمد بن رحو الدخيسي، ومولاي الحفيد ومولاي أبي زكريا ومولاي عبد الواحد ومولاي إدريس وهؤلاء الأربعة أشقاء من السيدة خديجة بنت مولاي عبد الواحد أبي الغيث. والكل يقال لهم أولاد بلقاسم ويسكنون بملوية ومدغرة. أما مولاي عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف فترك أربعة أولاد هم مولاي قاسم ومولاي أحمد ومولاي محمد ومولاي عمر وهؤلاء هم أهل تعرمت بمدغرة، أما الشقيقان الآخران فهما مولاي الطاهر بن الحسن ومولاي عمر بن الحسن. وخلف مولاي الطاهر ثلاثة أولاد هم مولاي محمد ومولاي عثمان ومولاي علي الذي خلف خمسة أبناء هم مولاي عبد الله ومولاي عبد الواحد ومولاي عبد الكريم ومولاي أحمد ومولاي محمد الذي خلف بدوره ثلاثة أولاد هم مولاي قاسم ومولاي الحسن ومولاي عبد السلام الذي ترك أيضا ثلاثة أبناء هم مولاي أحمد ومولاي الطاهر ومولاي يوسف. أما مولاي عمر بن الحسن بن يوسف بن مولاي علي

الشريف فقد خلف سيدي محمد الذي خلف مولاي عبد المزمّن ومولاي عبد القادر وهؤلاء هم أهل زاوية حمود داوود.

- مولاي عبد الكبير (الشقيق السابع) له ثلاثة أولاد هم مولاي المأمون ومولاي أحمد ومولاي السعيد الذي خلف مولاي محمد وهؤلاء بمدينة مراكش.

- مولاي عبد الرحمن (الشقيق الثامن) خلف أربعة أبناء هم مولاي علي ومولاي الشيخ ومولاي عبيد وسيدي محمد، فخلف مولاي عبيد ثلاثة أولاد هم مولاي المأمون ومولاي إدريس ومولاي هاشم. وخلف شقيقه سيدي محمد ولدا واحدا هو مولاي السعيد، وهؤلاء هم أهل زاوية سيدي الحاج علي الشريف.

- مولاي محمد (الشقيق التاسع) ترك أربعة أبناء هم مولاي أبو علي ومولاي عبد الصادق ومولاي يوسف ومولاي السعيد. وخلف مولاي أبو علي أربعة أولاد هم مولاي محمد ومولاي أحمد وسيدي محمد ومولاي هاشم الذي خلف مولاي الشريف، وهؤلاء أولاد سيدي أبو علي يقطنون بصوصو. أما مولاي عبد الصادق بن مولاي محمد بن مولاي يوسف بن مولاي علي الشريف فله ولدين هما مولاي عبد العزيز ومولاي بوزيان الذي خلف مولاي عمر الذي خلف مولاي محمد الذي خلف مولاي أحمد دفين البقيع المشرف، بينما خلف مولاي عبد العزيز بن عبد الصادق مولاي أحمد الذي خلف ثلاثة أبناء هم مولاي العربي ومولاي العلي ومولاي الطيب، وهؤلاء هم أولاد مولاي عبد الصادق بصوصو والرتب. أما مولاي يوسف بن محمد بن يوسف بن مولاي علي الشريف فقد خلف ثلاثة أبناء هم مولاي الحفيد ومولاي أحمد ومولاي علي الذي خلف مولاي الفضيل وخلف مولاي أحمد مولاي عبد الرحمن ومولاي أحمد بينما ترك مولاي الحفيد مولاي مبارك الذي خلف مولاي محمد بن مبارك وهؤلاء هم أولاد مولاي سيدي يوسف بصوصو. أما مولاي السعيد بن محمد بن يوسف بن مولاي علي الشريف فقد خلف سيدي محمد الذي خلف مولاي عبد الله ومولاي أبي بكر ومولاي علي وهؤلاء هم بنو السعيد بصوصو.

خلاصة:

يعد نسب الدوحة العلوية الشريفة من أصح الأنساب وأمتنها، فأول ملوكها هو المولى محمد بن الشريف بن علي الشريف بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن القاسم بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله عليه أفضل الصلوات والسلام. وقد سمي العلماء هذا النسب بالسلسلة الذهبية لأنه شرف مقطوع بصحته لا نزاع في صراحته ولا خلاف في صحته.

أما نسب جلالة الملك سيدي محمد السادس قائد البلاد حامي الوطن والدين ورمز الوحدة الترابية وباعث نهضتها وضامن كيائها والسائر بالبلاد نحو التقدم والديمقراطية الحقيقة فهو ابن المغفور له بإذن الله مولانا الحسن الثاني محرر الصحراء وباني السدود بن محرر البلاد سيدي محمد الخامس قدس الله روحه بن يوسف بن الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل...

فمن هذه السلسلة الذهبية تفرعت الأسر العلوية التي سطع نجمها في الأفق وامتد إشعاعها من المشرق إلى المغرب، فكانت خير شجرة مباركة من أرض طيبة أنبت نباتا طيبا وآت أكلها كل زمان بإذن ربها.

مفالات عامة

منهج الأشاعرة في الاستدلال على العقيدة

عبد الغني العموري

باحث، فاس.

يتفق أصحاب العقول أن أفضل العلوم العلم بدين الله تعالى وشرائعه، فإن به حفظ الإيمان والإسلام اللذين هما أجلّ ودائعه، وأفضلها على الإطلاق ورئيسها باتفاق، علم العقائد الدينية، الذي هو أساس الشرائع والأحكام، ومقياس قواعد عقائد الإسلام، كيف لا وموضوعه أجلّ الموضوعات وهو ذات الله تعالى التي تقدست عن مماثلة الذوات، وصفاته تعالى التي تنزهت عن مشابهة الصفات، وغايته أشرف الغايات وهي أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقنا محكما لا تزلزله الشبهات، والطرق الموصلة إليه يقينيات، والمسالك المرشدة نحوه قطعيات، سواء كانت عقليات أو نقليات، وفائدته معرفة الباري تعالى وصفاته، ومعرفة صدق الرسل فيما جاؤوا به من الشرعيات، فبهما الوصول إلى السعادة الأبدية التي هي غاية الأغراض ومنتهى الغايات.

وقد صنف في هذا العلم علماء الإسلام في جميع الأزمان من الكتب المطولات والمختصرات، سيما أهل السنة الأشعرية الذين بلغوا في توضيح العقائد أقصى الغايات، وبالغوا في تحرير المقاصد وتقرير القواعد وبيان أوجه الدلالات، فتنوعت مناهجهم في التأليف في العقائد حتى شملت جميع المستويات، وذبوا عن أصول الدين ببيان القواعد الأصلية الدينية بالأدلة التفصيلية، ودفع كل ما يرد عليها من التشكيكات والشبهات، فجزاهم الله عنا خير الجزاء ورفعهم في الجنة أرفع الدرجات.

وقد تبنى العلماء المغاربة العقيدة الأشعرية، وتضافرت جهودهم حتى استوى هذا البناء على سوقه، واستقر، وترسخ. متوسلين لتحقيق ذلك بمختلف الأدوات التصورية والآليات النظرية، وذلك من خلال الاستدلال العقلي المعزز بالنقلي، وعبر مسارات التحاور المثمر والمجادلة بالحسنى، والتناظر الفعال مع الملل والنحل والفلسفات الأخرى المختلفة.

وإذا كان المقام لا يسمح بالإحاطة الشاملة بالعقيدة الأشعرية، فإنني سأتناول في هذا المقال أمثلة لمنهج الاستدلال في قسم الإلهيات، وذلك بتقسيم هذا الموضوع إلى قسمين: القسم الأول:

تعريف العقيدة الأشعرية، وجذورها التاريخية، والقسم الثاني: بيان منهج الأشاعرة في الاستدلال على العقيدة من خلال إثبات الصفات، وتنزيهه تعالى عن الحد والجهات.

1- العقيدة الأشعرية وجذورها التاريخية.

أ- تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.

العقيدة لغة: مشتقة من مادة "عقد" والعقد: ضد الحل، وتفيد الربط والشد والتوثيق والتوكيد والتصلب والإبرام والإحكام والعهد، وما في معناها. وهذه الكلمة تستعمل في الحسيات والمعنويات، فتستعمل مجازاً في الالتزام للشيء وعقد القلب عليه وعدم النزوع عنه.¹ والعقيدة أيضاً الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك.² أو ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل.³

واصطلاحاً: هي الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه، في قضايا الإيمان القلبية، بدون تردد أو شك.⁴

ب- تعريف أبي الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل ابن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري. ولد بالبصرة سنة 260هـ، وقيل سنة 270هـ، شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين سعياً يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وكان أولاً قد أخذ عن أبي علي الجبائي وتبعه في الاعتزال، حيث قيل إنه أقام على الاعتزال أربعين سنة، حتى صار للمعتزلة إماماً، فلما أراد الله لنصر دينه وشرح صدره لاتباع الحق، غاب عن

1 - كتاب العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة هلال، 140/1. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م، 186/4.

2 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، 421/2.

3 - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، 614/2.

4 - العقيدة النورية، في معتقد السادات الأشعرية، علي النوري، دراسة وتحقيق: الحبيب بن طاهر، ص2.

الناس في بيته خمسة عشر يوماً، ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال: معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت، فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي شيء على شيء، فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقد⁵.

وقيل إنه نادى بأعلى صوته فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فإني أعرفه نفسي، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا تراه الأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعاييرهم⁶.

قال ابن خلدون: "كان ظهور البدع ومنها بدعة خلق القرآن، سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع، وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين، فتوسط بين الطرق، ونفى التشبيه، وأثبت الصفات المعنوية، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف⁷".

وفي تاريخ وفاته اختلاف، منها أنه توفي سنة 324هـ، وقيل سنة 333هـ، وقيل 330هـ، توفي رحمه الله ببغداد، ودفن بين الكرخ وباب البصرة⁸.

قال السبكي: والصحيح أن وفاة الشيخ بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة، والأقرب أنها سنة أربع وعشرين، وهو ما صححه ابن عساكر وذكره أبو بكر بن فورك، ويقال سنة نيف وثلاثين⁹.

ج- تاريخ المذهب الأشعري

قال السبكي في طبقاته: "واعلم أن أبا الحسن، لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كان عليه صحابة رسول صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً"¹⁰.

5 - طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، دار هجر، ط2، 1413هـ، 348/3.

6 - مقدمة محمد الولي الأشعري القادري الرافعي على كتاب: رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، أبو الحسن الأشعري، دار المشارع، ط1، 1415هـ/1995م، ص7.

7 - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م، 588/1.

8 - مقدمة محمد الولي الأشعري القادري الرافعي على كتاب: رسالة استحسان الخوض في علم الكلام، مرجع سابق، ص7.

9 - طبقات الشافعية الكبرى، مرجع سابق، 352/3.

10 - نفس المرجع، 365/3.

ثم قال في موضع آخر: ولم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة، إنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف، فزاد المذهب حجة وبيانا، ولم يتبدع مقالة اخترعها، ولا مذهبا انفرد به، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك ومن كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم، إلا أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك، ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكي، ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بيانا وبسطا عزي إليه، وكذلك أبو الحسن الأشعري لا فرق، ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وما ألفه في نصرته.

ويرجع سبب ظهور المذهب الأشعري، إلى أنه بعدما تطورت الفرق الكلامية خصوصا بعد عهد الخلفاء الراشدين -رضوان الله عليهم- الذين لم يدخروا جهدا في محاربة أهل الفتن والأهواء، والحفاظ على العقيدة الإسلامية طاهرة نقية كما علمهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فبعد الشيعة¹¹ الذين شايعوا عليا وآله، ظهر المعتزلة¹²، وقيل إن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد بن الحنفية، ثم أخذ الثاني يرد على الخوارج¹³ في مسألة الإيمان ويقول: الإيمان هو الكلمة والعقد دون الأعمال، فسمي هو وجماعته مرجئة لتأخيرهم العمل عن الإيمان. وحدث منهم طائفة تقول: لا يضر مع الإيمان معصية وهم مرجئة البدعة.

وكان عدة من أحبار اليهود ورهبان النصارى والمجوس، أظهروا الإسلام في عهد الراشدين، ثم أخذوا بعدهم في بث ما عندهم من الأساطير في حق الله تعالى من التجسيم والتشبيه، بما كانوا عليه من الاعتقاد في جاهليتهم، فأخذ التشبيه يشيع في معتقد الطوائف ويشيع شيوع الفاحشة.

11- قال الشهرستاني: الشيعة: هم الذين شايعوا عليا رضي الله عن الخصوص، وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية، انظر: (الملل والنحل، الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، 1/147).

12- من آراء المعتزلة في العقيدة أن الفساق من أهل الملة خرجوا من الإيمان، وأنهم مع الكفار خالدين في النار لا يجوز لله تعالى أن يغفر لهم، وأنه لو غفر لهم لخرج عن الحكمة. تعالى سبحانه عما يقولون، انظر: (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، ط1، 1403هـ/1983م، ص22).

13- قال الأسفراييني: اعلم أن الخوارج عشرون فرقة، وكلهم متفقون على أمرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة: - أحدهما: أنهم يزعمون أن عليا، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم. - ثانيهما: أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر ويكون في النار خالدا مخلدا، انظر: (التبصير في الدين، مرجع سابق، ص48).

وقد سمع معبد بن خالد الجهني من يتعلل في المعصية بالقدر، فقام بالرد عليه كون القدر سالبا للاختيار في أفعال العباد، وهو يريد الدفاع عن شرعية التكليف، فضاقت عبارته وقال: (لا قدر والأمر أنف)، ولما بلغ ذلك ابن عمر رضي الله عنه، تبرأ منه فسمي جماعة معبد بالقدرية¹⁴، وانتشر مذهب القدرية حتى كان غيلان بن مسلم الدمشقي ينشر بدمشق رأي معبد، فطلبه عمر بن عبد العزيز ونهاه عن ذلك وكشف شبهته، وقال: "يا أمير المؤمنين، لقد جئتكم ضالا فهديتني، وأعمى فبصرتني، وجاهلا فعلمتني، والله لا أتكلم في شيء من هذا الأمر أبدا"، ولما بدأ يذيع رأي معبد، أخطأ في الرد عليه جهم بن صفوان بخراسان فوقع في الجبر ونشأ عنه مذهب الجبرية¹⁵.

وكان الحسن البصري من جلة التابعين، وممن استمر سنين ينشر العلم في البصرة ويلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، وقد حضر مجلسه يوما أناس من رعاي الرواة، ولما تكلموا بالسقط عنده، قال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها فسموا الحشوية¹⁶، ومنهم أصناف المجسمة والمشبهة.

وبعد ذلك قام واصل بن عطاء بنشر المذهب المعتزلي في بغداد والبصرة، ثم بعد فتور الفتوحات الإسلامية ازداد الناس تفرغا لآراء الفرق السابقة، وبدأوا يترجمون كتب الفلاسفة والملاحدة والثنوية¹⁷ من الفرس، حتى استفحل أمرهم، فأمر المهدي علماء الجدل من المتكلمين بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين، فأقاموا البراهين وأزالوا الشبه وأوضحوا الحق، وخدموا الدين. فكان القائمون بأعباء تلك المدافعات طائفة من المعتزلة.

وكان أغلب الفقهاء وحملة السنة في هذه المرحلة يأبون الخوض في المسائل العقائدية، ويجرون على ما عليه الصحابة وخيار التابعين، من الاقتصار على ما ثبت من الدين بالضرورة.

14- من أقوال القدرية أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، والرب تعالى منزّه أن يضاف إليه شر وظلم، وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما، كما لو خلق العدل كان عادلا. انظر: (الملل والنحل، مرجع سابق، 45/1).

15- الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرا ما في الفعل، وسمي ذلك كسبا، فليس بجبري. (الملل والنحل، مرجع سابق، 85/1).

16- نسبة إلى الحشو وهي طائفة تمسكوا بالظواهر وذهبوا إلى التجسيم. (المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 177).

17- مذهب يقول بإلهين اثنين، إله للخير، وإله للشر، ويرمز لهما بالنور والظلام. (المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ص 102).

ولما بدأ المأمون العباسي يشايح المعتزلة ويقرهم حتى حمل الناس على القول بخلق القرآن، دام هذا الامتحان طول خلافة المعتصم والواثق، وزاد الأخير مسألة نفي الرؤية. فلقي خصوم المعتزلة شدائد استمرت إلى أن رفع المتوكل المحنة وأظهر الإمام أحمد فيها من الثبات ما رفع شأنه.

ثم ابتداء رد الفعل يأخذ سيره الطبيعي من ارتفاع شأن الحشوية والنواصب، وانقمار أهل النظر والمعتزلة.

فبدأ الحشوية يجرون على طيشهم وعمائتهم واستتباعهم الرعاع والغوغاء، ويتقولون في الله ما لا يجوز الشرع ولا العقل من إثبات الحركة له، والنقلة، والحد والجهة والقعود والاستلقاء، وغير ذلك مما تلقوه من الثنوية وأهل الكتاب.

وكانت المعتزلة تتغلب على عقول المفكرين من العلماء، ويسعون في استعادة سلطانهم على الأمة، وأصناف الملاحدة والقرامطة¹⁸، توغلوا في الفساد واحتلوا البلاد، حيث لم يبق في ثغور الدفاع عن الدين، من يربط بحجج دامغة تحقق أدعية الضالين من أهل البدع والأهواء.

في مثل هذه الحالة الحرجة، غار الإمام أبو الحسن الأشعري -رضي الله عنه- على ما حل بالمسلمين من ضروب النكال وقام لنصرة السنة وقمع البدعة¹⁹.

القسم الثاني: بيان منهج الأشاعرة في الاستدلال على العقيدة.

اعتمد الأشاعرة في الاستدلال على أمور العقيدة على العقل المعزز بالنقل، وفيما يلي بعض الأمثلة من ذلك:

أ- لا تقليد في العقيدة

مما يجعل العقيدة الأشعرية تبقى صامدة عبر التاريخ، اعتمادها على المبنى العقلي والعلمي، ورفض علماءها التقليد في باب العقيدة.

قال الأسفراييني: كل ما يجب معرفته في أصول الاعتقاد، يجب على كل بالغ أن يعرفه في حق نفسه معرفة صحيحة صادرة عن دلالة عقلية، لا يجوز له أن يقلد فيه، ولا أن يتكل فيه الابن على

18 - فرقة من غلاة الشيعة نشأت بالعراق واتسع سلطانها بالحجاز، (المعجم الوسيط، مرجع سابق، 730/2).

19 - تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ، ص 15.

الأب، ولا الأب على الابن، ولا الزوجة على الزوج، بل يستوي فيه جميع العقلاء من الرجال والنساء، وأما ما يتعلق من فروع الشريعة من المسائل فيجوز أن يقلد فيه من كان من أهل الاجتهاد.²⁰

وقال السنوسي: "اعلم شرح الله صدري وصدرك، ويسر لنيل الكمال في الدارين أمري وأمرك، أن أول ما يجب قبل كل شيء على من بلغ، أن يعمل فكره فيما يوصله إلى العلم بمعبوده، من البراهين القاطعة والأدلة الساطعة.

ولا يرضى لعقائده حرفة التقليد، فإنها في الآخرة غير مخلصة عند كثير من المحققين، ويخشى على صاحبها الشك عند عروض الشبهات، ونزول الدواهي العضلات، كالقبر ونحوه، مما يفتقر فيه إلى قول ثابت بالأدلة وقوة يقين، وعقد راسخ لا يتزلزل لكونه نتج عن قواطع البراهين.²¹

ولا شك أن ما انبنى على حق ويقين، وحجة وبرهان لا يدخله الشك، ولا تزحزحه أباطيل المشركين ولا أهل البدع الضالين.

ب- في إثبات صفات الله تعالى:

يقسم الأشاعرة أسماء الله تعالى وصفاته إلى:

1- منها ما يقال: "هي هو"، وهي ما دلت التسمية فيه على ذاته، ككونه موجودا وقديما وذاتا واحدة. وأمثال ذلك من الأسماء الراجعة إلى ذاته تعالى، لأن ذاته ليست بمعنى سواء، أو بمعنى لا يقال هو هو. وقد دلت الدلالة على أنه موجود قديم وذات وواحد وغير لما غيره، وخلاف لما خالفه، لنفسه لا معنى. وهذه الأسماء والصفات هي ما يسمى بالصفات النفسية المنسوبة إلى النفس، لأنه لا يحكم على النفس إلا بعد اتصافها بها.²²

والصفات النفسية ستة وهي: الوجود والقدم والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث والوحدانية.

20 - التبصير في الدين، مرجع سابق، ص 180.

21 - شرح العقيدة الكبرى، أحمد بن العاقل الديباني، ص 13.

22 - رائحة الجنة شرح إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، المقري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 45.

2 - ومنها ما يقال: "لا هي هو ولا هي غيره"، وهي كل ما دلت التسمية فيه على صفة من صفاته، ككونه عالماً قادراً وحياً، إلى غير ذلك من الصفات. فهي أسماء له ولا يقال هي غيره لاستحالة مفارقتها له.

وتسمى الصفات المعنوية، وهي الأحكام الثابتة للموصوف بها، المعللة بعلة قائمة بالموصوف. أو هي صفات ثبوتية دالة على معنى زائد على الذات.²³

ومعنى ذلك أن الواجب بذاته قادر بقدرة، مريد بإرادة، عالم بعلم، متكلم بكلام، سميع بسمع، بصير ببصر، حي بحياة، وهذه كلها صفات وجودية، أزلية زائدة على ذات واجب الوجود.²⁴ ومن أمثلة الصفات المعنوية أنه تعالى عالم بعلم قائم بذاته، ويستدل الأشعري على ذلك بقوله: "أن ما يعلم به المعلوم يسمى علماً، فلو علم الباري تعالى المعلوم بنفسه، لكان نفسه علماً. لأن قائلاً لو قال: إن الله تعالى عالم بمعنى هو غيره لوجب عليه أن يكون ذلك المعنى علماً، ويستحيل أن يكون العلم علماً، أو العالم علماً، أو أن يكون الله تعالى بمعنى الصفات. ألا ترى أن الطريق الذي يعلم به أن العلم علم، أن العالم به علم، لأن قدرة الإنسان التي لا يعلم بها لا يجوز أن تكون علماً. فلما استحال أن يكون الباري تعالى علماً، استحال أن يكون عالماً بنفسه، فإذا استحال ذلك صح أنه عالم بعلم يستحيل أن يكون هو نفسه".²⁵

3 - ومنها ما يقال: "إنها غيره"، وهي ما دلت التسمية فيه على أفعاله، كخالق والرازق.

ومما يستدل به على هذه الصفات، قال أبو المعالي الجويني: إن من أسماء الله تعالى ما يرجع إلى الخلق والإحداث، كخالق والرازق، فلا يقال: كان الرب في أزله مسمى بها، إذ لا يتقرر الخالق قبل الخلق. وقد زعمت طائفة من أهل القبلة أن الرب في أزله كان خالقاً، بمعنى أنه قادر على الخلق. وهذا الخلاف راجع إلى التسمية دون المعنى، فإن أهل القبلة اتفقوا على استحالة الخلق في الأزل، واتفقوا على وجوب كونه قادراً في الأزل، بيد أن منهم من قال: إنها يسمى خالقاً إذا خلق. وهذا هو الأصح. فإنه إذا لم يجوز أن يقال: خلق، لم يجوز وصفه في أزله بأنه خالق، وهذا ما ارتضاه أهل السنة.²⁶

23 - نفس المرجع السابق، ص 45.

24 - غاية المرام في علم الكلام، الأمدي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1424هـ/2004م، ص 39.

25 - كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري، مطبعة مصر، 1955م، ص 30.

26 - المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية، أبو الحسن اليفرنى الطنجي، تحقيق: جمال علال البيهتي، ص 624.

ج- في تنزيهه تعالى عن التشبيه والتجسيم.

كل ما يدل على الحوادث، وعلى سمة النقص، فالرب يتعالى ويتقدس، فهو تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بالمحاذاة، لا تحيط به الأقطار ويحل عن قبول الحد والمقدار²⁷.

ولأن كل مختص بجهة شاغل لها: متحيز. وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها. وكل ما يقبل الاجتماع والافتراق لا يخلو عنها، وما لا يخلو عنها حادث كالجواهر²⁸.

لأن الشيء لا يكون مخصوصا بجهة إلا أن يخصصه مخصص بتلك الجهة، ويقرره على تلك النهاية بجواز غيره من الحدود عليه، والصانع لا يكون مصنوعا ولا محدودا ولا مخصصا، وأصله في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾²⁹، مع قوله تعالى: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾³⁰، وقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾³¹. ولو كان مخصوصا بحد ونهاية وجهة، لم يجوز أن يكون منسوبا إلى أماكن مختلفة متضادة، وكان لا يجوز أن يكون مع كل واحد، وأن يكون على العرش، وأن يأتي بنيان قوم سلط عليهم الهلاك. فجاء من الجمع بين هذه الآيات تحقيق القول بنفي الحد والنهاية، واستحالة كونه مخصوصا بجهة من الجهات. وفي الجمع بين هذه الآيات دليل على أن معنى قوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾، إنما هو بمعنى العلم بأسرارهم.

ومعنى قوله: ﴿فأتى بنيانهم من القواعد﴾، أي خلق في بنيان القوم معنى من الزلزلة ورجف، يكون ذلك سبب خرابه، وأن معنى قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، معناه القهر والغلبة والعلو. ومنه قول العرب: استوى فلان على المملكة، أي استعلى عليها واطردت له³².

27 - لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي الجويني، تحقيق: فؤاد حسين محمود، عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1987م، ص107.

28 - نفس المرجع السابق، ص108.

29 - سورة المجادلة، الآية: 7.

30 - سورة النحل، الآية: 26.

31 - سورة طه، الآية: 4.

32 - لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، مرجع سابق، ص108.

إن ثنائية العقل والنقل التي ميزت الاستدلال الأشعري جعلت العقيدة الأشعرية قوية متينة، وبذلك فقد شكلت الجانب العقدي للأمة المغربية عبر تاريخها الطويل، وثابتا من ثوابتها الحضارية، ومعلما من معالم هويتها الثقافية، فقد ارتبطت العقيدة الأشعرية ارتباطا طويلا بتاريخ المغرب امتد ما يقارب عشرة قرون. لذا فإن الاهتمام اليوم بهذه العقيدة بتيسير مباحثها الاستدلالية أمر مطلوب، خصوصا في ظل تنامي التيارات اللامذهبية من المشبهة والمجسمة، وبروز الأفكار الإلحادية التي تعصف بالأمن العقدي وتزرع القلاقل والفتن بين المغاربة.

مكانة السنة النبوية عند الإمام مالك ومنزلتها من أصول مذهبه

ذ. عبد الرزاق زريوح
فاس.

إن تعظيم الإمام مالك - رحمه الله - للسنة النبوية والالتزام بالاحتجاج بها، والمبالغة في الذود عنها، وعدم الاعتداد بما سواها عند وجودها، ظاهرة لا تكاد تفارق مذهبه، بل تُعد من أبرز خصائصه.

ويمكن للمُتَّبِع لمذهب مالك رحمه الله أن يكون مُتَّبِعاً للسنة في كل أموره، إذ ينذر أن تجد سنة إلا وله - رحمه الله - قول يوافقها.

وَمَنْ تَتَّبَعَ أصول مذهب مالك وقواعد الاستدلال عنده، يجد أصل السنة يحتل مكانة عظمى؛ ومنزلته من أغلب أصوله منزلة الأصل من الفرع. وما احتجَّاه بأقوال الصحابة وأقضيتهم، وعمل أهل المدينة وأعرافهم، وكذلك فتاوى كبار التابعين الآخذين عنهم، إلا باعتبار ذلك من شعب السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وفي ضوء هذه المكانة السامية التي تحتلها السنة النبوية عند الإمام مالك وفي أصول مذهبه، سأحاول بسط مواقفهم رحمه الله من بعض قضايا السنة الأساسية عبر المحاور التالية:

- مفهوم السنة عند الإمام مالك ومكانتها عنده.
- موقف الإمام مالك من الابتداع في الدين ومنهجه في معاملة أهل البدع.
- ريادة الإمام مالك في علم الحديث، وحيازته قصب السبق في التصنيف فيه.

- منزلة أصل "السنة" من بقية أصول مذهب مالك.
- ضوابط اعتبار السنة للاحتجاج بها عند الإمام مالك.

فأقول مستعينا بالله متوكلاً عليه:

مفهوم السنة عند الإمام مالك:

لم يخرج الإمام مالك في فهمه للسنة عن استعمالها بالمعنى المعهود عند علماء السلف، وعامة المحدثين. فقد نجده في الموطأ يستعمل لفظ (السنة) أحياناً بمعناه اللغوي، وهو الطريقة المتبعة، والسيرة المستمرة.

من ذلك قوله في الموطأ: "وَالسُّنَّةُ فِي الْمَسَاقَةِ الَّتِي يَجُوزُ لِرَبِّ الْحَائِطِ أَنْ يَشْتَرِطَهَا عَلَى الْمُسَاقَى..."¹، وكذلك قوله: "السُّنَّةُ فِي الْمَسَاقَةِ عِنْدَنَا..."²

إشارة منه إلى أن (السنة) في هذا ومثله الطريقة المعروفة، والشأن الجاري في حياة الناس وعملهم.³

وقد يريد بها طريقة أهل العلم وخطتهم. أو القواعد المقررة عند أهل المدينة. قال البوني في شرح الموطأ عن أحمد بن المعدل: "إن المراد عنده بالسنة ما جرى عليه أمر بلدهم في القديم والحديث"⁴.

من ذلك قوله في عدة مواضع من الموطأ: "السنة التي لا اختلاف فيها عندنا"⁵. وقوله أيضاً: "الأمر المجتمع عليه عندنا"⁶، "والذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا"⁷.

1 - موطأ الإمام مالك، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406هـ/1985م)، ص: 703.

2 - نفسه، ص: 703.

3 - انظر: مالك بن أنس، لأمين الخولي، (الناشر: دار إحياء الكتب العربية القاهرة، 1951م)، 705/2.

4 - المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، لعلي جمعة، (الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة: الثانية، 2001م)، ص: 188.

5 - موطأ الإمام مالك، الصفحات: 177، 182، 246، 276، 213، 878.

6 - موطأ الإمام مالك، الصفحات: 246، 270، 493، 503، 507، 515، 718.

7 - موطأ الإمام مالك، الصفحات: 267، 309، 503، 506، 826.

مفهوم السنة في المدرسة المالكية المغربية:

مراعاة لطبيعة الموضوع وحدوده، لم أتوسع في تعريف السنة عند المحدثين والأصوليين، ولم أذكر اصطلاحات المذاهب الفقهية في تحديد المراد بالسنة عندهم، إلا ما كان على سبيل المقارنة⁸ لإبراز خصائص تعريف المالكية للسنة وتمييز اصطلاحهم في ذلك.

فالسنة في اصطلاح المدرسة المالكية المغربية هي: "ما أمر به صلى الله عليه وسلم وواظب عليه وأظهره ولم يوجبه"⁹.

وعرفها ابن بشير بلفظ قريب منه وبمزيد تفصيل فقال: "ما واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم مظهرا له، فهو سنة بلا خلاف، وما نبه عليه وأجمله في فعل الخير فهو مستحب، وما واظب على فعله في أكثر الأوقات وتركه في بعضها فهو فضيلة، ويسمى رغبة، وما واظب على فعله غير مظهر له ففيه قولان: أحدهما: تسميته سنة التفاتا إلى المواظبة. والثاني: تسميته فضيلة التفاتا إلى ترك إظهاره كركعتي الفجر"¹⁰.

ويلاحظ على هذا أن السنة في اصطلاحهم مراتب ثلاث: سنة، وهي أعلاها، ثم الرغبة، ويسمونها بعضهم: فضيلة، ثم النافلة.

وإذا ما قورن هذا مع تعريف الأصوليين والمحدثين للسنة، فإنه يلاحظ أن تعريف المالكية للسنة فيه قيود زائدة، وهي: ملاحظة إظهار الفعل، والمواظبة عليه من عدمها، ولزوم الطلب من عدمه.

وهذه القيود قد يوظفها المالكية في رد بعض السنة القولية والفعلية والتقريرية إذا لم يصدر بها أمر ولم تقع عليها المواظبة. وغرض المالكية بذلك التوصل إلى صفة المشروعية لعمل أهل المدينة، إذا

8 - عرّف المحدثون السنة بأنها: أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية، وسائر أخباره، سواءً أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها. فالسنة على هذا مرادفة للحديث المرفوع. وفي اصطلاح الأصوليين، هي: أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، وتقريراته، التي يُستدل بها على الأحكام الشرعية. وفي اصطلاح الفقهاء، هي: ما ثبت طلبه بدليل شرعي، من غير افتراض ولا وجوب. (انظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، (تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان)، 169/1؛ إرشاد الفحول للشوكاني، (تحقيق: أحمد عزو عناية، الناشر: دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى 1419هـ/1999م)، 95/1.

9 - نشر البنود على مراقبي السعود، لعبد الله بن إبراهيم العلوي الشنقيطي، الناشر: مطبعة فضالة، المغرب، (طبعة بدون تاريخ)، 9/2.

10 - مواهب الجليل، للحطاب، (الناشر: دار الفكر، الطبعة الثالثة، 1412هـ/1992م)، 40/1.

تعارضت فيها أحاديث واردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقولون: إن هذا صحبه العمل وهذا لم يصحبه العمل، وهذا هو المقصود من ذكر المواظبة في تعريف السنة عند المالكية.¹¹

وهذه طريقة المالكية المغاربة؛ أما العراقيون منهم فالسنة عندهم: "ما طلب الشارع فعله طلبا غير جازم" فيدخل فيه عندهم المراتب الثلاثة: السنة والرغبة والنافلة.

مكانة السنة عند الإمام مالك وتمسكه بها.

يعتبر أصل السنة المصدر الثاني من مصادر تشريع الأحكام في المذهب المالكي، ومن أجل معرفة مكانة هذا الأصل العظيم عند مؤسس المذهب مالك رحمه الله، أورد بعض أقواله التي تبين تمسكه به والحرص على حفظه واتباعه.

قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: (الزم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: "أمران تركتهما لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه" ¹²)¹³.

وعنه أيضاً قال: قال لي مالك: "الحُكْمُ الَّذِي يُحْكَمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ حُكْمَانِ: مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ مَا أَحْكَمَتْهُ السُّنَّةُ، فَذَلِكَ الْحُكْمُ الْوَاجِبُ، وَذَلِكَ الصَّوَابُ، وَالْحُكْمُ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِيهِ الْعَالَمُ رَأْيَهُ فَلَعَلَّهُ يَوْفَقُ، وَثَالِثٌ مَتَكَلَّفٌ فَمَا أَحْرَاهُ إِلَّا يَوْفَقُ" ¹⁴.

وحدث رحمه الله أصحابه على التمسك بالكتاب والسنة وإن خالف ذلك اجتهاده. قال معن بن عيسى: سمعت مالك بن أنس يقول: "إنما أنا بشرٌ أخطئُ وأصيبُ، فانظروا في رأيي، فكلُّ ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكلُّ ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه" ¹⁵.

11 - انظر: (مطالعات وآراء: الأستاذ حماد العراقي في كتابه: "تاريخ التشريع الإسلامي")، للأستاذ محمد الطنجي، مقال بمجلة دعوة الحق، س2، ع9/يونيو 1959م، ص 68.

12 - رواه مالك في الموطأ بلاغا، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر. ولفظه: "تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه".

13 - إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية، (تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م)، 1/195.

14 - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، (تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م)، 1/757.

15 - جامع بيان العلم وفضله، 575/1.

وقال أيضًا: "ليس أحدٌ بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم"¹⁶.

وكان رحمه الله وقافاً عند حدود الكتاب والسنة؛ لا يتعدّاهما في أدنى أمرٍ وإن بدا فيه خير وأنّه يسير، فعن الزبير بن بكار قال: "سمعت سفيان بن عيينة يقول: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله! من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنني أريد أن أُحرم من المسجد من عند القبر - يعني قبر النبي صلى الله عليه وسلم - قال: لا تفعل فإنني أخشى عليك الفتنة، قال: وأي فتنة في هذا؟ إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنني سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]"¹⁷.

قال الشاطبي رحمه الله معلقاً على هذا القول: "فأنت ترى أنّه خشي عليه الفتنة في الإحرام من موضع فاضل لا بقعة أشرف منه، وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضع قبره، لكنّه أبعد من الميقات، فهو زيادة في التعبّد قصداً لرضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فين أن ما استسهله من ذلك الأمر اليسير في بادي الرأي يخاف على صاحبه الفتنة في الدنيا والعذاب في الآخرة واستدلّ بالآية، فكل ما كان مثل ذلك؛ داخل عند مالك في معنى الآية"¹⁸.

وكان رحمه الله داعياً إلى التمسك بهدي من سبقه من السلف، وما بينوه من العقائد، وفسّروه من الآيات، واستنبطوه من الأحكام، فقال: "والتسليم للسّنن، لا تعارض برأي ولا تدافع بقياس، وما تأوّل السلف الصّالح تأوّلناه، وما عمّلوا به عمّلناه، وما تركوه تركناه، ويسعنا أن نُمسك عمّا أمسكوا، ونتبّعهم فيما بينوا، ونفتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله"¹⁹.

16 - جامع بيان العلم وفضله، 926/2.

17 - أحكام القرآن لابن العربي المعافري، (تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة، الثالثة، 1424هـ/2003م)، 432/3.

18 - الاعتصام، للإمام الشاطبي، (تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م)، 535/2.

19 - الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، لابن أبي زيد القيرواني، (تحقيق: محمد أبو الأجنان وعثمان بطيخ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، 1403هـ/1983م)، ص: 117.

وكان كثيراً ما يذكر قول الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ويرتج له سروراً إذا حدث به، فعن مطرف بن عبد الله قال: (سمعت مالك بن أنس إذا ذُكرَ عنده الزائغون في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاهُ الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنُّوا اهتدى، ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها وأتبع غير سبيل المؤمنين ولأه الله عز وجل ما تولاه، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً")²⁰.

موقف الإمام مالك من الابتداع في الدين ومنهجه في معاملة أهل البدع

بقدر حرص الإمام مالك رحمه الله على اتباع السنة والتمسك بها، كان حرصه أشد وحثه أبلغ من الابتداع في الدين، وضرورة الابتعاد عما لم يكن عليه السلف الأول من الصحابة ومن بعدهم في خير القرون.

قال ابن وضاح القرطبي: "وقد كان مالك يكره كل بدعة، وإن كانت في خير"²¹.

وقال عنه الشاطبي: "وقد كان من أشدَّهم اتِّباعاً، وأبعدهم من الابتداع"²².

ويبين رحمه الله أن الابتداع في الدين مضادٌّ لكمال الشريعة، وانتقاصٌ لها ولين بلغها، وأنَّ حال المبتدع في إحداثه كالقائل بتقصير النبي صلى الله عليه وسلم في إبلاغ هذا الدين، قال ابن الماجشون: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:3]، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً"²³.

وكان رحمه الله كثيراً ما ينصح من يأتيه باجتناّب ما أحدثه أهل البدع وأصحاب الرأْي من كلام وجدال وخصومة، قال إسحاق بن عيسى: (رأيت رجلاً من أهل المغرب جاء مالك بن أنس

20 - الشريعة، لأبي بكر البغدادي، (تحقيق: عبد الله الدميحي، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ/1999م)، 407/1.

21 - البدع والنهي عنها، لابن وضاح القرطبي، (تحقيق: محمد أحمد دهمان، الناشر: دار الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م)، ص: 52.

22 - الاعتصام، 231/1.

23 - الاعتصام، 65/1.

فقال: إن الأهواء كثرت قبلنا فجعلت على نفسي إن أنا أتيتك أن آخذ بما تأمرني به؟ فوصف له مالك شرائع الإسلام؛ الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج، ثم قال: "خذ بهذا ولا تخاصم أحداً"²⁴.

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري: كان مالك بن أنس يقول: "الكلام في الدين أكرهه، وكان أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في الدين وفي الله عز وجل فالتسكوت أحب إلي؛ لأنني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل"²⁵.

قال ابن عبد البر معلقاً على هذا الكلام: "والذي قاله مالك رحمه الله عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديماً وحديثاً من أهل الحديث والفتوى، وإنما خالف ذلك أهل البدع - المعتزلة وسائر الفرق -، وأما الجماعة على ما قال مالك رحمه الله إلا أن يضطر أحد إلى الكلام فلا يسعه التسكوت إذا طمع برد الباطل وصرف صاحبه عن مذهبه، أو خشي ضلال عامة أو نحو هذا"²⁶.

ولأجل ذلك كان من منهجه رحمه الله عدم الخوض في كلام أهل البدع، والعزوف عن مجادلتهم، والبعد عن محادثتهم، طلباً لسلامة الدين، وخوفاً من التثقل عن منهج أهل الحق.

مالك أمير المؤمنين في الحديث

أجمع أئمة المسلمين في كل قرن من القرون على أن مالكا رحمه الله إمام في الحديث، وجهبذ من جهابذة النقاد، ومن المتبحرين في علوم الرواية والدراية، المتقنين لها، والمتفقهين فيها. اجتمعت لديه ثروة حديثة عظيمة، لم تجتمع لأحد من أقرانه، فقد ذكروا أنه روى مائة ألف حديث، وأنه كان نقادة للرجال بحاثا عن الأسانيد، أقر له بذلك أقرانه قبل تلاميذه، والناس في كل عصر يعتمدون على حديثه، حتى إن البخاري إذا وجد الحديث عن مالك، فإنه لا يعدل عنه.²⁷

قال النسائي: "وما أحد عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس ولا أجل، ولا آمن على الحديث منه"²⁸.

24 - الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، (تحقيق: عادل الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة الثانية، 1421هـ)، 555/1.

25 - جامع بيان العلم وفضله، 938/2.

26 - جامع بيان العلم وفضله، 938/2.

27 - انظر: الحديث والمحدثون، لمحمد أبي زهو، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1378هـ، ص: 259.

28 - التمهيد لابن عبد البر، (تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ)، 63/1.

وقال أيضا: "أمناء الله عز وجل على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم: شعبة ابن الحجاج، ومالك بن أنس، وسفيان بن عينية، ويحيى بن سعيد القطان، والثوري إمام إلا أنه كان يروي عن الضعفاء"²⁹.

وقال يحيى بن سعيد القطان "كان مالك إماما في الحديث"³⁰، وقال سفيان بن عينية: "كان مالك إماما في الحديث"³¹.

وقال الشافعي: "لولا مالك وسفيان - ابن عينية - ذهب علم الحجاز"³². وقال أيضا: "إذا جاء الأثر فمالك النجم"³³.

وقال الشافعي أيضا: "العلم - يعني الحديث - يدور على ثلاث: مالك بن أنس وسفيان بن عينية، والليث بن سعد"³⁴.

وسئل الإمام أحمد: "يا أبا عبد الله، رجل يريد أن يحفظ حديث رجل بعينه، فقال أحمد: يحفظ حديث مالك"³⁵.

وقال أيوب بن سويد الرملي: "ما رأيت أحدا قط أجود حديثا من مالك بن أنس"³⁶.

وقال وهيب بن خالد: "أتينا الحجاز فما سمعنا حديثا إلا تعرف وتنكر إلا حديث مالك بن أنس"³⁷.

29 - نفسه، 64/1.

30 - نفسه، 63/1.

31 - نفسه، 64/1.

32 - أسماء شيوخ مالك لابن خلفون، (تحقيق: رضا بو شامة الجزائري، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م)، ص: 92.

33 - التمهيد لابن عبد البر، 64/1.

34 - المسالك في شرح موطأ مالك، لأبي بكر بن العربي، (تحقيق: محمد بن الحسين السليمان وعائشة بنت الحسين السليمان، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م)، 67/1.

35 - تهذيب الأسماء واللغات للنووي، (تحقيق: فريق إدارة الطباعة المنيرية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ت)، 77/2.

36 - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، (الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند - دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1271هـ/1952م)، 13/1.

37 - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، 13/1.

وقال يحيى بن معين: "مالك أمير المؤمنين في الحديث"³⁸.

حيازة الإمام مالك قصب السبق في التصنيف في الحديث بتأليف كتابه الموطأ

إن من مظاهر تلك المكانة التي تحتلها السنة في حياة مالك وريادته في الحديث وإمامته فيه، ما ناله من شرف السبق في التصنيف في الحديث؛ وذلك بتصنيف كتابه الموطأ الذي يجمع فيه بين الحديث والفقه والفتيا، والذي يعتبر أول مصنف حديثي في الإسلام، بل أول تدوين للحديث والفقه، وأول كتاب جمع الحديث مبوباً مدوناً،³⁹ ومنه اقتبس الأئمة المجتهدون، وعلى هديه ومنهجهم سار المؤلفون من أصحاب المذاهب وأئمة الحديث والفقه والفكر عامة.

قال أبو شجاع الديلمي صاحب (مسند الفردوس): "هو أول كتاب صنف في الإسلام، وعلق على باب الكعبة بسلسلة الذهب"⁴⁰.

ويرى الزواوي أيضاً أن مالكا فتح الباب للمؤلفين بتأليفه للموطأ؛ ثم أورد اعتراضاً قال فيه: "فإن قيل: كيف قلتم: إن مالكا فتح الباب للمؤلفين، وقد ألف قبله جماعة؟... قلنا: أولئك لم تكن تأليفهم على مثل الموطأ، في الجمع بين الحديث والأثر والفقه وصحيح النظر وترتيب الكتاب ووضع التراجم وحسن السياق في التأليف، وترتيب التصنيف. وهذا مما لم يسبق مالكا أحد إليه ولا وقع نظره قبله عليه، فلذلك ظهر تأليفه واشتهر، وشاع ذكره وانتشر"⁴¹.

أما منهج الإمام مالك في تأليف كتاب (الموطأ) فهو يجمع بين الحديث والفقه، فيذكر الأحاديث الواردة في المسألة الواحدة، ثم يذكر عمل أهل المدينة، وبعدها يعرض لآراء الصحابة والتابعين، ثم يسوق رأيه مبيناً ومرجحاً.

38 - غرائب حديث الإمام مالك بن أنس، لابن المظفر، (تحقيق: رضا بن خالد الجزائري، الناشر: دار السلف، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م)، ص: 116.

39 - انظر: (عمل أهل المدينة مظهر اجتهاد مالك وعبقريته)، ليوسف الكتاني، بحث منشور بمجلة دعوة الحق، عدد 340، رمضان شوال 1419هـ/يناير - فبراير 1999م، ص: 78.

40 - البدر المنير لابن الملقن، (تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون، الناشر: دار الهجرة، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م)، 1/295.

41 - كتاب مناقب الإمام مالك، لعيسى بن مسعود الزواوي، (طبع في مقدمة المدونة الكبرى للإمام سحنون، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1415م)، ص: 4.

قال رحمه الله موضحاً منهجه في تأليفه لهذا الكتاب وبيان ما اشتمل عليه من الأحاديث والآثار قائلاً: "فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الصحابة والتابعين ورأيي. وقد تكلمت برأيي وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ولم أخرج من جملتهم إلى غيره"⁴².

موطأ الإمام مالك، أول المصادر الحديثية دخولا إلى المغرب الأقصى.

إن دخول الحديث والمصنفات الحديثية إلى المغرب مرتبط في بدايته بتأسيس الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى، التي تمسكت بالمذهب المالكي منذ أوائل عهدها.

وبذلك يكون الأدارسة قد احتضنوا المذهب المالكي، باحتضانهم للوافدين من القرويين والأندلسيين الذين كان لهم دور حاسم في نشره وتوطيده في فاس، وفي سائر ربوع المغرب الأقصى فيما بعد.

وفي أكناف الموطأ وأحضان مذهب مالك تأسست الدولة الإدريسية بالمغرب، وهذا مما يفسر في نظري سبب ارتباط المغاربة بالإمام مالك وبموطئه، إضافة إلى أسباب أخرى موضوعية ومذهبية وروحية.

وهذا من الأمور الذي جعلت العمل مرتبطاً بدليله في المدرسة المالكية المغربية منذ أول يوم، حيث لم يفصل بين الحديث والفقه، إلا في بعض الفترات من تاريخ الدولة المرابطية والمرينية.

يقول محمد بن جعفر الكتاني: "وعلى مذهبه (أي مذهب مالك) كان إدريس وجميع العلماء من أهل المغرب الأقصى، بسبب تقليد إدريس لمالك، وتحصيل كتابه الموطأ وحفظه له. وبذلك يكون أول من دعا المغاربة إلى مذهب مالك وقراءة الموطأ"⁴³.

وهو نفس ما ذهب إليه يوسف الكتاني - رحمه الله - إذ اعتبر الموطأ أول كتاب حديثي نقل إلى المغرب، فقال: "وباستقطاب المذهب المالكي في المغرب واتخاذ المذهب الرسمي للدولة، اتجه

42 - ترتيب المدارك للقاضي عياض، (تحقيق: ابن تاويت الطنجي وعبد القادر الصحراوي ومحمد بن شريفة وسعيد أحمد أعراب، الناشر: مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى)، 73/1.

43 - الأزهار العطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، لمحمد بن جعفر الكتاني، (طبعة حجرية، تحمل طابع خزانة جامعة هارفارد الأمريكية "Harvard university Library"، بتاريخ 9 مارس 1965م)، ورقة: 131.

الاهتمام إلى كتاب (الموطأ) الذي يعتبر أول الكتب الحديثية المنقولة إلى المغرب، والمدرسة فيه خاصة⁴⁴.

وكان أول من أدخل الموطأ إلى المغرب الأقصى هو القاضي عامر بن محمد القيسي، الذي رواه عن مالك، فسمعه منه إدريس الأول وغيره من فقهاء وقته⁴⁵.

ثم أصبح منذ ذلك الحين - كما يقول الدكتور يوسف الكتاني - المادة الأساسية الأولى للدراسة والتعليم والفقه والاستنباط، واحتل زوايا القرويين، وسائر حلقات الدرس فيها وفي غيرها⁴⁶.

ولهذا أشار محمد بن جعفر الكتاني إلى أن إدريس الثاني قد كان له الفضل في ترسيخ المذهب المالكي بالمغرب وقراءة الموطأ به، والدليل على ذلك اختياره لعامر القيسي لقضاء فاس، بعد أن وفد عليه من الأندلس، وكان "رجلا صالحا فقيها، سمع من مالك وسفيان الثوري، وروى عنهما، ثم خرج إلى الأندلس برسم الجهاد"⁴⁷.

وهكذا ظل المغاربة منذ أول الأمر مشغولين بالموطأ، متوجهين إليه بكليتهم، في حلهم وترحالهم، بنقل أحكام فروعهم والتثبت من مسأله الفقهية، وذلك باعتباره الكتاب الأساسي للمذهب، وأول كتب الحديث الواصلة إليهم. ولم تتوجه أنظارهم إلى بقية كتب الحديث وتناولها بالدرس والتمحيص، حتى حل القرن الرابع الهجري، وانتهى بهم الأمر إلى تركيز مذهب مالك في هذه الربوع⁴⁸.

44 - انظر: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ليوسف الكتاني، (الناشر: دار لسان العرب، بيروت، د. ت)، 22/1؛ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، (الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1995م)، 406/1.

45 - انظر: الأزهار العاطرة، ورقة: 30؛ مباحث في المذهب المالكي في المغرب للجديدي، (الناشر: مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 1993م)، ص: 19؛ التعريف بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال لابن الحذاء القرطبي، (تحقيق: محمد عز الدين المعيار الإدريسي، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية، الطبعة الأولى، 2002م)، مقدمة المحقق، ص: 89.

46 - مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ص: 23.

47 - الأزهار العاطرة الأنفاس، ورقة: 131.

48 - انظر: البخاري واهتمام أهل المغرب به وبالجامع الصحيح، لمصطفى كمال التازي، (بحث منشور بمجلة دعوة الحق، السنة: 16، العدد: 09، 1975م)، ص: 109.

منزلة أصل "السنة" من بقية أصول مذهب مالك

من الطبيعي أن يسير الإمام مالك في فهمه للسنة على ما سار عليه السلف وعامة المحدثين الذين كان من أئمتهم وأقطابهم، المتمثلة في السنة المرفوعة، سواء كانت متواترة أو خبر آحاد، وهي بذلك شاملة لخمسة أدلة من أصول الاستدلال عند مالك كالكتاب الكريم، كما نص على ذلك عالم فاس أبو محمد صالح المسكوري، وهي نص السنة وظاهر السنة، ودليل السنة وهو مفهوم المخالفة، ومفهوم السنة، وتنبية السنة.⁴⁹

وأصل السنة عند مالك يشمل أيضا ما يمكن تسميته بالسنة الأثرية، وهي فتاوى الصحابة وأقضيتهم، وعمل أهل المدينة وأعرافهم، وهو بهذا المعنى يعطي لعمل أهل المدينة وقول الصحابي مكانة خاصة، ويجعلها من قبيل السنة، وكذلك فتاوى كبار التابعين الآخذين عنهم، كما في الأخذ بسد الذرائع حماية للسنة من وسائل الابتداع.

ولهذا لست أبالغ في القول إن الأصول النقلية لفقه مالك اعتمدت أساسا - إضافة إلى القرآن الكريم - على السنة الأثرية، وما تقتضيه من مسaire العمل، ومن اتخاذ عمل أهل المدينة، عملا مفسرا للسنة، واعتبار فتاوى الصحابة وأقضيتهم سنة متبعة.

وهذا بعض بيانٍ لاندراج هذه الأصول الفرعية عند الإمام مالك تحت أصلها العام، وهو السنة النبوية.

عمل أهل المدينة ومنزلته من السنة

المراد بأهل المدينة الصحابة الذين استوطنوا المدينة حياته صلى الله عليه وسلم وإن استوطنوا غيرها بعده، والتابعون الذين استوطنوها مدة يطلعون فيها على الوحي، فهؤلاء ما صدر عنهم من تصرفات في الميدان التشريعي واتفقوا على العمل به، يسمى عمل أهل المدينة.

49 - البهجة في شرح التحفة، للتسولي، (تحقيق: محمد عبد القادر شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م)، 219/2. وانظر تفصيل هذه الأدلة الخمسة وحقيقتها ومراتب الاستدلال بها في: منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي: تأسيس وتأصيل، لمولاي الحسين أحيان، (الناشر: دار البحوث والدراسات الإسلامية، دبي، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م)، 126/1-226.

وعمل أهل المدينة من أمهات المسائل عند الإمام مالك وهو حجة قوية عنده، يقدمه على خبر الآحاد، لأن ذلك الرأي المشهور المعمول به في المدينة هو سنة مأثورة مشهورة، في حكم المتواتر عنده، ومعلوم أن السنة المتواترة مقدمة على خبر الآحاد.

ومما يتضح به أن الإمام مالكا يرى أن إجماع أهل المدينة حجة، ما ورد في رسالته إلى الليث بن سعد؛ حيث كتب إليه قائلا: "اعلم - رحمك الله - أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا وببلدنا الذي نحن فيه،... فإنما الناس تبع لأهل المدينة، إليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن، وأجل الحلال، وحُرِّم الحرام؛ إذ رسول الله بين أظهرهم، يحضرون الوحي والتنزيل، ويأمرهم فيطيعونه، ويسُنُّ لهم فيتبعونه، حتى توفاه الله واختار له ما عنده - صلوات الله عليه ورحمته وبركاته، ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولي الأمر من بعده، فما نزل بهم مما علموا أنفدوه، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم وحدثا عهدهم، وإن خالفهم مخالفٌ أو قال أمراً غيرَه أقوى منه وأولى، ترك قوله وعمل غيره، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل، ويتبعون تلك السنن، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أرَ لأحدٍ خلافه"⁵⁰.

ومن الأدلة التي احتج بها المالكية على حجية عمل أهل المدينة:

أولاً: بالآثار التي جاءت في فضل المدينة؛ من ذلك:

الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرُزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»⁵¹. قال القرطبي: "فيه تنبيه على صحة مذهب أهل المدينة وسلامتهم من البدع وأن عملهم حجة كما رواه مالك"⁵².

الحديث المروي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها»⁵³، فقال المالكية تعليقا على هذا الحديث: على هذا لا يمكن نسبة الخطأ لإجماع أهل المدينة لأن الخطأ خبث يجب نفيه عنهم.

50 - ترتيب المدارك، 10/1.

51 - صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب: الإيمان يأرز إلى المدينة، حديث رقم: 1876.

52 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت)، 240/10.

53 - صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، حديث رقم: 1883.

ثانيا: إن المدينة هي دار الهجرة، وبها نزل القرآن وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقام صحابته.

وأهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل وبها كان من بيان النبي صلى الله عليه وسلم للوحي، وهذه مميزات ليست لغيرهم، وعلى هذا فمذهبهم مرجح على مذهب غيرهم وعملهم حجة.⁵⁴

ثالثا: اعتبار عمل أهل المدينة من قبيل الأخبار المتواترة.

ومعلوم أن الخبر المتواتر موجب للعلم القطعي، ويجب الأخذ به، فكذلك نقل أهل المدينة وما كانوا عليه من عمل. وقد عبر الإمام مالك بنفسه عن هذا الأمر فقال: "انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة كذا في نحو كذا، وكذا ألفاً من الصحابة، مات بالمدينة منهم نحو عشرة آلاف وباقيهم تفرق بالبلدان فأيهما أخرى أن يتبع ويؤخذ بقولهم؟ من مات عندهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين ذكرت؟ أو مات عندهم واحد أو اثنان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟"⁵⁵.

كما يفهم هذا أيضا من استدلاله على مسألة الترجيع في الأذان، ومسألة تحديد مقدار الصاع، بما كان عليه العمل المتوارث عند أهل المدينة.

"قال أبو يوسف تؤذنون بالترجيع وليس عندكم عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه حديث؟ فالتفت مالك إليه وقال: يا سبحان الله، ما رأيت أمراً أعجب من هذا، ينادي على رؤوس الأشهاد في كل يوم خمس مرات يتوارثه الأبناء عن الآباء من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا، أحتاج فيه إلى فلان عن فلان. هذا أصح عندنا من الحديث. وسأله عن الصاع، فقال: خمسة أرطال وثلث، فقال ومن أين قلتم ذلك؟ فقال مالك لبعض أصحابه: أحضروا ما عندكم من الصاع، فأتى أهل المدينة أو عامتهم، من المهاجرين والأنصار وتحت كل واحد منهم صاع. فقال: هذا صاع ورثته عن أبي عن جدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال مالك هذا الخبر الشائع عندنا أثبت من الحديث. فرجع أبو يوسف إلى قوله"⁵⁶.

54 - انظر: الإحكام في أصول الأحكام، للأمدي، 303/1.

55 - ترتيب المدارك، 46/1.

56 - ترتيب المدارك، 124/2، 125.

أقوال الصحابة وفتاويهم ومنزلة ذلك من السنة.

سبق وأن أثبتنا شيئاً من رسالة مالك إلى الليث بن سعد، التي صرح فيها الإمام مالك بأن الأخذ بقول الصحابة لازم، كما ذكر فيها الباعث الذي بعثه على الأخذ بأقوالهم، وهو أنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وأن الله مدح الذين اتبعوهم بإحسان، ولا شك أن الأخذ بأقوالهم اتباع لهم، وهو ممدوح في القرآن، وعهدهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قريب، وكانوا يحضرون الوحي والتنزيل، ويسن لهم النبي فيتبعونه، فهم أعلم الناس بهذا الدين، وبسُنن النبي الكريم، فالأخذ بأقوالهم أخذ بالسنة.⁵⁷

وقد اختلف المحدثون والأصوليون في تعريف (الصحابي)، فذهب المحدثون وبعض الأصوليين إلى تعريف الصحابي بأنه: "من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً ومات على إسلامه"⁵⁸، أما جمهور الأصوليين فيشترطون في الصحابي طول المجالسة،⁵⁹ من هنا نرى أن المحدثين وبعض الأصوليين يوسعون من مدلول الصحابي بخلاف جمهور الأصوليين.

والإمام مالك اختار مذهب المحدثين في تعريفه للصحابي وهو ما يؤكده ابن تيمية حيث نقل عن الإمام مالك تعريفاً للصحابي بأنه: "من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو شهراً أو يوماً أو رآه مؤمناً به فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك"⁶⁰.

أما تعريف قول الصحابي: فقد ذكر محمد يحيى الولاتي بأنه: "رأيه الصادر عن اجتهاده"⁶¹.

وهذا التعريف يرد عليه اعتراضان، أولهما: أن مفهوم الرأي يقصر قول الصحابي على القول فقط دون الفعل. وثانيهما: حصر قول الصحابي في اجتهاده، أما قول الصحابي الذي لا دخل للرأي

57 - انظر: مالك حياته وعصره آراؤه الفقهية، لمحمد أبو زهرة، (الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثانية)، ص: 229-231.

58 - تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للسيوطي، (تحقيق: نظر محمد الفارياي، الناشر: دار طيبة)، 209/2.

59 - المستصفي للغزالي، (تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1993م)، 1/165؛ فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، لابن نظام الدين الأنصاري، 158/2.

60 - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م)، 298/2.

61 - إيصال السالك في أصول الإمام مالك، للولاتي الشنقيطي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2006م)، ص: 164.

فيه أو المخالف للقياس، لا يدخل في هذا التعريف، وإن كان أغلب العلماء يعتبرونه في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والظاهر أن من ذكر ذلك التعريف لم يقصد أن يخرج منه قول الصحابي المخالف للقياس؛ لأنه يدخل في مصطلح قول الصحابي.

ولعل التعريف المناسب هو تعريف بابكر محمد الشيخ الذي عرف قول الصحابي بأنه: "ما أثر عن أحد الصحابة من قول أو فعل في أمر من أمور الدين"⁶² لأنه سليم من الاعتراضين السابقين.

حجية قول الصحابي:

اختلف العلماء في حكاية مذهب مالك في حجية قول الصحابي على رأيين أساسيين:

الأول: أن قول الصحابي ليس بحجة. وهذا القول ذكره القاضي عبد الوهاب فيما حكاه عنه الزركشي حيث قال: "وفيه [أي قول الصحابي] أقوال؛ الأول ليس بحجة مطلقاً... وزعم عبد الوهاب أنه الصحيح الذي يقتضيه مذهب مالك، لأنه نص على وجوب الاجتهاد واتباع ما يؤدي إليه صحيح النظر فقال: وليس في اختلاف الصحابة سعة، إنما هو خطأ أو صواب"⁶³.

الثاني: أن قول الصحابي حجة. وهذا القول يكاد الأصوليون من المالكية وغيرهم يطبقون على حكايته عن مالك.⁶⁴

وأصحاب هذا الرأي اختلفوا في تحديد قول الصحابي الذي هو حجة عند مالك على ثلاثة أقوال، أوردها باختصار شديد.⁶⁵

القول الأول: إن قول الصحابي حجة عند مالك مطلقاً، سواء سلم من وجود المخالف أو لا؟ وسواء كان مما لا يقال من قبل الرأي أو لا.⁶⁶

62 - أصول فقه الإمام مالك أدلته النقلية لعبد الرحمن بن عبد الله الشعلان، (الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1424هـ/2003م، الرياض السعودية)، ص: 1110.

63 - البحر المحيط للزركشي، (الناشر: دار الكتبي، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م)، 57/8.

64 - انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، (تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م)، 92/4.

65 - انظر تفصيل هذه الأقوال في: أصول فقه الإمام مالك أدلته النقلية، ص: 1129-1134.

66 - شرح تنقيح الفصول للقرافي، (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة الأولى، 1393هـ/1973م)، ص: 445؛ مالك، لمحمد أبو زهرة، ص: 263.

القول الثاني: إن قول الصحابي حجة عند مالك إذا لم يعلم له مخالف من الصحابة. وقد تبني الإمام الباجي هذا القول.⁶⁷

القول الثالث: إن قول الصحابي حجة عند مالك، إذا كان فيما لا يقال من قبل الرأي، وقد ذكر هذا القول الإمام الطاهر بن عاشور وتبناه.⁶⁸

وبتفحص هذه الأقوال يتبين رجحان الأول منها، وهو الذي يُستنبط بكل يسر من طريقة مالك في الموطأ، فلا يجد القارئ له عناء في نقل أمثلة من فتاوى الصحابة التي رواها ودونها وأخذ بها، من غير تمييز بين الاعتبار السابقة. وقد قال ابن القيم بعد حكاية الرأي الثاني عن مالك: "وتصرفه في موطئه دليل عليه"⁶⁹.

وفعلا فإن من تتبع صنيع الإمام مالك في الموطأ يجده يستدل بأقوال الصحابة كثيرا، فهي عنده بمنزلة السنة النبوية، كما أكد ذلك الشيخ محمد أبو زهرة،⁷⁰ وذلك بناء على مجموعة من الأمور، حيث إن مالكا يخصص العام بقول الصحابي، ويقيد به المطلق، ويبين به المجمل، وقد يرجحه، ويقدمه على القياس، أما النسخ به ففيه خلاف.⁷¹

وقد أحصى الباحث عبد الرحمن الشعلان عدد أقوال الصحابة وأفعالهم في نصف الموطأ فحسب، فوجدها تزيد على أربعمائة موضع، وهي لا تصلح كلها للاستشهاد على إثبات احتجاج مالك بقول الصحابي، ولكن كثيرا منها يصلح لذلك.⁷² وقد ساق خمسة عشر مثالا من الموطأ لأقوال الصحابة وأفعالهم التي أوردها مالك على سبيل الاحتجاج بها.⁷³

67 - انظر: المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي، (تحقيق: عبد المجيد تركي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 2001م)، ص: 144.

68 - انظر: حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح، للطاهر بن عاشور، (الناشر: مطبعة النهضة، تونس، الطبعة الأولى، 1341هـ)، 219/2.

69 - إعلام الموقعين، 92/4.

70 - مالك، لأبي زهرة، ص: 236.

71 - انظر تفصيلها في: أصول فقه الإمام مالك: أدلته النقلية، ص: 1135 - 1145.

72 - انظر: أصول فقه الإمام مالك أدلته النقلية، ص: 1121.

73 - انظر: أصول فقه الإمام مالك أدلته النقلية، ص: 1121 - 1128.

وبهذا يظهر أن مالكا يأخذ بأقوال الصحابة على اعتبارها مصدرا للفقه، وأنها حجة، وأنها شعبة من شعب السنة النبوية، ولذلك كان العمل بها عملا بالسنة، والخروج عليها ابتداعا في الدين. فتاوى كبار التابعين.

لم يجعل الإمام مالك فتاوى كبار التابعين وأقوالهم في مقام أقوال الصحابة واعتبارها سنة، ولكن كان لأقوالها اعتبار عنده، إما لمقامهم من الفقه، أو لمناقبهم وسابقتهم في الإسلام، كعمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري ونافع مولى ابن عمر، ومن هم في مثل هذه الدرجة من العلم بالرواية والدراية، فكان يقبل ما يقولونه من فقه إذا كان أساسه سنة، أو اتفق مع العمل، وكان يستغني أحيانا باجتهدهم إذا اطمأن إليه ولم يجد مخالفا. والأمثلة على ذلك كثيرة.⁷⁴ وقد نبه الشيخ أبو زهرة على أمرين يجب اعتبارهما عند مالك وهو يأخذ بأقوال بعض التابعين.

الأول: أنه كان يوازن بين قولهم وما ورد في السنة المشهورة والكتاب الكريم بظاهره ونصه، وما عُلم من الأصول العامة للشرع، وما اشتهر من أقيسة سليمة مقررة ثابتة، وما عليه عمل أهل المدينة، وما جرى عليه الناس.

الثاني: أنه لم يعتبر أقوال التابعي من السنة، بسبب كونه تابعا؛ كأقوال الصحابة الذين لازموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاهدوا مواقع التنزيل وأدواره وأدركوا مراميها؛ ولم يأخذ أقوال التابعين تقليدا واتباعا، بل لأنه في دراسته انتهى إلى موافقتها، ولم يجد ما ينقضها، ولأولئك التابعين مقام الشيوخ الذين تخرج على فقههم، فأخذ بأقوالهم لأنه لم يجد ما يبطلها، وأداه اجتهاده إلى ما يوافقها فارتضاها ونسبها إليهم.⁷⁵

سد الذرائع وعلاقته بحماية السنة.

من بين الأصول الشرعية التي ميزت الاجتهاد الفقهي في المذهب المالكي نجد: سد الذرائع، فقد أعمله المالكية في العديد من فتاويهم واختياراتهم المذهبية، واشتهروا بالتوسع في تطبيقه حتى نسب إليهم.

74 - انظر: مالك، لأبي زهرة، ص: 340.

75 - انظر: مالك، لأبي زهرة، ص: 342-342.

والذريعة عند الأصوليين هي: الوسيلة أو الطريقة الموصلة إلى الشيء المراد أو المقصد، ومعنى سدها: حسم مادة وسائل الفساد دفعاً لها، فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة منع من ذلك الفعل، وهو مذهب مالك.⁷⁶

قال القرطبي رحمه الله: "التَّمَسُّكُ بِسَدِّ الذَّرَائِعِ وَحمايتها هو مذهب مالك وأصحابه، وأحمد بن حنبل في رواية عنه، وقد دلَّ على هذا الأصل الكتاب والسُّنة"⁷⁷.

ويمكن اعتبار ما سبق الحديث عنه من موقف الإمام مالك من الابتداع في الدين ومنهجه في معاملة أهل البدع، في جانب منه، تطبيقاً لأصل سدِّ الذَّرَائِعِ؛ حسماً للوسائل المفضية للوقوع في الشُّرك أو الابتداع؛ قال الطُّرطوشي: "اعلم أنَّ الحرف الَّذِي يدور عليه هذا المذهب إنَّما هو حماية الذَّرَائِعِ وألَّا يزداد في الفروض ولا في السُّننِ المسنَّنة، وألَّا يعتدُّ أيضاً في النَّوافلِ المبتدأة أنَّها سنن مؤقتة"⁷⁸.

ضوابط اعتبار السنة للاحتجاج بها عند الإمام مالك

يمكن أن أحدد معالم الاحتجاج بالسنة عند الإمام مالك وضوابطه في ذلك، من خلال حديثي عن النقاط التالية:

منهج الإمام مالك في انتقاء الرجال ومروياتهم

كان الإمام مالك رحمه الله شديد الانتقاء للرواة، يختار الرجال الذين يروي عنهم اختيار المتعرف لأحوالهم، الخبير بصفاتهم، البصير بنقدتهم، العالم بأهليتهم، اشتهر قوله وفعله بذلك، وشهد له الجميع.

فمن أقوال مالك وأفعاله الدالة على ذلك:

76 - شرح تنقيح الفصول، للقرافي، ص: 448.

77 - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ/1964م)، 57/2.

78 - الحوادث والبدع، لأبي بكر الطرطوشي، (تحقيق: علي بن حسن الحلبي، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، 1419هـ/1998م)، ص: 66.

ما رواه ابن أبي أويس قال: "سمعت مالكا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه. لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين، وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن"⁷⁹.

وما رواه بن أبي حاتم الرازي بسنده قال: "كان مالك يقول: لا يؤخذ العلم من أربعة، رجل معلن بالسفه وإن كان أروى الناس، ورجل يكذب في أحاديث الناس إذا حدث بذلك وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، وشيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به"⁸⁰.

ومن أقوال العلماء التي تشهد له بذلك:

قال ابن عيينة: "كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ولا يحدث إلا عن ثقة"⁸¹.

وقال علي بن المديني عن سُفيان بن عُيينة: "ما كان أشد انتقاد مالك للرجال وأعلمه بشأنهم"⁸².

وقال ابن المديني أيضاً: "قليل لسُفيان: أيهما كان أحفظ سُمي أو سالم أبو النضر؟ قال: قد روى مالك عنهما"⁸³.

وقال ابن المديني أيضاً: "كل مدني لم يحدث عنه مالك - ففي حديثه شيء، لا أعلم مالكا ترك إنساناً إلا إنساناً في حديثه شيء"⁸⁴.

79 - ترتيب المدارك، 136/1.

80 - الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، (الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند - دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1271هـ/1952م)، 32/2.

81 - ترتيب المدارك، 150/1.

82 - الجرح والتعديل، 23/1.

83 - تهذيب التهذيب، لابن حجر، (الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، 1326هـ)، 10/6.

84 - شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي، (تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م)، 185/1.

وقال ابن عدي: "إن مالكا لم يكن يروي إلا عن ثقة"⁸⁵.

وقال أبو حاتم الرازي: "مالك نقي الرجال، نقي الحديث"⁸⁶.

وقال البخاري "ما أعرف لمالك بن أنس رجلاً يروي عنه مالك يستحق أن يترك حديثه غير عطاء الخراساني"⁸⁷.

وقال أبو سعيد الأعرابي: "كان يحيى بن معين يوثق الرجل لرواية مالك عنه، سئل عن غير واحد فقال: ثقة روى عنه مالك"⁸⁸.

وقال أبو حاتم الرازي في داود بن الحصين الأموي: "ليس بالقوي، ولولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه"⁸⁹.

وقال ابن حبان: "كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة، وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث، ولم يكن يروي إلا ما صح، ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك"⁹⁰.

وقال ابن حجر في بعض الرواة: "قد اعتمده مالك مع شدة نقده"⁹¹.

شروط الإمام مالك في رُواة الحديث

لم يصرح الإمام مالك بشروطه في الراوي ليقبل حديثه، إلا أنه من خلال ما سبق بيانه في طريقة انتقائه للرجال، وما شهد له به نقاد الحديث في ذلك، يمكن القول بأنه يشترط في الراوي عن الإمام مالك:

85 - تهذيب التهذيب، 442/9.

86 - شرح علل الترمذي، 183/1.

87 - شرح علل الترمذي، 100/1.

88 - إسعاف المبطل برجال الموطأ، للسيوطي، (تحقيق: موفق فوزي جبر، الناشر: دار الهجرة، بيروت)، ص: 11.

89 - الجرح والتعديل، 409/3.

90 - الثقات لابن حبان، (تحقيق: محمد عبد المعيد خان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى، 1393هـ/1973م)، 459/7.

91 - التلخيص الحبير، لابن حجر، (الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1989م)، 10/3.

أن يكون حين السماع مميزاً سواء كان بالغاً أو غير بالغ.⁹²

أن يكون عند التحديث عاقلاً بالغاً مسلماً عدلاً، فلا يقبل من غير عدل ولا يقبل من مجهول، بل ويشترط ما هو أكبر من مجرد العدالة، فلا يقبل من سفيه فيه جهل وحمق وعدم اتزان ولو مع وجود العبادة والتقوى.⁹³

لا يثبت كذب الخبر لمخالفته لما علم بالتواتر أو الضرورة أو الدليل القاطع، أو أن يكون شأنه أن يتواتر ولم يتواتر.⁹⁴

أن لا يكون صاحب بدعة يدعو إلى بدعته، ومن هؤلاء، أهل الأهواء وأصحاب الفرق المختلفة.⁹⁵

أن تكون له معرفة وفقه بمعاني الحديث ومراميهِ وغاياته، ولذلك لم يقبل رواية من لم يعرف ما يحمل، وقد رد حديث كثير ممن عرف بالتقوى والورع لقلّة فقههم بهذا العلم.⁹⁶

أن يثبت طلب الراوي للحديث واشتغاله به ومجالسته للعلماء.⁹⁷

خبر الأحاد عند الإمام مالك.

خبر الواحد كما عرفه الإمام القرافي: "هو خبر العدل الواحد أو العدول المفيد للظن"⁹⁸. وكما عرفه ابن الحاجب بأنه: "خبر لم ينته إلى التواتر"⁹⁹.

92 - تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزي، (تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ-2003م، "مطبوع مع: الإشارة في أصول الفقه") ص: 180.

93 - تقريب الوصول، ص: 180؛ مالك، لأبي زهرة، ص: 213.

94 - تقريب الوصول، ص: 180.

95 - مالك، لأبي زهرة، ص: 213؛ أصول فقه الإمام مالك، ص: 625.

96 - ترتيب المدارك، 1/125؛ مالك، لأبي زهرة، ص: 213؛ أصول فقه الإمام مالك، ص: 627.

97 - إسعاف المبطأ، ص: 4؛ أصول فقه الإمام مالك، ص: 627.

98 - شرح تنقيح الفصول، ص: 356.

99 - تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل، لأبي زكريا الرهوني، (تحقيق: الهادي بن الحسين شيبلي، ويوسف الأخضر، الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي، الإمارات، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م)، 1/654.

وخبر الواحد عند الجمهور حجة موجبة للعمل؛ كما أنه أيضا عند مالك حجة موجبة للعمل. نص على ذلك طائفة من علماء المالكية، منهم: ابن القصار وأبو تمام البصري والباجي وابن عبد البر وغيرهم.

قال ابن القصار: "ومذهب مالك - رحمه الله - قبول خبر الواحد العدل وأنه يوجب العمل دون القطع على غيبه، وبه قال جميع الفقهاء، وقد احتج بذلك في... مواضع كثيرة"¹⁰⁰.

ومعنى هذا أن خبر الآحاد عند مالك يوجب العلم والقطع بوجوب العمل به، أما مضمونه فهو أمر مظنون غير مقطوع به. أي أنهم يميزون بين العلم بوجوب العمل، والعلم بصحة الخبر وقطعيته. وهو ما صرح به أبو تمام البصري حيث قال: "مذهب مالك في أخبار الآحاد أنها تُوجب العمل دون العلم"¹⁰¹.

وقال الباجي: "العمل بأخبار الآحاد معلوم، ووجوبه بالقطع واليقين، وأما ما يتضمنه من الأخبار فمظنون"¹⁰².

وقال ابن عبد البر: "وأصل مذهب مالك رحمه الله والذي عليه جماعة أصحابنا المالكيين أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل كما يجب بالمسند سواء"¹⁰³.

وقال القرافي: "والإجماع المروي بالآحاد حجة، خلافا لأكثر الناس لأن هذه الإجماعات وإن لم تفد القطع فهي تفيد الظن، والظن معتبر في الأحكام كالقياس وخبر الواحد..."¹⁰⁴.

وقال الخطّاب "والآحاد) هو ما لا يبلغ إلى حد التواتر (هو الذي يوجب العمل) بمقتضاه (ولا يوجب العلم) لاحتمال الخطأ فيه، ولو بالسهو والنسيان"¹⁰⁵.

100 - مقدمة في أصول الفقه، لابن القصار المالكي، (تحقيق: مصطفى مخدوم، الناشر: دار المعلمية، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م)، ص: 212-213.

101 - إحكام الفصول للباجي، 329/1.

102 - نفسه، 329/1.

103 - التمهيد، 2/1.

104 - الذخيرة، للقرافي، (تحقيق: محمد حجي وسعيد أعراب محمد بوخيزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م)، 115/1-116.

105 - قرة العين لشرح ورقات إمام الحرمين للخطّاب، (تحقيق: أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، الناشر: دار الفضيلة، القاهرة، د.ت)، ص: 113.

وتجدر الإشارة إلى أن وجوب العمل بخبر الواحد عند مالك، متوقف على توفر الشروط التي اشترطها فيمن يُقبل حديثه. وهو ما نص عليه ابن جزي بقوله: "وأما نقل الآحاد... وهو حجة عند مالك وغيره بشروط"¹⁰⁶. - وقد سبق بيان تلك الشروط -.

والأمثلة من فقه مالك في هذا الأمر كثيرة جداً، فإنه بنى أقواله بوجوب كثير من الأمور وتحريم أخرى على أخبار الآحاد، وهذا يدل على حجية خبر الآحاد ووجوب العمل به عند مالك رحمه الله.

موقف الإمام مالك من الاحتجاج بالمرسل وشروطه.

تُنسب إلى الإمام مالك ثلاثة أقوال في مسألة الاحتجاج بالمرسل:

الأول: المرسل ليس بحجة. وقد تفرّد بنقل هذا القول الحاكم النيسابوري.¹⁰⁷ وهو نقل وصفه بعض العلماء بالغرابة.

قال القاضي عياض: "والمعروف من مذهب مالك وأهل المدينة خلاف ما ذكر". وقال ابن حجر: "وهو نقل مستغرب والمشهور خلافه"¹⁰⁸.

الثاني: مالك لا يقبل إلا مراسيل أهل المدينة. وهو قول انفرد به أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذى.¹⁰⁹

الثالث: أن المرسل حجة. وهو المشهور عن مالك نقله عنه جماعة من أهل العلم مالكية وغيرهم.

ويظهر أن هذا القول هو مذهب مالك وأنه أرجح من القول الأول ويخصّص بالقول الثاني، وهو قول ابن العربي أن المرسل المحتجّ به ليس على إطلاقه، بل هو مرسل أهل المدينة خاصة لا

106 - تقريب الوصول إلى علم الأصول، ص: 180.

107 - انظر: المدخل إلى كتاب الإكليل، للحاكم النيسابوري، (تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الدعوة، الإسكندرية)، ص: 44.

108 - النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر، تحقيق: (ربيع المدخلي، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، الطبعة الأولى، 1404هـ/1984م)، 569/2.

109 - عارضة الأحوذى، لأبي بكر بن العربي، (تحقيق: جمال مرعشي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م)، 246/1.

غيرهم؛ وذلك أن هذا المرسل الذي لم يذكر إسناده وعرف في المدينة واستمر العمل به إلى زمن مالك يكون في موضع الاعتبار؛ لأنه يتقوى بعمل أهل المدينة؛ أما المراسيل في البلدان الأخرى فلا مؤيد لها من الخارج فلا يكون لها ذلك الاعتبار. وإلا فما الفرق بين مرسل أهل الكوفة ومرسل أهل المدينة.¹¹⁰

ويتقوى ترجيح القول الثالث بأمور، منها:

واقع الموطأ الذي يتضمن شواهد كثيرة على إرسال مالك للحديث والاحتجاج به. وقد ذكر الباجي لتلك الشواهد أمثلة كثيرة فقال: "وقد احتج به في مواضع كثيرة حيث أرسل الخبر في اليمين مع الشاهد، وعمل به، وكذلك أرسل الحديث في الشفعة للشريك وعمل به، وكذلك أرسل الخبر في ناقة البراء، وسائر جنائيات المواشي وعمل بذلك"¹¹¹.

إطباق جمهور العلماء من المحدثين والأصوليين على نقل هذا القول عن مالك، في مقابل تفرد الحاكم نقل الأول وإغرابه به.¹¹²

غير أن حجية المرسل عند مالك مشروطة بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون المرسل عدلاً. وهذا الشرط ذكره: ابن عبد البر، والقاضي عبد الوهاب، والخطيب البغدادي، والقرافي، والزركشي، وغيرهم.¹¹³

الشرط الثاني: أن يكون المرسل محترزاً لا يروي إلا عن الثقات. وهذا الشرط ذكره الباجي وابن عبد البر وأبو العباس القرطبي وغيرهم.¹¹⁴

وهذان الشرطان يؤكدان أن مالكا لا يحتج بمطلق المرسل الشامل لسائر أنواع الانقطاع وفق الاصطلاح الأصولي، وإنما يحتج بمرسل الثقة العدل المتيقظ العارف بما يُرسل.

110 - انظر: منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي تأسيس وتأصيل، 445/1.

111 - الإشارة في أصول الفقه، للباجي، (تحقيق: محمد حسن إسماعيل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م)، ص: 27.

112 - انظر: منهج الاستدلال بالسنة في المذهب المالكي تأسيس وتأصيل، 446/1؛ أصول فقه الإمام مالك، ص: 725-727.

113 - انظر: التمهيد، 17/1؛ البحر المحيط للزركشي، 4/413؛ الكفاية، ص: 547؛ تنقيح الفصول، ص: 379.

114 - انظر: الإشارة في أصول الفقه، ص: 27؛ التمهيد، 17/1.

ديوان العدد

مَلِكُ الشَّعْبِ دَوْمًا يَغْتَنِي !

الشاعر: محمد البلغمي

واملا الآفاق شَدُواً وَغَنَّا !
 !تبعث الشكر وأطيباب المنى
 لمليك عرشه في قلبنا
 شَرَفَتْ قَدرا وطابت مَعْدِنَا!
 من يد الغاشم قد حررنا
 "بمسير الفتح" قد وَحَدنا
 منها العزم وفيما مؤمنا
 بمداد من فخار دُونَا
 ولِدُورِ العلم كم صرحا بنى
 أين نَدُّ لَهُ بالشعب اعتنى؟؟
 ووقى الشعب وصان الوطننا
 حين نادى للتآخي بيننا
 شعبه المخلص موفور الغنى
 يَبْذُلُ العونَ وَيُسَدِّي المِنَّا
 وأجيرٍ كان يشكو من عَنَّا
 واكتسابُ الحمدِ.. نعمَ المَقْتَنَى
 قَدْ غَدَا إذا الصَّعْبُ بأرضي هينا

أُنْقِرِ العودَ، وَشَنَّفْ سَمْعَنَا
 واجنِ من روض التهاني باقَّةً
 وارفع الحُب ولاء خالدا
 ملك من أسرة محبوبَة
 جده "الخامس" والشهم الذي
 وأبوه "الحسن الثاني" الذي
 وهو في النَّهْجِ مَضَى مستلها
 خط سفرا في بلاد زاهيا
 كم أقامت يده من مسجد
 ملك بالشعب دَوْمًا يَغْتَنِي
 قد تصدى "لوبياء" فاتك
 سبق الأحداث في خطوته
 وسخا بالمال ثَرًّا كي يرى
 ومَضَى الشعب به مقتديا
 كم حمى من أسرة معوزة
 جَهِدَتْ كل الدنى أعمالَه
 يا سَمَوِيَّ المصطفى، يا من به

نبذل الروح ونهدي البدنا
 نعبد "الله" ونحمي "الوطنا"
 أمر الدين له أن نذعنا!
 في صفاء وأمان وهنا
 ولي العهد الأمير "الحسنا"
 شعبك المخلص آيات الشنا
 وزها في الأفق بدر بالسنا!

إننا جنود.. إذا ناديتنا
 تحت عرش، وشعار خالد
 و"ملك" ولي الأمر الذي
 فلتدم للشعب ذخرا، ولتعش
 وليبارك ربنا نجل العلى
 وتقبل أيها "السادس" من
 ماشدا في العيد قلب شاعر

لِنَفَاخِرِ الْوَطَنِ

شكري الأجرابي

يَا مَوْطِنِي يَا مَنْ أَنَا بِهِ مُغْرَمٌ
 مُتَوَهِّجٌ دَوْمًا لَدَيْ مُطَهَّرٍ
 لِرِحَابِهِ الْغَرَاءِ يَرْزُقُو الْمُسْلِمَ
 نَسِيمَكَ حَنَانٌ وَمَاؤُكَ بَلَسَمٌ
 حَتَّى تَخَالَكَ فِي جَنَانٍ تَنْعَمُ
 مِنْ خَالِقٍ عِنْدَ الرِّضَى يَتَكَرَّمُ
 كَانَ الْعَدِيدُ بِهَذِيهَا يَتَأَمَّمُ
 فِي الْغَرْبِ ظِلٌّ شُعَاعُهَا يَتَضَرَّمُ
 بِهَوَاهُ كُلُّ مَوْاطِنٍ يَتَرَنَّمُ
 وَرَصَانَةٌ أَثْنَى عَلَيْهَا الْعَالَمُ
 أَضْحَى لِمَنْ سَاسَ الْبَرِّيَّةَ يُلْهِمُ
 تَنْفِيذُ كُلِّ بُنُودِهَا مُتَنَاقِصُ
 آثَارُ فِي جَعَلِ الْوَبَاءِ يُلْجَأُ
 فَإِذَا الْوَبَاءُ مُحَاصِرٌ وَمَكَمَّمُ
 لِيَكُونَ جَاهِزَةً لِمَا قَدْ يُدْعَى
 لَمْ يُنْسَ مَنْ مِنْ دَخَلِهِ قَدْ يُجْرَمُ
 حَتَّى يَكُونَ الْاِقْتِصَادُ مُدْعَى

فِي الْقَلْبِ حُبُّكَ رَاسِخٌ مُتَحَكِّمٌ
 يَا مَغْرِبًا فِي الْعَيْنِ إِنَّكَ مُشْرِقٌ
 لُقِّبْتَ "بِالْأَقْصَى" وَإِنَّهُ مُسْجِدٌ
 فِيكَ الْإِقَامَةُ وَالْمَعِيشَةُ نِعْمَةٌ
 فِيكَ الْمَلَاخَةُ وَالْبَهَاءُ تَجْمَعَا
 فَالْحَمْدُ لِلْمَنَّانِ إِنَّكَ مَنَّةٌ
 يَا دَوْلَةً شَهِدَ الْجَمِيعُ بِأَتَمِّهَا
 شَكَّلْتَ لِلْإِسْلَامِ أَحْصَنَ قَلْعَةٍ
 أَهْدَى لَكَ الرِّزَاقُ أَلْمَعَ قَائِدِ
 قَادَ الْبِلَادَ بِحِكْمَةٍ وَحَصَافَةٍ
 تَذِيرُهُ أَمْرَ الْوَبَاءِ نَمُودَجِ
 رُزْنَامَةٍ وَضَعْتَ بِدَقَّةٍ سَاعَةٍ
 غَلَقَ الْخُدُودَ بِسُرْعَةٍ كَانَتْ لَهُ
 وَالْحَجَرُ بَاتَ مُفْعَلًا وَحَقِيقَةً
 وَبِسُرْعَةٍ حَتَّى الْمَوَارِدُ عُبِّئَتْ
 حَتَّى الْمَعِيشُ حَظَى بِقِسْطٍ وَافِرِ
 أَرْبَابُ شُغْلٍ خُصِّصُوا بِعِنَايَةٍ

وَتَعَبَّاتٌ فِرْقُ الشِّفَاءِ بِحِنْكَةٍ
وَأَوَامِرُ صَدَرَتْ لِحَيْشٍ بِاسِلِ
وَتَضَافَرَتْ هِمَمٌ تَوَاقِبُ خُطَّةً
دَرَكٌ وَأَمْنٌ فِي الطَّرِيقِ وَسُلْطَةٌ
بِالْوَعْظِ وَالتَّحْسِيسِ تَعْمَلُ تَارَةً
فِرْقُ النَّظَافَةِ فِي حِمَاسٍ أَدْرَكَتْ
كَانَ الْوَبَاءُ مُصِيبَةً فِي طَيْهِهَا
قِيمُ التَّضَامُنِ وَالْوَفَاءِ تَضَافَرَتْ
بُورُكُتَ يَا وَطَنًا يَحِقُّ لِشَعْبِهِ
لَكَ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ
أَنْتَ السَّجَلُ لَذِكْرِيَّاتٍ أَدْبَرَتْ
فَاللَّهُ يَحْفَظُ مَوْطِنِي وَمَلِيكَهُ

لِلضَّرِّ فِي كُلِّ الْبِلَادِ تُقَاوِمُ
هَبَّتْ مَصَالِحُ طِبِّهِ لَهَا تَدْعَمُ
حَتَّى تُدَبِّرَ كُلَّ شَيْءٍ يَلْزَمُ
سَهَرَتْ عَلَى تَطْيِيقِ مَا هُوَ مُلْزَمُ
فَإِذَا الْمُخَالِفُ قَدْ أَصَرَ تَقْوَمُ
فِي الْقَوْمِ إِنَّهُ سَيِّدٌ مَنْ يَحْدُمُ
نَعَمٌ بَدَتْ لِلْكَلِّ وَالْحَمْدُ يَلْزَمُ
فِي مَغْرِبِ شَهْمٍ يَقْوَدُهُ مُلْهَمُ
بِهِ أَنْ يُفَاحِشَ رَاقِئَتَاعَ جَازِمُ
أَنْتَ الْمَلَاذُ الْحَقُّ فِيكَ نُكْرَمُ
مَنْ دُونِهِ مَعْنَى الْحَيَاةِ سَيُعْدَمُ
وَيُذِيْمُنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ نَنْعَمُ

فهرس العدد:

افتتاحية 7

مقالات العدد

- إمارة المؤمنين وحماية الملة والدين

ذ. عبد القادر بطار 11

- استراتيجية المملكة المغربية في تدبير أزمة "كورونا" العالمية حكمة ملكية وإشادة دولية

ذ. عبد العلي بلامين 19

- عناية جلالة الملك محمد السادس نصره الله السامية بقضية التعليم

(قبسات من خطبه ورسائله بمناسبة عيد العرش المجيد)

ذ. أنس عبد الهادي الحسيسن 29

- مستقبل المغرب في إفريقيا للخبر الأمريكي حليم مالك

تقديم وترجمة: ذ. حسن مومني و ذ. أحمد إيشر خان 43

- الملوك العلويون وجهودهم في خدمة القرآن الكريم

ذ. محمد الدرداري 61

- قراءة وصفية في كتاب: "العقيدة الأشعرية وإمارة المؤمنين جلاله الملك محمد السادس نصره الله

وأيده"

ذ. عبد المجيد معلومي 81

- دلالات ومغازي الاحتفال بعيد العرش المجيد

ذ. محمد سليمان 91

- الدوحة العلوية الشريفة، شجرة مباركة من أرض طيبة

أ.د. لحسن تاو شيخت 103

مقالات داعمة

- منهج الأشاعرة في الاستدلال على العقيدة

ذ. عبد الغني العمومري 131

- مكانة السنة النبوية عند الإمام مالك ومنزلتها من أصول مذهبه

ذ. عبد الرزاق زريوح 141

ديوان العدد

ملك بالشعب دوما يعتني

ذ. محمد البلغمي 169

لِنُفَاخِرَ بِالْوَطَنِ

شكري الأجرأوي 171

فهرس الموضوعات 173

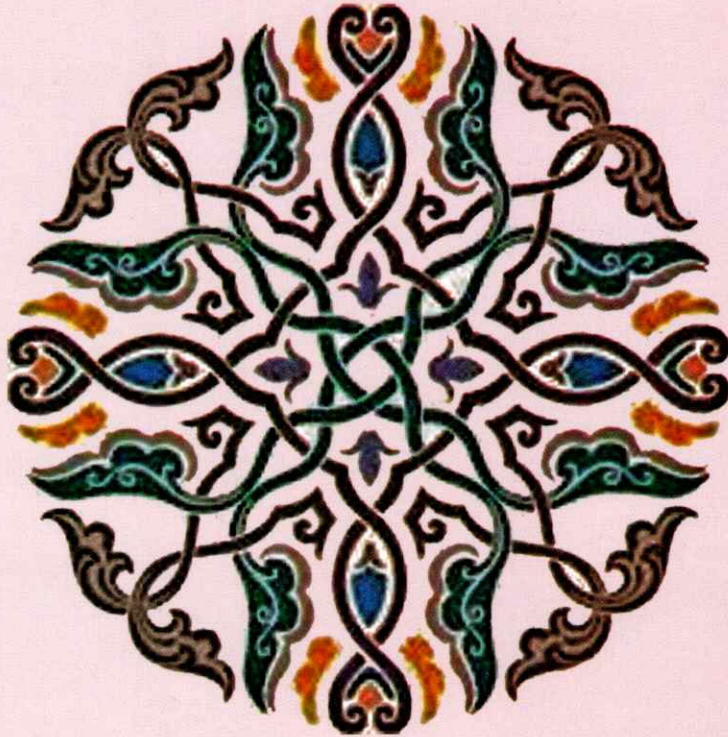
شروط النشر بالمجلة

- تشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:
- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم: A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو : alamihamid49@gmail.com
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

محاوَر الأعداد المقبلة:

- تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاوَر الآتية:
- 1 - ذكرى ثورة الملك والشعب.
 - 2 - جهود سلاطين المغرب في محاربة الأوبئة والجوائح.





دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والعمارة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية